

مَجْلِسُ الْأَنْوَارُ

مَجْلِسٌ فَصْلِيَّةٌ يُصَدِّرُهَا اِتْخَادُ الْكُنَّاَتِ بِالْعَرَبِ

العدد ٧٧ - ٧٨ السنة العشرون / شتاء و ربيع ١٩٩٤ م



عدد مزدوج خاص بالآداب الفارسي

الآداب الأجنبية

مجلة فصلية نصدر عن اتحاد الكتاب المطبوع بدمشق

العدد ٧٧ - ٧٨ السنة العشرون - شتاء وربيع ١٩٩٤

المدير المسؤول:

د. علي عقلة عرسان

رئيس التحرير:

• أنطون مقدسي

أمينة التحرير:

• د. بثينة شعبان

هيئة التحرير:

• د. ناديا خوست

• حناء بود

• ميشيل كيلو

• رفعت عطفة



مكتبة لسان العرب

www.lisanarab.com

lisanerab.com

رابط بديل

الآداب الأجنبية

مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب المقرب بدمشق

الاشتراك السنوي

داخل القطر ١٠٠ ل.س
الاقطان العربية للأفراد ٢٠٠ ل.س
او ١٠ دولارات أميركية
خارج الوطن العربي ٣٠٠ ل.س
او ١٥ دولاراً أميركياً
الدوائر الرسمية داخل القطر ٢٠٠
ليرة سورية
الدوائر الرسمية في الوطن العربي ٢٥.
ل.س او ٢٠ دولاراً أميركياً
الدوائر الرسمية خارج الوطن العربي ٥٠٠ ل.س او ٢٥ دولاراً
اميركياً
اعضاء اتحاد الكتاب ٥٠ ل.س

الراسلات
باسم امانة التحرير
الادارة
اتحاد الكتاب العرب
دمشق - اوستراد المزة
ص. ب ٣٢٣
٢١٢٤٢٢٩
٢١٢٤٢٩٩

«الآداب الأجنبية»

مجلة فصلية تصدر كل ثلاثة أشهر تعنى بنشر المواد المترجمة من الأدب العالمي في مجالات الشعر والقصة والمسرحية وغيرها من صنوف الأدب الابداعي وكذلك في مجالات النقد والبحث الأدبي .

* توجه جميع الراسلات باسم امانة التحرير .

* تقتصر هيئة التحرير عن نشر اية مادة لم تتوفر فيها شروط النشر .

* المقالات المنشورة في المجلة لا تعتبر بالضرورة عن رأي المجلة .

* المواد التي تتلقاها المجلة لا ترد لاصحابها سواء نشرت ام لم تنشر .

كلمة التحرير

د. بشينة شعبات

العلاقة بين الشعوب والثقافات تحتاج الى جهد ومتابرة وعمل دؤوب فليس هناك من علاقة ولدت مصادفة وحتى وإن ولدت كذلك فلا تكتب لها الحياة إذا لم تولى الرعاية والعناية الكافيتين . في عدد خاص سابق سالتُ لماذا نتجه نحو الغرب في جهودنا الثقافية وترجماتنا ولا نتجه نحو الشرق ؟ واتت فكرة عدد خاص عن الأدب انفارسي جزءاً من المحاولة للتوجه نحو الشرق ومع صعوبة المحاولة وتعثرها فقد كشفت لي هذه التجربة حقائق هامة .

أولى هذه الحقائق هي إننا لم تتحرر ثقافياً بعد من تأثيرات المواجهة مع الغرب حتى وإن كان ذلك على مستوى ردود فعلنا اللاشعورية . يوضح ذلك الإهتمام الذي يقابل به الأدب الغربي سواء في دراساتنا أو ترجماتنا والذي لا يحظى به أي أدب آخر وبالتالي لا يحظى به الأدب الفارسي أو أي أدب شرقي آخر . دون شك هناك عوامل نفسية وأخرى موضوعية مثل هنا الموقف . فإذا سلمنا بفكرة الاستعداد اللاشعوري للاهتمام بكل ما هو غربي والذي هو ناتج عن صدمة التفوق الغربي فإن هناك أسباباً أخرى تبرد أحياناً مثل هذا الإهتمام على المستوى العملي .

فلدى الغرب إمكانياتٍ ووسائل اتصال وقدرة على الاستجابة غير متوفرة لدى بلدان الشرق والجنوب ولديه المصادر والقدرة على تبني مشاريع الاتصال ومد الجسور وإنجاحها . أما حين يتعلق الأمر بمحاولة خلق جسر بين ثقافتين ليس لديهما مثل هذه الإمكانيات ولا توجد لديهما القوات الصحيحة حتى وإن وجدت الإمكانيات فإن الأمر يحتاج إلى جهد مضاعف وتضحية وقدرة على التحمل . وهي عصر لا يملك الكثيرون مدخراً من الوقت أو المال أو الأعصاب ليس من المستغرب أن نجد الكثيرين يبحثون عن الخيار الأسهل .

فرغم العلاقة العريقة بين الامتيين العربية والفارسية واتي تعود إلى حضارات ما قبل الميلاد، فإن المقارنة بين أداب الامتيين أو التواصل بينهما في العصر الحديث يكاد يكون في حدوده الدنيا . حيث مازالت الدراسات المقارنة بين الأدب العربي والفارسي ترتكز على افتقرة العباسية ، بينما يجبر أن ترتكز المقارنة على ابdaعاتها المعاصرة بالدرجة الأولى .

حركة الترجمة في إيران نشطة من العربية إلى الفارسية ويبدو أن مراكز الثقافة الإيرانية مطلعة على الإنتاج العربي بشكل جيد إلا ان حركة الترجمة من الأدب الفارسي إلى الأدب العربي مازالت ضعيفة جداً وما زال الأدب الفارسي إلى حد كبير مجهولاً حتى في جامعاتنا ومؤسساتنا الثقافية ، اللهم الا عبر ما يتسلل إلينا من الترجمة عن اللغات الغربية.

وفي العصور اللاحقة شايف العرب وانفرس قبيل التمازج الاسلامي عبر المنادرة فقد كانت الحيرة آنذاك بوابة التبادل الثقافي واللغوي بين العرب وانفرس ينقلون أخبار الثقافتين والشعوبين وانتأثير المتبادل بين الشعرين العربي والفارسي . وظهرت بعدئذ تأثيرات العيش المشترك تحت ظل كيان ديني وسياسي مشترك في الإنتاج الأدبي للشعوبين فقد استخدم

التنبي مثلًا الألفاظ الأعجمية في شعره وهذا أمر مأوف لشاعر اطلع على الفارسية ونهل من مصادرها المختلفة . فقد امتنجت في العصر الذي عاش به التنبي الثقافة الفارسية بلفتها مع الثقافة العربية ولفتها فاستومنت العربية كثيراً من الكلمات الأعجمية وتأثرت الفارسية بلغة القرآن أعمق تأثير . ولم يقتصر هذا التأثير على هذه الفترة بل امتدَّ إلى الفترات اللاحقة . إننا اليوم بحاجة أن نتجاوز العوميات والتعبير عن الرغبات وأن نولي اهتماماً حقيقياً لإداب كانت وما زالت قربة من أدبنا العربي أثرت فيه وتأثرت به .

تميزت الثقافة الإيرانية في فترة ما قبل الثورة الإسلامية بشتى أنواع التعبير الأدبي والتوق إلى الحرية والخلاص من الاستبداد وبهذا يشتراك الأدب الفارسي مع الأدب الأخرى في سبر أعماق الواقع واستقراء آفاق المستقبل وينطبق هنا قول الشاعر الانكليزي شيلي في الأدباء والشعراء عموماً على الشعراء والأدباء الإيرانيين حين قال : «إن الشعراء والأدباء هم المشرعون والأنبياء الذين لا يعترف العالم بقدرتهم» . وبعد الثورة استمر الأدب الإيراني بكلفة اجيائه الحديثة في اختبار آفاق الإصلاح والثورة ورسم أبعاد مستقبل أفضل واستشراف أبعاده في صفوF الإبداع دينما ينعكس الأدب على أرض الواقع في شهر الشجر ويسمى الزهر .

وللحقبة طويلة من الزمن كان الإعتقاد السائد هو أن "الأدب في إيران كمعظم أداب العالم ادب" ذكرى تذكر به ظاهرة غياب الكتابات كصناعات تاريخي أدبي . وألى وقت قريب لم يسع العالم إلا مما بالشاعرات والروائيات والخطاطات والخ . واليوم ، وفي كل هذه آنواتها الجديدة تعيد المرأة تحديد موقعها وتعريفها حسب رؤيتها الجديدة لذاتها ولإمكاناتها . واليوم ، وفي الأدب الفارسي يعلو صوت النساء يتعدثن

بصوت واضح ، يضحكن ويصرخن ويبحثن عن ملحاً أو يقدمون ملحاً ولكنهن دائمًا يتواصلن ويفكرن ويفسرن ويظفبن الإبداع من الحياة ، وإن كانت أغنيتهن صامتة، يوماً ما فاتي أبداعهن تأكيداً للقوة والاستمرارية والإبداع.

في الوقت الذي ينطلق هنا العدد من إدراكنا لأهمية التواصل بين الأديبين العربي والفارسي ، بعد أن صدر عدد عن الأدب الهندي وأخر عن الأدب الصيني فان الصعوبات الجمة التي واجهتنا تشير إلى ضرورة خلق قنوات أخرى بين الأداب الشرقية والأدب العربي وتنشيط حركة الترجمة بينها بشكل جاد وفعال خاصة من اللغات الشرقية الى العربية كي لأنفسطر الى ترجمة آثار تلك الأداب عن اللغات الأوروبية وكى لأنستقي احكاماً عليها من التقسيم الفرعي لها .

وفي نقطة أكثر اشرافاً أود أن أتوجه بالشكر للمستشارية الثقافية الإيرانية في دمشق التي لم تأل جهداً في مساعدتنا وتوفير المواد الأولية لنا والعمل والتفكير معنا في إعداد هذا العدد وأخص بالشكر السيدين محمد شريعتي وسمير ارشدي الذي كان لجهودهم اطيب الاثر في نفوسنا . كما أتوجه بالشكر الى الاستاذ د . علي عقلة عرسان الذي بقي مصبراً ومشجعاً رغم لحظاتٍ من قنوط . نأمل ان يكون هذا العدد حافزاً لمزيد من الاهتمام والتواصل بين أدبين جارين ومتصلين تاريخياً وحضارياً منذ قرون طويلة .



القصة الفارسية القصيرة

دراسة فاحصة

بقلم الدكتور حشمت مؤيد
ت: بخاتمة أبو سمرة

الأنماط الفارسية القصصية المعاصرة أنماط حديثة نسبيا في الأدب الفارسي وخاصة القصة القصيرة ، إذ بدأت كتابة القصة القصيرة الفارسية عام ۱۹۲۱ م حين نشرت في برلين مجموعة تتألف من ست قصص بعنوان (يحكي انه كان . . . في سالف الزمان) كتبها جمال زاده قبل أربع سنوات أو خمس من ذلك التاريخ . وقد طبعت في كاوه وهي مجلة شهرية تولى اصدارها في برلين فريق من طلاب الدراسات العليا المتميزين في هذه القصص انتقد جمال زاده الاوضاع الاجتماعية والسياسية في وطنه باسلوب ساحر طافع بالكلمات العامية والتعابير الاصطلاحية . ومع ذلك فليست الصفة المميزة لنسيجه اللغوي ، بل ، ولا حتى رؤى الأدب النقدية هي التي جعلت هذا الكتاب الصغير بدعا حقيقيا ، فقد ظهرت هاتان الصفتان المميزتان ببعض الكتابات الأدبية الصحفية آنذاك . كان أشهرها سلسلة مقالات ساخرة وضعها الموسوعي ۱۰۱ دهخودا نشرت في « هراء » .

□ القصة الفارسية القصيرة □

هيأت الثورة الدستورية عام ١٩٠٦ م - ١٩١١ م والفترة التي تلتها من حيث صلتها بالحرية السياسية أرضية لانتشار صحف لاحصر لها مليئة بهجوم علني على الحكومة ومؤسسات الدولة الرسمية . والواقع أن حبكات القصص القصيرة الساحرة التي نسجت بقالب مغاير هي التي خلبت أذهان القراء وكانت اشارة ولادة نمط جديد في الأدب الفارسي . وجمال زاده الذي أمضى آنذاك أكثر من عشر سنوات في أوروبا ، كان مدركاً بشكل كاف الحاجة إلى تحول جوهري عن قواعد النثر الفارسي الكلاسيكي وتقاليده .

وقد كسب الكتاب قلوب رأييه الإيرانيين في نهاية المطاف وعند نقطة تحول في تاريخ النثر الفارسي ونودي بجمال زاده رائداً للقصة الحديثة الفارسية .

ومع أن الثورة الدستورية أخفقت في تحقيق وعدها بأن تتدخل عهد الحرية السياسية والعدالة الاجتماعية ، إلا أنها حطمت كثيراً من الحواجز البالية ووضعت تاريخ إيران في مجرى جديد من التغيرات الجذرية . فقد أشارت إلى بداية كفاح لا ينتهي ، وإن كان هذا الكفاح لم يفلح في تحقيق مراميه الأصلية حتى أيامنا هذه بالرغم من مرور ثمانية عقود عليه . كما أنها هيأت المناخ المناسب لظهور تدريجي لوعي ثقافي جديد . ونجحت في احراز تقدم نحو ثورة ثقافية على الرغم من أن الثورة السياسية واصلت أبداء القليل من أرهادات النجاح المستمر .

ولد جمال زاده عام (١٨٩٢) وهو ابن خطيب تحرري ملتزم سياسياً . عاش في القرن التاسع عشر . تعمق جمال زاده في خلفيات تقاليده ليتمكن من استئصال شأفتها . أما ميله إلى اثناء مفرداته فقد

□ القصة الفارسية القصيرة □

حرم قصصه الأخيرة من المهارة الفنية ، وصيّر شخصياته أشكالاً لاروح فيها ، وحال دون ان تتطور حبكات قصصه بسلامة وعفوية .

اسند دور المؤسس الحقيقي لهذا النمط الادبي في الفارسية الى صادق هدایت (۱۹۰۳ - ۱۹۵۱) وهو ابن اسرة ارستقراطية ، أمضى اربع سنوات دراسية في فرنسا ، وعند عودته الى ايران عام ۱۹۳۰ ، بدأ فترة محمومة من النشاط الادبي . فعلى امتداد سبع سنوات نشر ثلاث مجموعات في القصص القصيرة . احدها قصص قصيرة لاذعة الهجاء بعنوان « قضية » ، وقصة طويلة ذات مضمون تدميري نقدت تحت عنوان « علوية خانم » رواية قصيرة بعنوان « البومة العميماء » وقد شاركت هذه الرواية في ذيوع شهرتها في ايران وفي الفرب اكثر من اي شيء آخر كأبرز شخصية تشاومية متميزة في تاريخ الادب الفارسي .

هذا الانفجار اللافت للنظر في الابداع الادبي طوال فترة الحكم الديكتاتوري لرضا شاه ضعف بصورة تبعث على الاستغراب في سنوات الحرية السياسية التي لم يكن لها سابقة والتي تلت تنزيل الشاه عن العرش ۱۹۴۱ وانتهت بانتحار هدایت عام ۱۹۵۱ في باريس . كانت الآثار الادبية الوحيدة في القصة التي نشرها هدایت خلال هذه السنوات العشر مجموعة اخيرة من القصص القصيرة ، وعدة قصص خفيفة ايضا بعنوان « قضية » وقصة طويلة تحت عنوان « حجي آغا » ولم تكن الاحوال الاجتماعية والدينية مناسبة البتة لنشر قطع ادبية هجائية بارزة اخرى مثل « المدفع اللوؤي » الذي طبعه طلاب الدراسات العليا الايرانيون بعد الثورة الاسلامية .

تعرف هدایت الى الادب الاوروبي بحب وافتتن به و敖لعاً خاصة بالاتجاهات الرمزية التالية لفترة ما بعد الحرب العالمية الاولى ، كان متسلكاً بصورة لا يرجى البرء منها فلم يجد في الحياة ما يجذبه اليها ،

□ القصة الفارسية القصيرة □

وبقي مكتتبًا تنتابه بشكل متكرر مستمر هواجس الموت الذي كثيراً ما كان يراه في كل مكان . ففي (البوة العميماء) عرض هدايت طراز قصة مبهماً، متعدد الاوجه ، نفسانياً ، يفلت من بعد الزمان ويمزج حقيقة الحياة الزائفة بالاحلام في اطار بنية غير عادية من الصعب محاكماته .

كان مفتوناً بالخيام بشدة ، فكتب مقالاً مسهباً عن الرباعيات عدّه فتحاً جديداً في دراسة ذلك الشاعر . وأولع بكافكا وترجم « المسخ » إلى الفارسية . ولم يقلل حنينه إلى ماضي مجده فارس وتوقه إليه من الاحتقار الذي ملا نفسه نحو المؤسسات الفاسدة والكتل المتفسخة من شعبه ، ولم تكن شعلة الامل التي أوقتها في قلبه أيديولوجياً اليسار أكثر من حركة خاطفة مختلسة وموضة من موضات الزمن سريعة الانتشار .

خلال الأربعينات ونتيجة احتلال الحلفاء لایران رافق الوضاع السياسية الكثيرة الاضطرابات تضخم كبير وانهيار اقتصادي فسهلت انعاش حزب تودا الماركسي الذي جذب قسمًا كبيرًا من الطبقة المثقفة وبعض الشعراء البارزين والادباء . وابتعدت الوضاع عن عدم الاستقرار السياسي والفووضى الاقتصادية البلاد في احتياج عظيم واضرارات ومظاهرات حرستها الاحزاب المتصارعة وشلت فيض النشاط الطبيعي في المدارس والمعامل . وأخيراً تبلور النضال لانتقاد الامة من قبضة الفقر ، وتبلورت محاولات ايقاف الاحتكارات الاجنبية والتدخل في قضايا البلاد الداخلية والرغبة في اقامة حكم القانون والديمقراطية ، تبلورت كلها في الحركة الوطنية التي قادها رجل دولة محنك ارستقراطي معروف هو الدكتور محمد مصدق الذي نعم بمساندة الجماهير الساحقة بما فيها الطبقات الشيوعية والتقلدية من التجار والمهنيين .

في آب ١٩٥٣ انهى اسقاط مصدق ، عملياً ، فترة تقارب الاثنى عشر عاماً تتمتع خلالها الشعراء والكتاب بحرية التعبير عن افكارهم وانتقاد

□ القصة الفارسية القصيرة □

المؤسسات الرسمية جميعها او بعضها . وخلال الربع التالي من القرن، فيما بين (١٩٥٣ - ١٩٧٨) بترت حرية التعبير واقحمت الرقابة الكتابة والشعراء في حالة من الارباك . وأجبر الادباء على ان يتجنبوا معالجة المواقف الحساسة بشكل علني . وان ينجووا الى اسلوب مبطن من الرمز والمجاز والا فليتحملوا عاقبة الاستخفاف بقوانين السلطة الحاكمة وبالحرريض عليها . وقد ادى الخلاف الناشب الى تحديات مفادية بين الادباء والحكومة مسببا سنوات من الحصر الجبري والمعاناة والمارارة ، وكانت تنتشر اعمال جسور تبعث على الاعجاب في مقاومة نفوذ الدولة وفي التصميم على نيل حرية التعبير زودت الشباب بامثلة تحتذى في الالتزام ، وامدت الكتاب بموضوعات طازجة . وقد ادى النضال فريق اطلق عليه اسم الادباء الملتزمين استخدمو السبل الخاطئة للوصول الى النهايات الصحيحة . فلكل من يقوضوا مصداقية سلطات الدولة اتخذوا الكذب وتزوير الحقائق نهجا لهم ، ونشروا اشاعات ملقة وشجعوا ما يستحق الاستحسان والدعم، وأيدوا افرادا وأوساطا كانت الطبقة المثقفة نفسها قد صرحت منذ زمن بعيد بأنهم رجعيون اقضى زمانهم . هذه الحالة الباعثة على الاسى ازدادت سوءا في نهايات الخمسينيات واستمرت عقدين متتالين .

برزت خلال الفترة التي نحن بصددها ١٩٤١ - ٥٣ عدة مواهب جديدة اعظم شأنها ، ينتمي اكبرها سنا الى الجيل الاول وهو ناصر علوی (١٩٠٤) نشر اول مجموعة قصص قصيرة في عام ١٩٣٥ بعنوان (حقيبة السفر) لاقت استقبلاً حسناً من القراء . ولازبطه بفريق طهران الماركسي الناشيء امضى اربع سنوات في السجن من (١٩٣٧ - ١٩٤١) . وعندما اطلق سراحه في ١٩٤١ استعاد علوی نشاطه الادبي بنشر (قصاصات اورقية من السجن) تبعتها في عام ١٩٥١ رواية (عينها) ثم مجلد ثالث من القصص القصيرة تحت عنوان (رسائل) . وبين ١٩٥٣

□ القصة الفارسية القصيرة □

— ١٩٧٨ درس كاستاذ في جامعة همبولدت في برلين الشرقية ، وكان اكثراً تركيزاً على نشاطات البحث فألف عدة كتب وترجم من الفارسية الى الالمانية وبالعكس . في عام ١٩٧٨ قبل قيام الجمهورية الاسلامية عاد علوى ليدخل المسرح الادبي ثانية بنشر مجموعتين من القصص « ميرزا » و « الشيطان .. الشيطان » ورواية قصيرة تحت اسم « سالاريا » . أما رواية النمل الابيض فتدور في جوهرها حول العلل الاجتماعية والسياسية في ايران في ظل النظام البائد .

كانت الاهتمامات الاجتماعية ومحاولات تشويه سمعة النظام دفعاً لاعمال علوى بشكل واضح وللقصة عند كاتب مثيله هو محمود اعتماد زاده به آزین . (ولد ١٩١٥) وفي عام ١٩٥١ نشرت روايته (ابنة القرن) . وفيها يصف مأذق فتاة تناضل لتحرر نفسها وتلتتحق بالطبقة العاملة . لكن ما من اديب يعي فنه يسعه ان يخضع موهبته الادبية لمجرد بث ايديولوجياً سياسية مكرراً ايها في قصص كثيرة . ويعود نجاح علوى في (عيناهما) الى حد بعيد الى النكهة الرومانسية الغالية التي جعلت قراءتها ممتعة حتى فيما وراء خط الحزب . والمسحة الثانية للقصة عند علوى هي ميله الى الحبكات الاكتشافية البينية في كل من « عيناهما » و « ميرزا » . وأما بالنسبة الى « حجر الافعى » لبيه آزین فهي حكاية وهمية تستعمل عناصر الرمز وتذكر بقصة حواء في الكتاب المقدس الشيطان ، والخروج من الجنة .

صادق جوبك واحد من الروائيين اللامعين برز في الاربعينات (ولد ١٩١٦) برهنت مجموعته الاولى من القصص القصيرة (عرض اللمني المتحركة ١٩٤٥) على قوته في التصوير الصادق الممزوج بنظرية ثاقبة والمصور بأسلوب محكم . وقد حافظ في كتابه الثاني (الرياح الذي مات

الرياح : سعدان افريقي واسيوي ضخم .

□ القصة الفارسية القصبة □

مهرجه ١٩٤٩) على مستوى مهارة في الصنعة بدا في مجموعته الاولى فشخصياته تمثل عناصر من المجتمع مهملة ، مقهورة ، قلما لفتت انتباه الاباء .

كان جوبيك قليل الكلام بطبعته ، وقد ظل بعيدا عن الانغماس في النشاطات السياسية الدارجة . وبقي صامتا اكثر من ثلاث عشر سنة ، وفي عام ١٩٦٣ ظهرت روايته الشهيرة « تانجسir » ، وتبعتها مجموعتان قصصيتان (اليوم الاول في القبر) عام ١٩٦٥ و « المنحة الاخيرة » عام ١٩٦٦ وكان آخر عمل نشر له روايته الثانية (الحجر الصبور) « وتانجسir » قصة مأساوية حقيقة تكشف اللصوصية، وتدور حول شاب من تانجستان (الجبال الواقعة خلف ساحل بوشیر) خدع وسلب ماله ينتصر لنفسه ، ويقتل ب ساعتين النصابين الخمسة (المحترين) قبل ان يبحروا بعيدا مع زوجه وطفليه . ينافض التطور الخطى الباهر لهذه الرواية بشكل مميز التعامل مع الفكرة تعاملا متعدد المستويات ، معقدا ، مزدحما ، كما ينافض فحوى « الحجر الصبور » التي توضح باستخدامها اسلوب تيار الوعي بتوس شخصيات عدة وياتها التام ، وكما تمثل البقعة الاشد اشتراكا في تاريخ القصة الفارسية .

ثمة اديب آخر له تأثيره ، بدا سيرته في الاربعينات . واكثر ما اشتهر به اثارته للمناقشة الساخنة والولع بالجدل السياسي وهو جلال آل احمد (١٩٢٣ - ١٩٦٩) ولانه موهوب للغاية وفعال ذو اهتمام متقد بمصير مستقبل وطنه الثقافي والسياسي . فقد ادى دورا حاسما في تكوين فكر جيل كامل من الشباب المفكر وفعالياته . كان قلقا ، برمما ، تهجميا بطبعه ، وقد افصح آل احمد عن دلائل سيرته المستقبلية كاديب وناقد اجتماعي حتى في قصص مجموعته الاولى (تبادل الزوارات ١٩٤٦) وظهرت له ثلاثة كتب أخرى بين (١٩٤٧ - ١٩٥٢) كما كتب اربع روايات ، اقصرها وأقلها نجاحا (حكاية خلايا النحل ١٩٥٥) وهي قصة رمزية عن استغلال شركات

□ القصة الفارسية القصيرة □

اجنبية النفط الايراني . في عام ١٩٥٨ ظهرت قصته (مدير المدرسة) فاستقبلها الجمهور بحماسة اذ انها تشجب الاوضاع البائسة في التعليم في ايران من خلال مدرسة ابتدائية ينحدر طلابها من اسر معوزة تعاني من سوء التغذية ومواردها المالية لا تكفي لشراء ما يسهل دراستهم . ومدير المدرسة الذي يجسد الرواية بدقة والذي هو آل احمد ذاته يظهر ثانية بعد عشر سنوات في رواية (لعنة الارض) كمعلم في قرية تتخلّى عن نظامها التقليدي في الزراعة وتستبدل به باستعمال متتطور للآلات الحديثة في اعقاب الاصلاح الزراعي في ايران . وكان قصد آل احمد عما نتج من فوضى واخفاق ، ان يساعد ذلك على تصديق قضایاه المطروحة الاساسية التي فصلها بقوة في مقال اجتماعي سياسي ذي تأثير كبير بعنوان (الغرب اسباه بالطاعون) . فأصل الانهيار والتأخر اللذين تعانيهما الشعوب الشرقيّة . وفقاً لهذا المقال ، هو تقليد الغرب واستفلال الاخير للشرق .

في عام ١٩٦١ نشر آل احمد روايته الثالثة (نون والقلم) ، وهي قصة رمزية تعبّر عن التفاعل بين الحكومة والمجتمع ودور صفوه المفكرين في ايران . وضفت الرواية بصيغة حكاية تاريخية تعود الى القرن السادس عشر زمن الصفويين ، وتقدم تقريراً لا تحيز فيه عن الدين والدولة في ايران ومصير الحركات السياسية . وقد غدا نشر آل احمد المتسنم بشدة الایجاز والذى يشف عن صلف ونفذ صبر معاً ، حتى بالتعامل مع القواعد وتركيب الجمل ، غداً نموذجاً تحتذيه بعض المواهب الملمة . فهو يؤثر في حاضريه كمن عرف تشخيص المرض وعنه العلاج لعلّ بلنه كلها . وقد دعاه بعضهم باسم « ضمير الوطن الحي » . وما من أحد حتى ولا من مناوئيه يمكنه ان ينكر قوة فكره ووحدة نظرته . وقد اخذ عليه مساهمته الحيوية لاقامة نظام جديد – وان يكن اقل تقدمية وديموقراطية – وما ينتجه عنه من اضطراب سياسي تخريبي . وبالرغم من اختلاف الآراء حوله ، فقد كان وسيبقى

□ القصة الفارسية القصيرة □

بلا شك شخصية بارزة تمثل حياة ايران الفكرية خلال الخمسينات والستينات .

عوامل النشر الفارسي مدة تزيد عن الف عام ك طفل غير شرعي للادب الفارسي ، وحقق على ايدي اولئك الكتاب وعدد آخر من كتاب القصة نضجاً كبيراً . وقد حمل فن القصة القصيرة الجذاب على عاتقه مسؤولية اجتماعية اكبر من تلك التي اضطلع بها الشعر اطلاقاً . وتحول سريعاً فكر الشعب الفارسي الميسى من موضوعات الف السنة الماضية الفيبيبة والدينية الى القضايا الدنيوية . شارك نمط القصص القصيرة المستورد كأنسب اداة للعرض المباشر للشؤون الاجتماعية ممثلة باحداث يومية لا حصر لها .. وقد اتحد في الخمسينات والعقدين التاليين فريق الكتاب المتميزين الذين مر ذكرهم مع جمهرة من المواهب الوعادة . وانتجت قوة الاندفاع المكتسبة من خبرة ثلاثين عاماً ، مزودة بافكار جديدة قدمتها ترجمات من لغات وثقافات عده ، بالإضافة الى الاتصال الشخصي المباشر المتزايد مع العالم الخارجي ، انتجت مناخاً فكريياً فيه الالهام والتحدي معاً . واعاقت الرقابة نشر اعمال كثيرة والحقت اذى كبيراً بعند من الشعراء والروائيين ، الا أنها اخفقت في تحطيم اقلامهم او ارادتهم بالاستمرار في شن هجوم عنيف على الخطأ والدفاع عن الحقوق الإنسانية وعن الكرامة .

كثيرون هم كتاب القصة القصيرة الفارسية ، بعضهم ارتبطت أسماؤهم بعدد قليل من القصص فقط ، وآخرون بكتب كاملة . وكيفما كان الامر ، ففي هذا المقال المقدمة علينا ان نمر بأكثرهم وأن نخصص بضع كلمات لاربعة كتاب فقط بزرعوا ائمه في مجالهم .

ابراهيم كلستان (١٩٢٢) . نشر كتابه القصصي الاول (آذار) آخر شهر في الخريف) في ١٩٤٨ وقد وضحت فيه مهاراته الفنية وموهنته غير العادية وتذوقه للتهذيب اللغوي . وبين ١٩٥٥ - ١٩٦٧ - ١٩٦٩

صدرت له ثلاث مجموعات قصصية أخرى تبعتها عام ١٩٧٤ رواية ساخرة بارعة (اسرار كنوز الوادي المسحور) . تقدم القصة عند كلستان مشاهد من حياة الطبقة المتوسطة اليومية . واستذكارات سردية لحوادث رومانسية بازرة ، وبعض الارتجاعات الفنية لاساطير دينية معروفة لا تخلو من تهجم جريء عليها . أما مفرداته المعجمية فمتقدمة بعنابة ومرتبة بتأنيقة ، وفيض جمله المتناسقة يجعل نشره ينساب بسلامة بما يشبه الشعر . وقصته « رحلة عصمت » واحدة من جواهر الادب الفارسي الحديث .

غلام حسين ساعدي (ولد ١٩٣٥ - وتوفي ١٩٨٥) في تبريز . كاتب راديكالي جريء وакبر كاتب مسرحي على الاطلاق في ايران . اسمه المستعار جوهر مراد . كان شخصية عاملة في الابداع الادبي مع غنى فكري لا ينضب . وكان يختلف عن جوبك وكلستان في انه لا يوفر قوة قلمه وفكرة . فقد كتب أكثر من ثلاثين كتابا في القصة والمسرحية والمقال والدراسات الإثنографية ، وكان مؤسس الدورية الهمامة الفباء ومحررها ، وبالاضافة الى كونه طبيبا نفسيا محترفا . ويشبهه آل احمد في انه كان في طليعة حركة المعارضة ، وقصصه هي صوت المعارضة السياسية ، واغلبها م ملف بالاستعارات مع شخصيات خيالية غريبة لسكان القرية او الدخلاء الاجانب المقنعين . وهو يتناول الفلاحين بسيطرة ومصائرهم بتعاطف وحنو بما فيه صالحهم ولا يتناولهم من أجل الدور الرمزي المسند اليهم .

هو شنخ غلشيري كاتب قصة آخر بارع الموهبة ولد (١٩٣٨) واقام شهرته ككاتب متميز مرموق بين عشية وضحاها تقريرا بنشر روايته القصيرة (الامير احتجاب) عام ١٩٦٨ . وهي ترکز على شخصية امير قاجار المتفسخة الذي يعيش بخمول وبلادة مع ذكريات الماضي . ومرض السل الذي ينتهي به . واتبع بزوجه المتألق في المجتمع بنشر عدة

□ القصة الفارسية القصيرة □

كتب أخرى وظل شخصية رئيسة بين الروائيين الذين ما زالوا يعيشون في ايران . وهو معروف بمهارته الفنية ، ولفته المميزة أيضاً والمحترفة بعنابة فائقة ، والتي تنسم بتحولات مفاجئة من شخص او زمن او موقف الى آخر . (هذه المعالجة المدروسة يساعد عليها الافتقار الى الجنس في اللغة الفارسية في الاسماء والضمائر ، وبذلك فان اغلب قصصه يبقى أبعد من ان يقدر على فهمها القراء غير المتمرسين) .

محمد دولت ابادي (ولد ١٩٤٠) اصغر روائي ايراني مرموق . مؤلف رواية زاخرة بالاعمال البطولية . تقع في عشرة اجزاء ضخمة اسمها (كليدار) وقد بذلت في حجمها و MFها على الاطلاق كل ما كتب بالفارسية من روايات . وهي أخاذة في حبكتها الاسرة ونسيجها اللغوی الشاعري وخصوصية خيالها ، وفي تمازج أبطولة السياسية والنظرية النفسية الثاقبة تمازجاً جذاباً، وفي تطور القصة المثالي الدرامي حتى تبلغ اوجهها المأساوي وكذلك في تنوع شخصياتها ومشاهدها الريفية .

دولت ابادي شأنه شأن الكثرين من افضل الكتاب الايرانيين (علوی - آل احمد - ساعدی ، به آزین ، براھینی) ، الزم نفسه وربما بسذاجة وبدافع من طيبة قلبه المحضة ، بابدی ولو جیا لم تمد البلاد بشيء سوى القلقل والتخبط الاجتماعي . وهو يعرض في روايته الضخمة الأخرى (مكان سالیوش المفقود) سوء حال قرية تلقت ضربة شديدة اثر الاصلاح الزراعي ذي التخطيط الرديء وغاصت في بؤس اشد من السابق . وقصته (ادبی) نموذج لإنجازه الأدبي الكبير .

قد ينطوي المقال الحالي مجاله المحدد له اذا استسلم لاغراء التحدث ببعض كلمات عن الكتاب الآخرين الكثرين ذوي المكانة .

احدى خصائص تطور ايران الفكری خلال الفترة التي غطتها هذا الكتاب هي انفجار الادماد المفاجيء في الادب والفن ، و كانه نقطة عبقرية عجوز

□ القصة الفارسية القصيرة □

من سبات عميق امتد أكثر من مائتي عام . أما في مجال العلوم المستحدثة والتكنولوجيا فالإيرانيون لن يتمكنوا أن يدعوا بأنهم سدوا الثغرة بين أنفسهم وبين شعوب العالم المتقدمة حتى بمرور عقود من الجهد المدؤوب ومن سعة الاطلاع والمعرفة الجديدة . ولقد كانت طاقة الإبداع الكامنة في الفنون والأداب هي العلامة الفارقة للشعب الإيراني عبر العصور . وقد هجّمت في أوقات المحن القاسية والانحدار الثقافي ، لكنها هبت بنشاط متجدد في لحظات انتعاش الأمل والرخاء . وفي هذا القرن مرت إيران بوحدة من تجارب تفجر الطاقة في مجالات متعددة من الأدب والإبداع الفني ، حتى في المجالات الشعبية في الموسيقى والرسم والمسرح والتي « لا طابع لها » .

في مجال الأدب الخيالي حققت المرأة الفارسية درجة من التحرر واعتلت مكانة هامة . وبسرعة يزداد عدد الموهب الناشرة بين النساء .

سيمين دانشور (ولدت ١٩٢١) أول روائية بارزة في إيران . ظهرت أول مجموعة لها من القصص القصيرة عام ١٩٤٨ (النار المطفأة) . وفي مجموعةتها الثانية (مدينة مثل الفردوس ١٩٦١) وفي باقي كتاباتها عبر السنين عبرت بصراحة أكثر عن انهماكها في مأزق المرأة الفارسية . وتكمّن شهرتها الحقيقة في « سافوشن » ١٩٦٩ وهي رواية سياسية شعبية للغاية ، تصور الواقع المعيشية المتورّة لاسرة من شيراز خلال الحرب العالمية الثانية حين كانت القوات الأجنبية تحتل إيران .

مهشيد أمير - شاهي (ولدت ١٩٤٠) الفت حتى الآن أربع مجموعات من القصص القصيرة الممتعة جداً ورواية (في البيت ١٩٨٦) . ومهشيد لا تطيل الكلام عن الجانب المظلم من الحياة فقط ، ذلك الجانب الذي استقطب اهتمام كثير من الكتاب الآخرين . إذ إن شخصياتها أفراد عاديون

□ القصة الفارسية القصيرة □

من الطبقة الوسطى غارقون في حياتهم اليومية بنشاط بالغ في كل لحظاتهم المضيئة والثئيبة . ومن صفات القصة الممتعة عند أمير شاهي الذكريات الجميلة وغالباً الفكهة عن الطفولة السعيدة ، وتعابير المحبة المؤثرة خاصة بالنسبة الى الام المجيدة ، وذكريات سنوات المدرسة ومسرات المراهقة، وبعد ذلك خيبة الامل في الحياة .

ترن عبر القصة لدى شهرنوش بارسيبور نغمة مختلفة تماماً ، فيها معالجة نفسية للمجتمع وللحياة الأخلاقية . ولدت شهرنوش عام ١٩٤٦ ، وهي مؤلفة رواية مشهورة (توبا ومعنى الليل ١٩٨٧) التي بالرغم من حبكتها المعقّدة والمربيّة - او ربما بسبب ذلك - أسرت خيال بعض النقاد وأوحت بتفاصيل مختلفة ، وقد قدمت فيها بارسيبور مزيجاً من لعوامل السياسية والدينية والاجتماعية ، اثرت في المصير الشخصي لفتاة مرت بزمن التحول ، كما قدمت محن اسرة طراز حياتها عتيق وعصري مما بتجاربها القاسية .

في (الكلب والشتاء الطويل ١٩٧٦) وهي رواية آسرة من بوادر اعمالها عالجت بعيداً عن الرمز موضوعاً مماثلاً لموضوع مناخ العصر السياسي الجائر ، والعقاب الذي تنزله تقاليد الطبقة الوسطى والمعايير الدينية . وهي تدين الاول بترى الثاني يل蜚 انفاسه الاخيرة .

عرضت بارسيبور منحاها التحرري الذي أخلدت اليه ومنحاها الفكري ومعالجتها للحب والحياة في قصتها « اداء التجربة » التي كتبتها عام ١٩٧٠ .

وبشكل عام نقول لا انه يجب الاعتراف بأن كلستان وكذلك أمير - شاهي ، وبarsiبور لم يتفردوا في اختيارهم صوراً من مشكلات الطبقة الوسطى وأعمالها . فقد كتب روائيون كثيرون آخرون عن عادات

□ القصة الفارسية الفصيحة □

البورجوازية الإيرانية وتوافقها وسلوكها الاخلاقي واللاخلاقي . وعمن الاوساط محدثة الشراء ساخرين من خوائهما وحبها الشديد للهو وللمتع الدنيئة . احدى هذه القصص هي « الرصين وسحر البورجوازية الصفيرة الواضح » لفريدون تنكابني (ولد عام ١٩٣٧) وفيها يصور بتهكم حفلة بجوها الدفيني يتمتع فيها الرجال الاهون والنساء اللاهيات بالشراب والنكات المنيئة ويجاهرون بحثينهم الى الايام الماضية اللطيفة.

منيره روانيسور ولدت (١٩٥٤) نجمة صعدت بسرعة ، ببدأت مسيرتها بعد الثورة ، كثيرة الانتاج . تستوحى موضوعاتها غالباً من الاوضاع المعيشية ومن المعاناة في المناطق الساحلية من الخليج العربي . أمين فقيري (ولد ١٩٤٣) وكان مدرساً في مناطق الجنوب الريفية . كتب باحساس مرهف عن جمال الطبيعة وعن الصعوبات العملية لحياة القرية وقصته (الاخوة الحزانی ١٩٤٨) قصة رمزية سياسية تفصح عن نضج فني كبير مع مادة رمزية مطروحة باحكام .

احمد محمود (١٩٣١) تعرف بشكل حميمي على المناطق المجاورة لمدن البترول في خوزستان . يبدو أكثر اهتماماً في (صبي صغير من اهل البلد) بالتيار الصاعد للمشاعر المعادية لغرب ، والذى كان ضحيته خلال مظاهره سياسية بعبادان حياة طفلة بريطانية وصبي صغير من اهل البلد احس بميل برئ نحوها . تتناقص نزعة محمود الودود مع نظرات مير - صادقي (مثلاً) الشوفينية ، كما عبر في قصته (عبر خمار الضباب) او مع آل - احمد وهذه الرخيم في (الزوج الاميركي) . فالحال لدى آل - احمد لا تقرن بالحال لدى جوبك الاكثر واقعية في (الحصان الخشبي) فشمة زوجة أوروبية لزوج ايراني في طهران . وربما لا أحد بين الكتاب الفرس ، حتى ولا هدايت ، قرب كافكا من الذهن كما

□ القصة الفارسية القصيرة □

فعل نظری (۱۹۳۳) في قطعه الادبية الموجزة ، الفائمة ، والوهمية . وهو لم ينشر اي كتاب له . وقد ظهرت (القصص الخمس) مع قصص قليلة اخرى في المجلة الادبية Sokhan في منتصف السبعينات .

صحيح ، و كما يقول الكثيرون ، ان الروايات الايرانية والقصص القصيرة كثيبة عادة ، وتختلف لدى القارئ انطباعاً بان الايرانيين امة ندابين ، لا وميض فرح ، ولا بصيص امل ، ولا اثر للظرف بين في حيواتهم . وقد يرى أحدهم في هذا الافتراض شيئاً من الصحة دون ان يتجرأ على تفسير الاسباب التأريخية لهذه الحقيقة المحزنة . ويمكن ان يقسم الكتاب الايرانيون ، خاصة بعد ۱۹۳۵ ، الى فريقين مميزين مع قلة في الوسط او وراء خط الحدود كلباً : الفريق الاول هم الكتاب الملتزمون المناوئون للمؤسسات المدنية والعسكرية بقيادة آل احمد الذي ناضل ضد نظام الحكم ، والفريق الثاني هم الكتاب الذين لا تشكل الاطاحة بالملكية لديهم الفایة الوحيدة والدافع للكتابة . بعض الروائيين الذين ينتمون الى الفريق الاول جعلوا السياسة والقضايا السياسية مادة موضوعاتهم . وصار مضمون حرفتهم متطابقاً مع مواقفهم السياسية ، واتجاهها يمكن تقييمه بصعوبة حنما . وبين الفريق الثاني نجد بعضاً من افضل الروائيين والشعراء الاكثر مرونة في اختيار موضوعاتهم . وحتى بحدود هذه المقطوعات الادبية المختارة فليس ثمة من قصور في الفحص التي تخفف من جنديد الفحوى هذه بجرعة من الظرف السليم ! جمال زاده ، امير شاهي ، تنکابني ، دانشود ، بل وحتى کلستان) . وقد لا يكون الاخرون مصلحين لكنهم غير كثيرين ، فهم اقرب الى الطراز التصويري السياسي او حتى التشويقي مثل (ترقي صادقي ، بارسيبور ، علوی ، عاشور زاده ، خاکسار) .

□ القصة الفارسية القصيرة □

وبصورة عامة يبدو ان الكتاب الايرانيين والشعراء أيضا ، انتهزوا الفرصة ليمزقوا الحجب وليكشفوا علانية حقيقة الحياة في بلدتهم بعد قرون من الاضطهاد ، من النهب والتعذيب ، من الاعمال والتعدى على حقوق الانسان تمارسه سلطات مختلفة الاتجاه ايما كان طابعها ، هؤلاء الشعراء الجريئون والكتاب حاولوا باخلاص وأمانة اكثرا من اي قادة او مؤسسات أخرى في الماضي ، ان يفتحوا اذهان الشعب ، وقد نجحوا الى درجة معينة . هذه الحركة الفكرية أخذت تتدفق بالثورة الدستورية . ومنذ ذلك الحين وهي تدعم وتغذى بتفعيلات أساسية متنوعة وما من قوة تمكنت من ان تخفف من زخمها ..

ويبرز الان جيل من المواهب الجديدة الراغدة ايضا ، يصعب الحديث عنهم في هذه المقططفات المختارة عدا ثلاثة او أربعة منهم ، اذ انهم يحتاجون ويستحقون ان يدرسوا في كتاب خاص بهم .

* * *

غلام حسين ساعدي

(١٩٣٩ - ١٩٨٤)

الدكتور محمد اللوزي
الرباط - المغرب

ولد غلام حسين ساعدي في مدينة تبريز سنة ١٩٣٩ م . طبيب نفساني ذو اهتمامات أدبية وفنية متنوعة . فهو كاتب وقصاص ومسرحي وناقد . أحد الأعضاء المؤسسين لاتحاد الكتاب الإيرانيين في أواخر السبعينيات ، ورئيس تحرير مجلة « الفبا » التي تصدر في باريس منذ بداية الثمانينات في طبعتها الجديدة . يعتبر ساعدي أحد رواد الحركة المسرحية والقصصية المعاصرة في إيران .

تميز أعمال ساعدي بالتركيز على التفاعلات بين ما هو « سياسي - اجتماعي » وما هو نفسي . تنحدر الشخصوص المحورية في نصوصه القصصية والروائية من الطبقة المتوسطة والدنيا ، وهم خليط من الماجورين والفلاحين الصغار والبسطاء والمهمشين ، كما تبرز مواقفه الإيديولوجية أكثر ثقافية في مسرحياته منها في أعماله القصصية والروائية التي تقلب عليها الرمزية والرومانسية .

صدرت له عدة مجاميع قصصية ، ترجم البعض منها إلى اللغة الانجليزية والفرنسية والعربية . كان يوقع أعماله الابداعية تحت اسم « كوهمراد » .

توفي في باريس ١٩٨٤ م .

من اعماله :

- « بازی تمام شد » [انتهت اللعبة] ، مجله « الفبا » ، العدد الاول ، السنة الاولى ، طهران ۱۳۵۴ ه . ش / ۱۹۷۳ م . (قصة) .
- « ترس ولرز » [الخوف والرعشة] ، طهران ۱۳۴۷ ه . ش - ۱۹۶۸ م (مجموعة قصصية) .
- « جسم در برابر جسم » [العين بالعين] ، طهران ۱۳۵۰ ه . ش - ۱۹۷۱ م (مسرحية) .
- « جوب به دستهای ورزیل » [العصي في أيدي ورزيل] ، طهران ۱۳۴۴ ه . ش - ۱۹۶۵ م (مسرحية) .
- « دنه یدل » [دندیل] ، طهران ۱۳۵۶ ه . ش - ۱۹۷۷ م . (مجموعة قصصية) .
- « عزا دا ران بیل » [حزانی بیل] ، طهران ۱۳۴۳ ه . ش - ۱۹۶۵ م (مسرحية) .
- « عروسی » [عرس] ، مجله « آرش » المجلد الثالث ، العدد الاول ، الصفحة : ۲۴ - ۱۷ ، اردیبهشت ۱۳۴۱ ه . ش : ابریل - مای ۱۹۶۲ .
- « کلو » [البقرة] ، طهران ۱۳۵۰ ه . ش - ۱۹۷۱ م (سینما و فیلم) .
- « وای بر مغلوب » [الویل للمنهزم] ، طهران ۱۳۴۹ ه . ش - ۱۹۶۸ م - (مسرحية) .

من أعماله المترجمة الى اللغة الانجليزية :

- [Dandil] « دندیل » : Stories from Iranian Life, trans. by Robert Campbell , Hassan Javadi , and Julie Scott Meisami. New York : Random House , 1981 .
- [Fear and trembl ing] « ترس و لرز » , trans. by Minoo Southgate. Three Continents Press. Washington , D. C 1984.
- [The Game Is Up] « بازی تمام شد » , in Moder Persion short stories , trans. by Minoo Southgate. Three Continents Press. Washington , D. C 1980. PP. 180 - 201 .
- [The Wedding] « عروسی » , trans. by Jerome W. Cliton, Iranian Studies , 8 : 1 - 2 (Winter 1975). 2 - 47 .

الى اللغة الفرنسية

- [Le Mollah] « ملا » , traduit par Gilbert Lazard. Nouvelles Persanes Editions Phébas Paris 1980. PP. 201-236.
- [L'enfant] « بچه » , traduit par Gilbert Lazard. Nouvelles Persanes Editions Phébus, Paris 1980 PP. 237-269.

المخدع غلام حسين ساعدی

اصطف طابور من الناس أمام مخدع للهاتف على ناحية متفرق لاربعة طرق . الجو بارد وماطر ، والواقفون في حيرة وقلق من أمرهم . أنظارهم مشدودة إلى داخل المخدع .

رجل يرفع السماعة ويتحدث بهدوء وطمأنينة . يضحك . ثم يجهش بالبكاء فجأة . يأخذ سيجارة . يشعلاها ثم يستأنف الحديث . الآخرون عجلون قلقون . يفهمون بحقن واحتجاج . ينسى شخص من الطابور . يعبر الشارع ، ويضيع في الظلام . يتخلل بعضهم متربدا يريد الانسحاب من الطابور ، لكنهم لا ينسحبون . رجل في مقدمة الطابور الواقف يدق على الباب . الرجل الواقف داخل المخدع لا يبدي أي اكتئان . يضرب الرجل بقبضته على زجاج المخدع . يقطب في وجهه الرجل الواقف داخل مخدع الهاتف ويشير عليه أن لا يستعجل . المصطفون في الطابور يتحجون . الرجل داخل المخدع يستأنف حديثه مسرعا . يضحك ويضع السماعة يأخذ مذكرته مسرورا . يفتح الباب ويخرج . ينظر إليه الجميع محتقين . وبلا مبالغة يضيع الرجل في الظلام .

يدخل شخص ثان إلى مخدع الهاتف . وبنفعال يأخذ السماعة وهو يتبع بنظراته الرجل الضائع في الظلام . يستخرج مذكرته ويقلب وريقاتها يرمي بقطعة نقدية . يدير الأرقام ، ويشرع في الحديث . تنبسط أساير وجهه . يفتح ربطه عنقه ، ويستفرق في الحديث . يتمايل بجسمه ثم يستقيم ، وهو مستفرق في الحديث ، الشخص الواقف في مقدمة الطابور يضرب بقبضته يده زجاج مخدع الهاتف . يرمي الرجل من داخل مخدع الهاتف باستخفاف . يضحك ، ثم يستأنف حديثه . ينخرط فجأة في البكاء والنحيب . يضع السماعة . يلملم أشياءه ، يحكم ربطه عنقه ، ويخرج من مخدع الهاتف . بنظر إليه الجميع بنفور وامتعاض . يسير بلا اكتئان ، ويضيع في الظلام يحيى دور شخص آخر . يدخل مخدع

□ غلام حسين ساعدی □

الهاتف مقطباً ، ويغلق الباب بشدة وهو يبصق . يرفع السماعة ، ويرمي بقطعة نقدية . يشرع في الحديث ، يستغرق في الحديث . يدق بقدمه على الأرض . يهدا ثم يضحك . الواقفون خارجاً منفعلون ومتضايقون . يضربون على أيديهم ويضربون على ركبهم . ينسحب أفراد من الطابور ويضيعون في الظلام . يخرج الرجل من داخل المخدع ، وهو ينجشاً . يمتنطى سيارة وينطلق بسرعة .

امرأة عجوز بدينة تتكئ على عكازين تحت ابطيها ، تدخل مخدع الهاتف . تتمهل لحظات وتتنفس الصعداء . ترفع السماعة . ترمي بقطعة نقدية . تشرع في الحديث . تسأله . تتعجب . يحتاج الواقفون . العجوز متضامنة ، لا تسمع ، لا تفهم ، لكنها تواصل الحديث . الواقفون أمام المخدع مفتاخلون متأففون . الشخص الواقف في المقدمة يدق بقبضة يده منفعلًا على زجاج المخدع . العجوز لاتغيره التفاتاً . تضحك وتستقرق في الضحك . تنحى عكازيها جانبًا ، وتضع قدميها في باب مخدع الهاتف كيلا يدخل أحد . الآخرون استشاطوا حنقًا وقلقاً .

صاحب الدور الموالي صبي عمره عشر سنوات . يرفع السماعة ، وينهمك في الحديث . الجميع في الخارج منفعلون حيارى . يدخل الحيارى واحداً اثر الآخر . يستبد بهم انفعال القوة . يتحدثون غير آبهين بالمنتظرین . مخدع الهاتف مكان لتنازع القوة والسيطرة .

آخر شخص في الطابور ، رجل مسن سكران ، يدخل مخدع الهاتف حاملاً كيساً ممتلئاً بالنفاية . الرجل متعب وحائر . يرنو إلى الخارج . لا أحد . يجلس على أرضية المخدع ويستسلم للنوم .

أيد تدق على الباب . الريح تدق على الباب . يخرج الرجل المسن من مخدع الهاتف ، ويتمدد فوق مقعد .

تدخل الريح إلى المخدع ، ترفع السماعة . يدق المطر زجاج المخدع .

* * *

اعظم رهنو رزرباب

ت: د. محمد اللوزي

اعظم رهنو رزرباب :

ولدت في كابل بأفغانستان سنة ١٩٤٤ م . تنتهي إلى أسرة من الطبقة المتوسطة ، استقرت في « ريكاخانه » أحد الاحياء القديمة في كابل .

بعد أن استكملت دراستها الثانوية في معهد « حبيبه » التحقت بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة كابل، وحصلت منها على دبلوم في الصحافة . بعد الخدمة العسكرية ، عملت في وزارة الإعلام والثقافة . وبعد عام من ذلك ، أرسلت في بعثة دراسية إلى بريطانيا لتابعة دراستها العليا ، حيث حصلت على شهادة الماجستير في الآداب .

مارست زرباب الكتابة منذ أن كانت طالبة في المدرسة . لها أكثر من مائة قصة قصيرة .

صدرت لها مجموعة قصصية نشرت في كابل سنة ١٩٨٢ م ، كما ترجمت بعض قصصها إلى اللغة الروسية والإنجليزية والعربية .



□ البار والليد □

انتصبت في حينا لستوات شجرة جرداه يابسة ، وبجوار هذه الشجرة كان لإسكافي دكان ، كان الاسكافي يفتح دكانه كل صباح مطمئنا إلى قعدهه اليومية . وعند الغروب يوصد باب دكانه بقفل كبير وينصرف .

في حينا أيضا كان يعيش شخصان عاطلان ، ولا أعرف بالضبط سر عطالتهم . كانوا يذهبان كل صباح إلى دكان الاسكافي ويجلسان عنده ، حتى أصبحا على مر الايام وكأنهما جزء من اشياء الدكان .

مررت في أحد الايام بالقرب من دكان الاسكافي ، ولاحظت هدوءه وسكونه على غير عادته ، فقد أطرق برأسه واستغرق في التفكير يداعبه النعاس ، كان الشخصان العاطلان بدورهما مطرقين يداعباهما النعاس . بدا لي أنهما يقلدان الاسكافي ، اقتربت أكثر ، وخطر في ذهني وأنا أعاين منظر الاسكافي ، أن حادثة سيئة قد وقعت .

سالته :

ـ ماذا حدث ؟!

رفع رأسه ببطء ونظر إلي ، لم تكن في نظرته تلك اللمعة المألوفة ، بل كان يتلامح فيها شيء مبهم وغامض . رفع العاطلان أيضا رأسيهما ببطء ، وصويا إلى نظرة ساكتة ، لاتشف عن شيء ، قال الاسكافي ،
ـ لقد فر الباز ورحل .

تملكتني ضحكة .

تملكتني ضحكة من جوابه ، وسألته :

ـ كيف رحل ؟!

أجاب :

ـ طار وذهب .

غمري سرور خفي ، ولاحظ اشراقة هذا السرور في عيني ، وفجأة اطلقت ضحكة عالية . اطلق العاطلان ضحكة مماثلة . كانت ضحكة

□ الباز والقيس □

الاسكافي مشحونة بالانفعال والوعيد . وكانت ضحكة العاطلين خالية من اى احساس .

سألت الاسكافي :

— لماذا تضحك ؟ !

أجاب :

— لأن الباز اللعين سيموت وشيكا .

سألته :

— لماذا سيموت وشيكا ؟ !

أجاب :

— لأنني ربطت في رجله حبطة ، وسيظل الخيط قيدا في رجله .

عادت اللمعة المألوفة فجأة الى عينيه . واستتبلى :

— حين يحط اللعين فوق غصن شجرة ، فإن الخيط الذي في رجله سيلتف حول الفصن وسيلاقى هناك مصيره المحتمم .

اطلق ضحكة اخرى عالية .

انه خيط محكم ، لن يستطيع تمزيقه أبدا .

أصابني ارتعاش وارتعاب ، ويبس الفرح في قلبي

اطلق العاطلان ضحكة مماثلة .

— لا يستطيع تمزيقه ، لا يستطيع ...

قال الاسكافي :

— لقد اصطحب معه الموت .

قلت :

— انك فظ القلب جدا .

□ الباز والقيس

التمعت عيناه ، وقال :

— كنت أعطيه عصافير حية ، كان يقتل العصافير ويلتهمها .

لكنه طار وذهب . أنا ...

لم أوصل الأصفاء ، انطلقت بسرعة ، وأصداه كلام الاسكافي تردد في أذني .

.. وسيظل الخيط قيدا في رجله .. سيلتف حول الفصن ...
وسيلاقي هناك مصير المحتوم ، خيط محكم لن يستطيع تمزيقه أبدا .
كانت ليلة سيئة .

استلقيت على فراشي في الظلام ، لم ينعد لي جفن . ظلال الليل يضفي على صدري ، نهضت والقيت نظرة من النافذة إلى الخارج .
كان الحي هاجما في قرار الظلام ، وكان الظلام ناشراً أجنبة الضجر على كل مكان ، استلقيت مرة أخرى على السرير . في أعماقى الملبدة يعتمل هاجس ما . كلما حاول الخروج والانسلال امسك شخص بخناقه ورده إلى قراره .

كان الليل يمر بطينا ثقيلا ، وكانت أعماقى جائشة ، بدا الليل ينجلب شيئا فشيئا ، وأنا في حال بين النوم واليقظة . أرى العالم مشرقا بالخيوط ، كل الامكنة كانت مشرقة بخيوط طويلة وقصيرة ، كان حينا كرها من الخيوط ، خيوط محكمة لا يمكن تمزيقها . انتبهت إلى أن هذه الخيوط المحكمة مربوطة بارجل الناس ، كل شخص كان برجله خيط ، أنا أيضا كان برجلي خيط .

برغ الفجر ، وترامت من الحي جبلة ، تحركت واستويت واقفا ، ثم خرجت إلى الحي .

□ الباز والقيمة □

تجمع أناس بالقرب من دكان الاسكافي ، تحت الشجرة الجرداء اليابسة . كان الاسكافي يهمهم بشيء وهو يرقص ، وقعت عيناه على ، فاقرب مني راقصا وهو يقول :
— أرأيت ! لقد صدق كلامي .

سأله :

— ماذا حدث !؟

أجاب :

— تعال .

أمسك بيدي واقتادني الى الشجرة الجرداء اليابسة ، وأشار الى غصن .
— انتظن ، انظر ...

رأيت الباز في غصن الشجرة معلقا من أحدى رجليه . كان الخيط ملتفا بالغصن . وفوق الأغصان الأخرى تناهى ريش الباز الميت . كان الطائر في وضع يشير إلى ، ولسان حاله يقول ، هذه هي نهاية المطاف . ضحك الاسكافي وقال راقصا :
— ألم أقل لك انه سيموت وشيكا ، ألم ...

كانت عيون الحاضرين رانية إلى الطائر ، كانت خيوط العيون مشتبكة بخيط الطائر ، ولاح في العيون الرانية استبسار ورضي . وخيل إلى أنهم يقولون :

— حسنا ، لقد علق الباز من رجله ، أما أرجلنا فطلقة .

رنوتو إلى أقدامهم ، كانت القيود في أرجل الجميع . قيود وسلسل مصنوعة من حلقات صغيرة ، وكل حلقة على شكل (من) (١) .

(١) من : ضمير المفرد المتalking في اللغة الفارسية ، وتعني : أنا .

□ الباز والقيـد □

أطلقت فهقـة عـالية .

سـأل الجـمـيع بـصـوـت وـاحـدـ :
ـ لـمـاـذـا تـضـحـكـ ؟ !

أجـبـتـهـم بـضـحـكةـ قـوـيـةـ تـرـدـدـ صـداـهـاـ فـيـ جـنـبـاتـ الـحـيـ .

سـألـ الـحـيـ بـصـوـت وـاحـدـ :
ـ مـاـذـا دـهـاـكـ ؟ ! لـمـاـذـا تـضـحـكـ ؟ !

قلـتـ :

ـ أـنـتـ أـيـضاـ فـيـ أـرـجـلـكـ قـيـودـ .

توـجـسـ الـجـمـيعـ وـهـمـ يـنـظـرـونـ إـلـىـ اـقـدـامـهـمـ ،ـ وـقـالـوـاـ بـصـوـتـ وـاحـدـ :
ـ أـينـ هـيـ الـقـيـودـ ؟ !

توـجـستـ أـنـ أـنـظـرـ إـلـىـ رـجـلـيـ ،ـ كـانـ الـقـيـدـ مـلـتصـقاـ بـيـ ،ـ سـلـسلـةـ مـنـ
حـلـقـاتـ صـفـيرـةـ :ـ «ـ مـنـ مـنـ مـنـ »ـ .

بـدـاـ لـيـ فـيـ هـذـهـ الـلـحـظـةـ ،ـ أـنـ الـهـاجـسـ الـذـيـ كـانـ يـعـتمـلـ فـيـ أـعـماـقـيـ
الـمـلـبـدةـ ،ـ قـدـ خـرـجـ وـتـجـلـىـ ،ـ كـانـ كـلـ شـيـءـ يـبـنـوـ هـزـلـيـاـ .ـ ضـحـكتـ مـرـةـ آخـرـىـ .ـ
وـبـعـدـ لـحـظـاتـ ،ـ كـنـاـ جـمـيعـاـ مـعـلـقـينـ مـنـ رـجـلـ وـاحـدـ بـأـغـصـانـ الشـجـرـةـ .ـ
الـجـرـدـاءـ الـيـابـسـةـ .ـ كـانـ اـسـكـافـيـ بـجـوـارـيـ مـعـلـقاـ .ـ كـانـ مـنـظـرـهـ يـشـيرـ اـلـاسـىـ ،ـ
وـلـسانـ حـالـهـ يـقـولـ ،ـ هـذـهـ هـيـ نـهـاـيـةـ الـطـافـ !

عـلـىـ مـقـرـبـةـ مـنـهـ ،ـ كـانـ الـعـاطـلـانـ مـعـلـقـينـ ،ـ كـانـ مـنـظـرـهـمـ يـشـيرـ اـلـاسـىـ ،ـ
بـدـاـ لـيـ أـنـهـمـاـ يـقـلـدانـ اـسـكـافـيـ بـمـنـتهـيـ السـذـاجـةـ .

وـقـعـتـ عـيـنـايـ عـلـىـ الـبـازـ ،ـ وـتسـاءـلـتـ فـيـ نـفـسـيـ :
ـ تـرـىـ لـمـاـذـاـ عـادـ أـشـقـيـ إـلـىـ هـنـاـ ؟ !

انتـبـهـتـ إـلـىـ أـنـ لـلـبـازـ خـيـطاـ آخـرـ بـرـجـلـهـ ،ـ مـرـبـوـطاـ بـدـكـانـ اـسـكـافـيـ ،ـ
وـكـانـ هـذـاـ خـيـطـ مـجـنـوـلاـ بـأـجـسـادـ الـعـصـافـيرـ الـحـيـةـ .

* * *

جمال ميرصادقي

ت : د. محمداللوزي

جمال ميرصادقي :

قصاص وروائي وناقد أدبي . ولد جمال مير صادقي في مدينة طهران سنة ١٩٢٣ م . أصدر عدة مجاميع قصصية ، من أهمها : (الاميرة ذات العيون الخضر) ، و [عيناي متعبتان] ، ورواية [طوف الليل و ...] التي تعد من أهم الروايات الصادرة في السبعينات . يتميز العالم القصصي لجمال مير صادقي بالتركيز على التفاعلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وتأثيرها على نمو الشخصية الإيرانية . كما يعد من أوائل الكتاب الإيرانيين الذين بنوا رواياتهم على مواقف حياتية لا فكرية .

ترجمت بعض أعماله القصصية إلى اللغة الإنجليزية .

من أعماله :

- « برفها ، سكها ، كлагها » [ثنوج و كلاب و غربان] ، مجلنة « سخن » ، المجلد الحادي عشر ، العدد الثامن ، الصفحة: ١١٢٧ - ١١٣٥ ، اسفند ١٣٣٦ هـ . ش/ فبراير - مارس ١٩٥٧ م . (قصة قصيرة) .

□ ثلوج وكلاب وغريبان □

- « جسم های من ، خسته » [عینای متعبدان] ، طهران ۱۳۴۵ ه . ش ۱۹۶۶ م . (قصة قصيرة) .
- « دراز نای شب و ... » (طول الليل و ...) ، طهران ۱۳۴۹ ه . ش - ۱۹۷۰ م . (رواية) .
- « شاهزاده خانم جسم سبز » [الاميرة ذات العيون الخضراء] ، طهران ۱۳۴۱ ه . ش - ۱۹۶۲ م . (مجموعة قصصية) .
- « مسافرهاي شب » [مسافروا الليل] ، طهران ۱۳۵۰ ه . ش - ۱۹۷۱ م (مجموعة قصصية) .

من أعماله المترجمة الى اللغة الانجليزية :

— [The Snow , the Dogs , the Crows] « برفها ، مسكنها ، كلامها »
Trans. by Minoo Southgate. Washington , D . C : Three
Continents Press , 1980. PP. 62 - 74 .

* * *

بدأت الثلوج تتساقط هذا الصباح من جديد ، كدأبها طوال هذه الأيام رقائق بيض شببه بالفراشات تنزل من السماء هادئة وغامضة ، كالهدوء الغامض الذي يسريل في هذه الأيام سطوح المنازل وفروع الاشجار وسقف ذلك البيت المنزوي . لقد جرفوا الثلوج من فوق السطوح والسقوف هذا الصباح فيما خلا سطح البيت المنزوي . فقد بقي مجللا بالثلج لم تمتد يد لجرفه . وستظل الثلوج على حالها حتى تذوب من تلقائها تحت أشعة الشمس وتتسرب من الانبوب قطرة قطرة ، بصوت حزين .

نصب « محمود آقا » السلم الخشبي بحذاء الحائط ، وصعد عليه بخفة وكانه يصعد درجا . وقفت « توران خانم » أسفل السلم بجوار باب الفرفة ، ترنو بعينين قلقتين الى الاعلى ثم تقول :

□ نسوج وكساب وغرسان □

— عزيزي محمود ، أن الجو بارد ، ومن الأحسن أن تنزل حتى
لاتصاب بالبرد .. يضحك « محمود آقا » ويمد يديه يجرف بهما الثلج
في حركات سريعة . تشد « توران خانم » شادرها من حولها ، وتصبح
من تحت السلم :

— احتط لصحتك ياعزيزي ، أن الجو قارس ..

كنا نعيش سوية في البيت أنتأجر ، وعندما كنت أدور حول
حوض الماء بالفناء وأتجه صوب غرفتها المزروبة ، كان « محمود آقا »
يرفعني بكلتا يديه ويطردني في الهواء وهو يقول :

— هذا ولدي ... هذا الولد الجميل لي ...

كان « محمود آقا » سائق حافلة وحين كان يتغيب عن البيت بضع
ليالي ، كانت « توران خانم » تصطحبني إلى غرفتها وتقعدني فوق
ركبتيها ، ثم تحكي لي حكاية .

لكن غرفتها الآن ، أصبحت مستودعا للعفش وأكياس الفحم الحجري
وبعض الكراسي والطاولات التي كسرت في حفل زفاف أخي .

في ليلة زفاف أخي ، جلست بجانب « توران خانم » بالقرب من
النافذة . كنت أترفرج على الرجال الذين يزینون الفناء .

وكان قد مررت ثلاثة أو أربعة أشهر منذ أن تردد الخبر بأن « محمود
آقا » لن يعود مرة أخرى من السفر . منذ ذلك الحين و « توران خانم »
تلبس ثوب الحداد . غير أن أمي أجبرتها يوم زفاف أخي على خلع
ثوب الحداد .

كانت « توران خانم » تبدو في قميصها الوردي عروسًا جميلة
وفاتنة . كنت أجلس بجانبها وهي تنقي البذار ، وتضع في فمي بذرة
بين الحين والآخر . حين علمت أن « محمود آقا » لن يعود من سفره ،
طلبت من أمي أن تسمح لها بأن أنام معها في غرفتها . كانت تأخذني في
حضنها وأنام .

□ ثلوج وكلاب وغربان □

في المساء عندما تعود من العمل ، كانت تصطحبني إلى غرفتها وتناولني الفاكهة والجوز والفستق . بدأت تشتمل في معمل تنظيف الصوف منذ أن اشترت بالحداد . ورغم محاولات أبي « حاج آقا » لثنائها عن الذهاب إلى المعمل ، فإنها لم تذعن للاحتجاج ، ولم تتوقف يوم عن العمل . كانت تستيقظ باكراً ، توقد السماور وتهيء لنا الشاي . ثم تفادر البيت إلى المعمل دون أن تتحسنه .

كانت « توران خانم » ترثي إلى الرجال الذين يزبونون فناء البيت ، وهي تنقي البذار وتلقمي بعضها . كانت ترثي إليهم مشربة كثيرة يرثون الرائق إلى كأس مملوءة فوق جبيه .

نهضت « توران خانم » بعدها وأغلقت النافذة . وهي تقول :

— إن الجو بارد جداً ..

لكن الجو لم يكن بارداً جداً .

سألتها :

— « توري » هل أنت باردة ؟ !

امسكت راسي بيديها وأخذت تداعب شعره ، وقالت :

— لا يا عزيزي ، أنت لست باردة .

تذكرت أنها في ليلة البارحة كانت تود أن تحكي لي حكاية وهي تداعب شعر رأسي ، قلت :

— كنت تودين البارحة أن تحكي لي حكاية .

قالت :

— « حسناً ، تعال إلى جانب المصباح ، وسأحكى لك حكاية . جلسنا بجوار مصباح نفطي ، كان يصدر عنه أزيز كصوت طائر كبير ويشع منه نور وهواج كما لو أنه بيضة ذهبية .

□ نلوج وكسلاب وغرسان □

قالت « توران خانم » ثانية :
— ان الجو بارد ...

واقتربت من المصباح . لكنها لم تكن تبدو راغبة في الحديث .
قلت :

— لماذا لا تشرعن في الحديث ؟! قصي علي حكاية .

وضعت يديها على حافة المصباح وشرعت تحكي .. كانت عيناهما
مركزتين على المصباح . كانت عيناهما تحكيمان مع المصباح . وبدع انفراج
وانطباق الشفتين ، كانت كلماتها تتدفق باتساق وهدوء وكانتها مسبوكة
في عقد . كانت تحكي لي بصوت هادئ وحزين كصوت سيارة ترقى جبلًا .
امسكت بيديها المصباح ، وأخذت تتفرس فيه وكأنها لا تتفرس فيه .

كانت تبدو في هذه اللحظة كـ « توران خانم » حقاً (في صورتها
الجميلة) ، وهي تشد شادر من حولها وتقف تحت السلم الخشبي
 أمام باب الغرفة ، مشربئة بعينين فلقتين الى الاعلى وهي تقول :
— عزيزي « محمود آقا » أن الجو بارد ، احتط لصحتك ، حتى
لاتصاب بالبرد .

وبينا هي تتفرس في المصباح كان سواد عينيها ينداح في بياضهما .
كانت عيناهما مثل بيضتي عصفور . وسقطت من العينين قطرات دموع
ساخنة تحدرت على الوجه ، وقلت لها متوصلاً :
— لا تبكي يا عزيزتي « توري » ... لا تبكي .

مسحت وجهها بيديها ، وقالت :
— ابني لا ابكي يا عزيزتي ، لا ابكي .

دخل أبي في هذه اللحظة الى الغرفة بدون استئذان . وضفت
« توران خانم » شادرها فوق رأسها وتکست ببصرها . خيل الي أنها
تود ان تبكي ثانية . فامسكت بها متوصلاً .

□ ثلوج وكسلاب وغريبان □

قال أبي وهو يقتحم علينا الخلوة مبتسمًا:

— كم أنت جميلة! لقد أحسنت صنعاً إذ خلعت عنك ثوب الحداد إلى متى سيظل المرء مجبراً أحزانه؟ إنك ماتزاليين في دينان شبابك ، فانظري بالله عليك ما صنعت بنفسك . لقد نصحتك مراراً أن تلazıمي المنزل سيدة مصنونة ، وان تكتفي عن الذهاب إلى المعمل وكأنك بلا سند أو معيل ، لكنك لم تصفي لنصائحني ..

امتعق وجه « توران خانم » وحنت رأسها . كانت يداي في يديها . أحسست بهما فجأة باردين ، وكأنني غمستهما في ماء مثلج رنوت إليها ، كانت عيناهما مطريقتين ، وكانت يدها المشتبكتان بأصابعه ترتعشان كقلب عصفور . التصقت بها . كان جسمها بارداً .

أخرج « حاج آقا » درهماً ، وقال :

— جعفر ، اذهب سرعة إلى الدكان وأشتري لي علبتين من السجائر واحتفظ لك بالباقي هيا ، أسرع .

حين أردت أن أسحب يدي من يدي « توران خانم » كانت أصابعها متصلبة وملتصقة بأصابعه . أدارت ظهرها للمصباح ونظرت إلى الحائط .

ذهبت « توران خانم » في صبيحة الفد إلى المعمل ، وعاودت الذهاب في الصبيحة التالية ، ذهبت إلى المعمل سبعة أيام أخرى .

بعدها كفت عن الذهاب إلى المعمل . وبقيت معنا في البيت ...

كانت أمي جد مسروبة بذلك ، لأنها كانت ترك أشغال البيت « لتوران خانم » وتفادر ذاتها إلى أي مكان تريد ، دون أن يشغلها شاغل . وعنة ما تعود في الزوال أو في المساء ، كانت تجد كل شيء مرتبًا . حيث تقوم « توران خانم » بإعداد الطعام وغسل الصحون وتنظيف البيت ولهذا السبب كانت أمي تطري قدرتها ومهارتها . كانت تودها وتعزها .

□ نسوج وكساب وفريسان □

في بعض الاحيان كانت أمي تأخذ معها أخي الصغير أحمد ، وتذهب الى « شميران »^(١) عند بيت أخي الكبير لتقضي هناك عشرين يوم في طمأنينة وراحة بال . كما كانت تأخذ صرتها أحياناً أخرى ، وتسافر رفقة أخي إلى « طلقان »^(٢) لزيارة خالتى ، تاركة شؤون البيت « لتوران خانم » . حينئذ أظل أنا و « توران خانم » و حاج « آقا » لوحدينا في البيت .

في عصر يوم ، عدت من المدرسة الى البيت ، فوجدت « توران خانم » عارية وهي تتجه الى الحوض . كانت أمي قد ذهبت الى خالتى « عصمت » لتقييم عندها بضعة أيام .

لفت « توران خانم » شادرورها حولها ، وقالت لي :

— عزيزي ، ابق في الغرفة لحظات حتى استحم في الحوض .

قلت :

— وأنا أيضاً يا « تودي » أريد ان استحم في الحوض .

عندئذ أخذت تخلع ملابسي بفبطة وسرور . ضحكت « توران خانم » ونضت شادرورها عنها ورسته فوق السياج النباتي المحيط بالحوض . كانت عارية تماماً . عارية مثل أمي حين تخلع ملابسها في الحمام كانت بشرتها بيضاء كالحليب ، وجسدها ناصعاً كالصحون الصينية تعكس لمعان الشمس ، حتى خلت أنني لو رميتها بحجارة لتكسرت أطراها كقطع الزجاج .

حين رأتهني « توران خانم » أحدق فيها ، ضحكت وقالت :

— استح أيها الولد ، لانتظر الى هكذا ، استح ..

(١) شميران : اسم حي سدني شمال مدينة طهران .

(٢) طلقان ، او طالقان : اسم مدينة تقع بضواحي شمال غرب طهران .

□ نسوج وكساب وفريسان □

وبينا هي تضحك ، أمسكت شعري بين يديها تداعبها ورفعتني إلى أعلى وقبلت عيني . نظرت إلى بطنها المنتفخة مثل كرة ، كانت بطن أخي أحمد تنفسه بهذا الشكل كلما تناول طعام الفداء ، لست بطنها بيدي ، كانت صلبة مثل الحجارة .

قلت :

— أيتها الشرهة ، لقد أكلت كثيرا حتى انتفخت بطنك « توري » الشرهة .

رفعتني بيديها ، وقالت :

— هل تريد أن أصنع لك اختا صغيرة وجميلة ؟!

أجبت :

— نعم « توري » ، أصنع لي اختا صغيرة ، ليست لي اختا صغيرة . ضمتني إليها ، ثم أرتمت فجأة داخل الحوض وهي تضحك . التصفت بها من شدة خوفي ، شبكت يدي حول عنقها ودفنت رأسي في صدرها وأنا أصبح :

— أريد أن أخرج . لا أريد أن أبقى داخل الحوض . أريد أن أخرج .

قالت وقد تقلص وجهها من الضحك :

— أيها الشقي ، هل نسيت كيف كنت تحذر في ؟!

قلت لاهثا وأنا التصق بها بشدة :

— أريد أن أخرج .. لم أكن أحذر فيك ..

غضبتني تحت الماء عدة مرات ، ثم أخرجتني . كان الماء باردا جدا ، أوشكت أن أبكي ، فأخذتني إلى جانب الحوض ، وقالت :

— أسرع ياعزيززي . خذ الشادر ولفه جولك . حذار ان تصاب بالزكام . اذهب واجلس تحت الشمس .

□ تلوج وكسلاب وغريسان □

لفت الشادرور حولي ، وعدت مرة أخرى إلى جانب الحوض . استلقت « توران خانم » في الحوض مثل بطة بيضاء ، تحرك ساقيها وتردد :
— « آه .. آه .. » .

كانت تملأ فمهما بالماء وتمجه في الحوض ، وهي تردد :
— آه .. يارب .. آه .. يارب .

قلت وأنا أرجف :
— أريد أن أدخل معك الحوض .. أريد ..
* * *

لم يكن الصباح قد أسفـر ، حين نادت علي أمي ، ولم أكن أرغب في النهوض من مكانـي ، قلت :
— أريد أن أنام . لم أشبع من النوم بعد .

فهمست أمي في أذني :
— الا ت يريد أن تكون رجـلـنا ؟! انهض اذن ..

كان عمري آنذاك ثمانـي أو نـسـعـ سـنـوـاتـ ، لكنـيـ كنتـ اعتـبـرـ نـفـسيـ
رـجـلاـ نـاضـجاـ .

فنـهـضـتـ مـنـ فـرـاشـيـ وـفـرـكـتـ عـيـنـيـ .

في اللـيـلـةـ الـفـارـطـةـ قـالـتـ لـيـ أمـيـ قـبـيلـ انـ انـامـ :

— هل تـريـدـ انـ تكونـ رـجـلـناـ ؟! استـعـدـ اذـنـ لـتـصـطـحـبـناـ صـبـاحـ الفـدـفـ
إـلـىـ ضـرـيـعـ « شـاهـ عـبـدـ الـعـظـيمـ » (١) .

(١) مـزـارـ وـمـرـقـدـ فـيـ الصـاحـيـةـ الـجـنـوـيـةـ مـدـيـنـةـ طـهـرانـ ، حيثـ يـعـتـقـدـ النـاسـ انهـ مدـفـنـ
اـحـدـ اـبـنـاءـ الـاـمـامـ الرـضاـ ، وـيـعـتـقـدـ بـعـضـ الـؤـرـخـينـ انهـ مـرـقـدـ « اـبـوـ القـاسـمـ عـبـدـ الـعـظـيمـ »ـ منـ
سـلـالـةـ اـحـدـ اـئـمـةـ طـبـرـيـانـ الزـيـديـنـ .

□ تلوج وكلاب وفريسان □

قلت :

— أريد أن أكون رجلكم . سأتي معكم غداً إلى ضريح « شاه عبد العظيم » .

قالت أمي :

— حين سأوقظك صباح الفد ، يتبعني أن تنھض بسرعة.

كان بيتنا قريباً من محطة القطار ، وكان « حاج آقا » وأمي يستيقظان عادة في الصباح الباكر ، فيذهبان إلى ضريح « شاه عبد العظيم » ، ثم يعودان باكراً .

كنت جالساً في الفراش والنعاس يداعبني ، افکر في حيلة تعفيوني من الخروج .

قالت أمي :

— لا ت يريد أن تكون رجلاً؟! هيا انھض . . .

قلت :

— ان لم نكن ذاهبين ، فمن الأحسن أن أعود لأنام . .

فتح أخي الصغير أحمد عينيه . كانتا طافحتين بالنوم . حاولت مي ان تعيده إلى فراشه ، لكنه نھض ثانية وهو يردد :

— أريد أن آتي معكم . . أريد أن آتي .

قالت أمي :

— نم أيها الشقى ، لأنريد الذهاب إلى أي مكان .

صاح أحمد بصوت مرتفع :

— أريد أن آتي معكم . . أريد أن آتي معكم . .

قالت أمي :

— نحن ذاهبون إلى الحمام . نم كي أعطيك ريلاً .

□ تلوج وكلا布 وغريسان □

انخرط احمد في البكاء :

— انا ايضا اريد ان آتي معكم الى الحمام .. لا اريد ان انام.

قالت أمي :

— وسنذهب بعد ذلك الى الطبيب .. ان جئت معنا فسأطلبه منه ان يحقنك بشوكة .

واصل احمد بكاءه :

— اريد ان آتي معكم .. اريد ان آتي معكم ..

قالت أمي :

خفض صوتك ايها الشقي . عليك اللعنة .. ستوقف اباك .

كان « حاج آقا » مستغرقا في النوم يشخر .

ليسنا معاطفنا واتجهنا نحو الباب . كان احمد يبندو مثل كرة مطاطية . وكانت « نانه سكينه » تنتظرنا امام الباب في الزقاق . « نانه سكينة امرأة عجوز نحيلة وشاحبة . كانت تقوم بتنظيف ملابسنا في غالب الاوقات . وفي ليلة كل جمعة كانت النسوة يجتمعن في بيتنا ويشاورنها في المسائل الدينية . كانت قصيرة القامة تطلع في مشيتها وتحظى مثل الدجاجة ، ونظراتها منكسة وحدرة وكانها تخشى ان تقع على الارض . وكانت يداها تهتزان مثل عقربي الساعة . وقد لازمتنا في البيت منذ ان سافرت « توران خانم » ، لمساعدة أمي . ففي عصر أحد الايام . وأنا عائد من المدرسة ، الفيت كل شيء قد تغير . كانت غرفة « توران خانم » خالية .

تألمت كثيرا ، ولم اطق الذهاب الى المدرسة صبيحة اليوم التالي انتابتني نوبة حمى ولزمت البيت . اخبروني ان « توران خانم » قد سافرت وستعود قريبا . غير ان « توران خانم » لم تعد بعدئذ الى البيت الثانية . كان بيتنا في تلك الايام حافلا بالنزاع والخصام ، والكلام عن الطلاق . ولا

□ تلوج وكلا布 وغريان □

احد يحفل بي . كانت أمي دائمة الشجار مع « حاج آقا » . وحيثها « نانه سكينه » كانت ترعاني وتحكى لي قصصا . لكن قصصها لم تكن مثل قصص « توران خانم » كانت قصصا جافة .

ذات صباح ، خرج « حاج آقا » وأمي . ولما عادا ظهرا كانت أمي جد مسرورة . أسرعت تخاطب « نانه سكينة » فور وصولها : « لقد طلقها ! » .

وبحين اوت الى غرفتها ، قالت « نانه سكينة » وهي تهز رأسها :
— امرأة شقية .. امرأة عاجزة ...

كان « حاج آقا » يتقصد عرقا ، وعيناه حمراوان ، شديدة تهتز الااحمرار . توجه توا الى غرفة الضيوف ، وأغلق الباب وراءه ، واعتكف هناك عدة أيام لا يبرحها . كان يتلو القرآن ويجهش .

منذ ذلك اليوم بدأت أمي تواظب على زيارة الاهل . كانت تصطحب أخي الصغير أحمد وتذهب الى بيت خالي « عصمت » او الى بيت أخي الكبير ، وتمكث في الضيافة عشرين يوما . وفي غيابها كانت « نانه سكينة » تتケفل بمهام البيت .

* * *

التحفت « نانه سكينة » شادرها الاسود ، وانطلقت تمشي فوق الثلج كفراً اسود . لقد بدأ الثلوج يتتساقط منذ الليلة البارحة . كان يتتساقط ثم يتوقف ، لأن شخصا في السماء يفتح خيوط الثلوج ويرسلها الى أسفل ، يتوقف حينا ثم يبدأ من جديد .

زمجرت « نانه سكينة » وهي تشير الى احمد :

— لماذا جئت بهذا ؟! سيقرصه البرد ، وسترين عاقبة صنيفك
يا ...

□ ثلوج وكلاب وفربان □

قاطعتها أمي قائلة :

- لا حيلة لي معه . لقد استيقظت التمس مثل جني وشرع في البكاء فخفت أن يستيقظ « حاج آقا » . . .
- إذا استيقظت « حاج آقا » ووجد البيت فارغا ، فسيساوره الشك لامحالة .

قالت أمي :

— اليوم الجمعة ، سيظل نائما حتى الظهر . . .

كانت الأزقة خالية . وكان الثلج بساطا ناصعا وناعما فوق الأرض . كان الثلج ينتصف تحت قدمي كفصن يابس تلتهمه النار . وهناك في الخلاء ، في أقصى الحي ، اجتمعت الغربان تضرب بمناقيرها الثلج ، وكأنها سعيدة بالمشهد .

بالامس سمعت أمي تقول : « هذا ثلج الغربان » .

قالت أمي تسأل « نانه سكينة » :

— هل أنت متيقنة أنها حصلت على ذلك شيء !؟

سؤال أحمد :

— أي شيء تقصدين !؟

قلت :

— لا يعنيك ذلك .

قالت « نانه سكينة » :

— أجل ، لقد جاءت ليلة البارحة إلى باب الدار ، وأخبرتني بذلك .

سألت أمي :

— هل أضافت شيئا آخر !؟

□ تلوّج وكساب وغريان □

أجابت «نانه سكينه»

— قالت إنها ستنتظرنا وراء الباب حتى نظر قه .

سؤال أحمد :

— من سينتظر وراء الباب ؟!

قلت :

— لا يعنيك ذلك .

سألت أمي :

— ألم تسألي كيف كانت النتيجة ؟!

أجابت «نانه سكينه»

— كانت حسبما يتمناه «حاج آقا». إنها بنت .

قالت أمي :

— عليه اللعنة لما سبب لي من آلام واتعب !

قالت «نانه سكينه» وتأنثها تستعيد بالله :

«هس س س ..»

قالت أمي :

— لنسرع ، فان الصبح على وشك ال碧زوج .

حنت «نانه سكينه» رأسها ، وقالت :

— «ان الجو بارد جداً .

قال أحمد :

— لست بارداً ».

قلت :

— انك ترتجف .

أجاب :

— ليس أنا .

□ نسوج وكساب وفربان □

قالت أمي :
— كفى !

تقدمنا أنا وأحمد إلى الإمام ، تتبعنا « نانه سكينه » وأمي .

كان الثلوج هذه المرة يتفتت تحت أقدامنا كالقطن ، وتظل آثار أقدامنا مرسمة عليه . كان أحمد ينظر إلى أثر قدميه كلما خطوا خطوة ويضحك مبتهجا . كان يقفز حوالينا بمعطفه الأبيض ويلهث . كانت وجنتاه حمراؤين ، وكانت يداه كذلك .

قلت لأمي :
— أن أحمد بردان ..

قالت أمي :
— يستحق ذلك ، من قال له أن يجيء معنا ؟!

قال أحمد محتاجا :
— لست برданا ، لست برданا .

تساءلت أمي :
— أما زالت الطريق طوبلا ؟!

أجبت « نانه سكينه » :
— لقد اقتربنا من الوصول ، ففي نهاية هذا الحي سينتهي سيرنا .

قال أحمد :
— أية نهاية ؟ لا أريد أن أذهب إلى الطبيب .

سألت :
— السنا ذاهبين إلى ضريح « شاه عبد العظيم » ؟!

أجبت أمي :
— « بلى ، سنعرج أولا على بيت « نانه سكينه » لتأخذ بعض حاجياتها بعدئذ سنذهب إلى « شاه عبد العظيم » .

□ تلر وکسلاب وفرسان □

قال أحمد :

ـ لماذا الذهاب الى بيت « نانه سكينه » ؟ لا أريد أن أذهب الى هناك . أريد ان أذهب الى « شاه عبد العظيم » .

قلت لها :

ـ تستحق فعلا هذا البرد ، كان عليك ان تبقى في البيت .

قالت أمي لها :

ـ لنسرع الخطى ، فالصبح على وشك البزوغ .

قالت « نانه سكينه » :

ـ أخبرتني أنها ستظل تنتظرنا وراء الباب حتى نظر قه .

سأل أحمد :

ـ من ينتظرنا ؟ !؟ .

قالت أمي :

ـ لابد أن تمضي الأمور على مايرام .

قالت « نانه سكينه » :

ـ أعرف . لقد طلبت منها أن تتعهد الأمور بدقة فلا فيها لاي صدام .

قال أحمد :

ـ آية أمور ستتعهد ؟!

قلتها :

ـ صه ، لا يعنيك ذاك .

قالت أمي :

ـ إن المسالة لن تستفرق أكثر من دقيقة ، ولا يهمني بعدئذ ما سيحدث .

سألت « نانه سكينه » :

ـ لكن ماذا سيحدث أن لم تسلمه لنا !؟

□ تلوّج وغلاب وغريـان

أجابت أمي :

— إن لم تسلمه لنا ؟ ! وهل تقدر على ذلك ؟ ! سننتزعه منها عنوة
إن فعلت . أو لم تقرر ذلك ؟ !

سألت « نانه سكينه » :

— وسننجز بعدئذ ما قلته لي في الليلة البارحة ؟ !

أجابت أمي :

— أجل ، أو مازلت تشکین في ذلك ؟ !

سألت « نانه سكينه » :

— وماذا ستقولين « للحاج آقا » ؟ !

أجابت أمي :

— « حاج آقا » ؟ عندما يعلم سيسير حتما ، سيتخفف على الأقل
من ميزانية أحد الأفواه .

قالت « نانه سكينه » :

— لكن ياعزيزتي .. لكن ..

قالت أمي :

— ماذا تعنين ؟ !

قالت « نانه سكينه » :

— إن الجو بارد جدا .. والكلاب ! الا تحسين بالذنب ؟ !

قالت أمي :

— أي ذنب ؟ انه لقيط .

سؤال أحمـد :

— أي لقيط ؟ !

قالت « نانه سكينه » :

— لكن ياعزيزتي .. لكن ..

□ تلوج وئلا ب وفرسان □

صاحت أمي :

ـ كفى ، أنت أيضا !

حنت « نانه سكينه » رأسها ، وقالت :

ـ أن الجو بارد .

أجاب أحمد :

ـ لست بردانا .

قلت :

ـ انك ترتجف مثل كلب .

قال أحمد :

ـ أنا أرتجف .. أنا أرتجف !!

قالت أمي :

ـ كفسي .

عندما وصلنا الى نهاية الحي ، دخلنا في زقاق ، افضى بنا الى زقاق آخر، ومنه الى زقاق آخر .. أزقة ضيقة ومظلمة، يتدخل بعضها في بعض . وأكواخ طينية مرصوصة واحد تلو الآخر ، كجفات السباحة.

تقدمنا « نانه سكينه » خطوات الى الامام . وكيلًا اترك أحمد يتقدمني مدلت ذراعي بين جداري الزقاق . وأخيراً توقفت « نانه سكينه » أمام بيت واطيء وعربيض ، ودقت بهدوء . فتحت الباب امرأة عجوز بدينة وقصيرة . عيناهَا تومضان كعیني قطة ، وفكاهَا يتحرّكان كان في فمها شيئاً تلوكه . أوّمات الى أمي و « نانه سكينه » بالدخول.

همست أمي في أذني :

ـ عزيزي جعفر ، هل لك ان تلاعب احمد لحظة ريشما ادخل وأعود ؟! وأعدك بأن اشتري لك محفظة كبيرة حين سأذهب الى السوق .

□ نسوج وكسلاب وغريـان □

قلت :

— لن تشتريها لي . انك تخدعني بـهذا الـوعـد !

قالت أمي :

— أقسم لك بـحيـاة « حاج آقا » أـنـي سـأـشـتـريـهاـ لـكـ .ـ وـعـلـيكـ فـقـطـ
انـ تـلـهـيـهـ لـبـضـعـ دـقـائـقـ .ـ هـلـ فـهـمـتـ ؟ـ

سألتها :

— ماـذـاـ تـرـيـدـيـنـ فعلـهـ بـالـداـخـلـ ؟ـ

أجبـتـ :

— لاـشـيءـ .ـ سـنـاخـذـ فـقـطـ بـعـضـ حـاجـيـاتـ « نـانـهـ سـكـينـهـ »ـ وـنـعـودـ.

ثم اقتربت أمي من أحمد وهنـمتـ فيـ أـذـنـهـ بشـيءـ ،ـ فـابـتـسمـ اـبـتـسـامـةـ
عـرـيـضـةـ وـقـالـ :

— حـسـنـاـ ،ـ لـنـ أـخـبـرـ أـحـدـاـ ،ـ لـكـ يـجـبـ أـنـ تـشـتـريـ لـيـ ذـلـكـ .ـ
دـلـفـتـ إـلـىـ الدـاخـلـ ،ـ وـجـلـسـتـ إـنـاـ وـأـحـمـدـ عـلـىـ عـتـبـةـ الـبـيـتـ اـنـكـوـخـيـ
الـقـابـلـ .ـ

قالـ أـحـمـدـ ضـاحـكاـ :

— هلـ تـعـلـمـ ،ـ لـقـدـ وـعـدـتـنـيـ أـمـيـ أـنـهـ سـتـشـتـريـ لـيـ قـطـارـاـ .ـ ظـلـبـتـ
عـنـيـ أـنـ لـأـخـبـرـ أـحـدـاـ بـخـرـوجـنـاـ .ـ

وضـحـكـ فـرـحاـ .ـ بـذـاتـ أـضـجـرـ .ـ

سألـتـ أـحـمـدـ :

— هلـ تـرـيـدـ أـنـ تـلـعـبـ الـاسـتـفـمـاـيـةـ ؟ـ

أـجـابـ :

— وـكـيـفـ ؟ـ

— عـلـيـكـ أـنـ تـفـمـضـ عـيـنيـكـ ،ـ وـتـبـقـيـ جـالـسـاـ عـلـىـ عـتـبـةـ ،ـ وـاـذـهـبـ
إـنـاـلـاـخـتـفـيـ .ـ

□ نسوج وكساب وفريسان □

— لا ، لا أرحب في ذلك ، تريده أن تتركني هنا وحيداً وتذهب أنت لحالك .

— حسناً ، إن كنت لا ترغب في اللعب فلا تفعل .. وان كنت ترغبة فاذهب واختبئ أنت ، وساظل أنا جالساً هنا .

— موافق ، سأذهب لاختبئ .

... انطلق يعدو باحثاً عن مكان يختبئ فيه . فانطلقت انزل درج البيت محاذراً ، ودخلت إلى فناء البيت مقتفيًا أثر أمي . كان الفنان وسيعاً خالياً وعديقاً تحيط به غرف صغيرة ، ومن بعض الفرف ينبعث نور باهت . وكانت تصل إلى أنفي رائحة كربهة من الفنان . فتشتت عن أمي و «نانة سكينه» من غرفة لآخر ، فلم أتعثر لهما على أثر . خفت أن أتقدم خطوة أخرى إلى الإمام ، وانتابني ذعر ، فوقفت عنهـ مدخل الفنان أرنو إلى الفرف . فجأة وقع بصري عبر سرادب يقع في الطرف الآخر من الفنان على أمي و «نانة سكينه» ومن ورائهم العجوز البدنية ، يصعدن مسرعات من درج السرادب إلى الفنان . كان شادور «نانة سكينه» منتفضاً بشيء . عندما وصلـ إلى وسط الفنان ظهرت في عتمة السرادب يدان بيضـلـوان مثل جناحـي حمامـة ، تكرزان على الثـلـج فوق حافةـ الفنان . ويزـرـ فجـأـة وجهـ امرـأـة . كان وجهـها أبيضـ كلـونـ الثـلـجـ فيـ الفنانـ . وكانت عينـهاـ تـبـدوـانـ مثلـ ثـقـيـنـ أسـودـينـ وـسـطـ بـيـاضـ وجهـهاـ ، كانـ فـمـهاـ مـفـتوـحاـ وـكـانـهاـ تـرـدـدـ أوـ تـجـهـدـ انـ تـرـددـ : «آهـ آهـ آهـ آهـ» كـرـزـتـ علىـ الثـلـجـ وـتـهـاـوتـ عـلـيـهـ بـصـدـرـهاـ ، ثـمـ رـفـعـتـ رـاسـهاـ تـقـتـفـيـ بـعـينـيهاـ أـثـرـ أمـيـ وـ «ـنـانـةـ سـكـيـنـهـ»ـ وـ تـمـ يـدـيهـاـ النـحـيفـيـنـ الـبـيـضـلـاوـيـنـ نـحـوهـماـ كـانـهـاـ تـنـاشـدـهـماـ شـيـئـاـ . ظـلـ فـمـهاـ مـفـتوـحاـ يـنـبـعـثـ مـنـهـ بـخـارـ أبيـضـ فيـ الجوـ ، وـكـانـهـاـ تـرـدـدـ أوـ تـجـهـدـ نـفـسـهـاـ انـ تـرـددـ :

«آهـ آهـ آهـ آهـ» .

□ نسوج وكساب وغربان □

وخيّل إلى لحظة أن تلك المرأة هي « توران خانم » لكن « توران خانم » لم تكن أبداً نحيفة بهذا الشكل . اقتربت منها الفرس فيها ، كانت يداها مبسوطتين ونهداها الكباران البيضاوان انسلا من داخل قميصها والتصقا بالثلج . وكان شعرها الفاهم الفزير منشوراً أيضاً على الثلج . تراجعت فجأة إلى الوراء . انزلقت وانجرت إلى داخل السرداد . ظلت يداها مبسوطتين في الهواء ، وفمهما مفتوحاً ينبعث منه بخار أبيض ويردد : آه ، آه ، آه ، آه .

* * *

عندما ابتعدنا قليلاً عن البيت ، توقيت « نانه سكينه » وتساءلت وهي تنظر إلى داخل شادرورها :
— ماذا نصنع به الآن؟!

قالت أمي :
— أما زلت تسألين ماذا نصنع به؟! ألم أخبرك منذ البداية ماذا نصنع؟!

لم تكن أمي تستطيعمواصلة الحديث ، وكان غصة تعترض حلقها .
قالت « نانه سكينه » وقد صار صوتها جهيراً كالنفير :
— لا استطيع .. أقسم بالله .. لا استطيع ، الكلاب .. الغربان الكلاب في الخلاء تركض فوق الثلج هنا وهناك ، تتشمم الثلج وتطارد الغربان . كانت الغربان جائمة فوق الجدران والثلوج تنقل كتل الثلج بمناقيرها ، وتنظر إلينا شزراء بعيونها الصنيرة السوداء .

تساءلت أمي :
— الهي ، ما هذا الثلج الغرابي؟!
ثم أردفت تسأل « نانه سكينه » :
— هل تذهبين لتنفيذ ذلك ، أم لا؟!

□ نسوج ونكلاب وفريزان

أجبت «نانه سكينه» :

— إني خائفة .. إني جد خائفة ياعزيزتي .. أخاف ..
صان صوتها صفرا .

قال أحمد :

— أنا لست خائفا .

قلت :

— إنك تخاف من الغول —

قالت أمي :

— أسرعِي أيتها المرأة ، هل تريدين أن تشرق الشمس فيقتضح
الامر ؟ ! .

قال أحمد :

— أنا لا أخاف من الغول .

قالت «نانه سكينه» :

— إني لا أستطيع ياعزيزتي .. لا أستطيع ..

صاحت أمي :

— هيا ، اذهببي وأرمي به عناك .

أجبت «نانه سكينه» :

— لا أستطيع .. لا أستطيع ياعزيزتي .. أنه ائم تبشير .

قال أحمد :

— ماهذا الذي لا تستطيعين ؟!

قللت :

— أما أنا فأستطيع ان أفعل كل شيء ، إني رجل .. رجل قادر .

قال أحمد :

— وأنا أيضا أستطيع .. أنا أيضا رجل .

□ نسوج وكساب وغريزان □

قلبت آن :

— أنت ! أنت رجل ؟!

قالت أمي «نانه سكينه» :

— اذا هبة أنت ؟!.

قال أحمد :

— أنا رجل . أنا رجل .

قالت «نانه سكينه» :

عزيزي ، لا استطيع ان افعل ذلك . اني حائفة .
صار صوتها حادا كصفاره .

قال أحمد :

— أنا لست خائفاً . أنا رجل .

قلبت آن :

— أنت تخاف الذهاب ليلا الى المرحاض ، ولا بد ان يصحبك احد :

قال أحمد :

— وانت ايضاً .

قالت أمي :

— هل تذهبين اخيراً م لا ؟! ان الشمس توشك ان تطلع ...

قالت «نانه سكينه» :

— رحماك يا الهي ، رحماك ..

تحرك يداها تحت الشادر ، وتهب الريح باردة فینتفخ شادرها
مثل بالون .

قلبت الأمي :

— أين تريدينها ان تذهب ؟!

□ تلوج وكلا布 وفرسان □

قالت أمي محنقة :

ـ اللعنة ! أعطيني أياه . كنت أعلم منذ البداية إنك غير قادرة على القيام بذلك .

فتحت « نانه سكينه » شادرها وناولت أمي صرة بيضاء . حين مدت أمي يدها لتأخذ الصرة من « نانه سكينه » ، انزاح ثوب أبيض وبدأ من خلاله شيئاً مستديران سوداوان يلمعان مثل حبتي عنبر ويتحركان بسرعة . أخفت أمي الصرة فوراً تحت شادرها ، وقالت :

ـ انتظروني هنا حتى أعود .

قلت :

ـ إلى أين أنت ذاهبة ؟ أريد أن آتي معك .

قال أحمد :

ـ وأنا أيضاً أريد أن آتي معك .. سأبكي إن لم تأخذني معك ،
ابتعدت عنا أمي قليلاً ، وقالت :
ـ انتظرا هنا لحظات وسأعود حالاً ، والا فلن أشتري لكما ما
وعدتكما به ...

* * *

اشرق الصباح ، وما زالت الاحياء خالية من المارة . الكلاب تركض في الخلاء هنا وهناك ، والغربان تطير ثم تحط على الجدران والثلوج . تتشمم الكلاب الثلج وتضرب الغربان بمناقيرها في الثلج وكأنها تريد ان تقتلع شيئاً من الأرض .

اقتفي أمي كلبان يتسممان الثلج . كانت السماء في هذه الاثناء مثل كرة من الدم .

حينما عادت أمي ، كان الجو غائماً . وكان الثلج يتتساقط وثيداً . انطلقنا نسير صامتين . كان رأس أمي منكساً تحدق في الثلج . قالت : .. إن الجو بارد .

□ تلوج وكساب وغريان □

قال أحمد :

— أنا لست بربانا .

كانت « نانه سكينه » تحمله فوق ظهرها .

قلت :

— انك ترتجف مثل كلب .

قال :

— أنا لا أرتجف ، أنت الذي ترتجف .

قلت :

— لا داعي للإنكار ، قل : « انك ترتجف مثل شجرة صفصاف » .

قال :

— « نك ترتجف . انك ترتجف » .

كانت أمي تحدق في الثلج . قالت وقد صار صوتها حادا كالصغير :

— « أن الجو بارد » .

بعدها .

ذهبنا جمِيعاً لزيارة ضريح « شاه عبد العظيم » .



جَلَالُ آلِ أَخْمَد

١٩٦٩ - ١٩٣٣

ت : عَمَارُ أَحْمَد حَامِد

ولد جلال آل أحمد وترعرع في طهران وهو ابن لرجل دين مسلم شيعي . تلقى تعليمه في طهران ونال درجة الدكتوراه في الأدب الفارسي في جامعة طهران .

صدرت له أولى مجموعاته القصصية عام ١٩٤٦ بعنوان (تبادل زيارات) ، تلتها مجموعته القصصية (معاناتنا) عام ١٩٤٧ ، و (السثار) عام ١٩٤٩ ، و (امرأة غير مرغوبة) عام ١٩٥٢ ، و ١٩٦٤ . صدرت له مجموعة من قصصه المترجمة في كتاب (أدب الشرق والغرب) ١٩٨٠ عام ٢٠ و (المجتمع الايراني : عيون الأدب) تأليف جلال علي احمد عام ١٩٨٢ . في عام ١٩٥٠ تزوج الكاتبة (سيمين دانشور) المولودة عام ١٩٢١ ، وقد اعترف بدورها الهام في أهميته ككاتب كبير في ايران في الستينيات .

تحول في منتصف الخمسينات الى الرواية ، وأصدر أربع روايات : (حكاية الفقر ، ١٩٥٥) (مدير المدرسة ، ١٩٥٨) (ن والقلم ، ١٩٦٧) (لعنة الأرض ، ١٩٦٨) ترجمت رواية (مدير المدرسة) عام ١٩٧٤ و ١٩٨٦ وبالقلم (١٩٨٩) بينما ظهرت ملخص قصة « نقوتين زمرين » التي تضمنها كتاب (أدب الشرق والغرب) ٢٠ (١٩٨٠) .

كتب آل أحمد إلى جانب القصص القصيرة والروايات حوالي أربع عشر مجموعة من النثر غير الروائي ، أهمها : ضائع في الزحام عام ١٩٦٤ ، الترجمة الانكليزية عام ١٩٨٥ مقتبسة من حجه إلى مكة ، وأشهر أعماله : (المقالة الجدلية) غرب زدكي التي نشرت في ترجمات عديدة تحت عنوان (Weststruckness) (١٩٨٢) (بلاد من الغرب) ١٩٨٢ و «الاستغراب» ١٩٨٤ .

صدرت له مجموعة قصصية بعد وفاته بعنوان (خمس قصص) عام ١٩٧١ . بعد ذلك بعشر سنوات صدرت سيرة حياته المثيرة للجدل حول عدم انجابه اطفالاً من زواجه تحت اسم (حجر في القبر) ، التي كتبها عام ١٩٦٤ ، وصدرت في طهران ، وثم منعها بعد صدورها بفترة قصيرة .

* * *

الزوج الاميركي

● قصة : جلال آل أحمد

(١٩٢٣ - ١٩٦٩)

● ترجمة : عمار احمد حمود

«فودكا؟ لا ، شكراء . لا أستطيع تناول الفودكا .

بامكاني تناول ال威isky اذا كان لديك . مايكفي فقط مليء قعر الكاس . شكراء جزيلاً . لا أستطيع تناول المزيد . أبوجد لديك صودا؟ هنا شيء جداً . لقد اثرت على عادات الكلاب القدرين . لو تعلم كيف كان يتناول ال威isky بالصودا ! أثناء اقامتي في منزل والدي ، لم اتناول الكحول أبداً . ووالدي نفسه لم يكن يتناول الكحول أبداً . ليس لأنه تقى ، بل لأن ذلك من تقاليد منزلينا . أول شيء علمني أيام ذلك الكلب القدره هو كيف أمزج ال威isky بالصودا . لأن أول شيء كان يريد عندما يصل إلى

□ جلال آل محمد □

المنزل هو ان اقدم اليه كأس ال威سكي ، حتى قبل ان يغسل يديه . لو كنت اعلم ما الذي كان يفعله بهاتين السيدتين !... في بعض الاحيان . عتلعا يكون خارج المنزل ، كنت اشعر بانني اتناول ال威سكي الذي شربه منه .

هذا ظلعا قبل ان ارزق بطفلي . كنت اشعر بالوحدة ، بيد اتنى لم اكن استطع هذا ال威سكي ، انها تحرق حنجرتي . اشد ما كان يصر عليه هو ان اتناول ال威سكي معه ، لكنني لم اكن افعل .. لكنه اصر على ان يجعلني اشرب البيرة عندما أصبحت حاملا . كان يقول أنها مفيدة من أجل طيببي . لكنني لم اكن اتناول ال威سكي أبدا . لم اعتد عليها في نهاية الامر . لكنني عندما اكتشفت في ذلك اليوم حقيقة عمله ، لم اتعالك نفسي وشربت من ذلك ال威سكي ، وصبت كاسا لي . واخر لـ « صديقه » تلك . كانت خطيبته السابقة . هي التي اتفق في حقيقة الامر والخبرة حقيقة عمله . جلسنا انا وهي . هناك نشرب ونواسي بعضنا . اذا لم يكن ذلك الوقت مناسبا للبكاء ، فمتي يكون اذا ؟ فكر في هذا الامر ، فتاة تحمل شهادة جامعية ، جميلة - كما تعلم ، من عائلة محترمة ، كل شيء متوفرا لها ، تعلمت اللغة الانكليزية - مهما يكن من أمر ليست بحاجة الى ان تتخذ اي رجل زوجا لها ، ثم هذا ؟ ... أصدق ذلك ؟ البلدة مملوقة بالشباب الايرانيين المثقفين . كل هؤلاء المهندسين والاطباء ، .. كل هؤلاء الشباب الملعونين يذهبون وينخدرون الاوربيات او الاميركيات زوجات لهم . يتزوجون ابنة جارهم ساعي البريد او أمين صندوق في سوبر ماركت محلية او مساعدة طبيب اسنان كانت وضعت ذات مرة المقطن في افواهمهم .

وانظر عندها كيف يتباھین ، فيعتقدن أنفسهن سوزان هيوارد او شارلي ماكلين او اليزابيت تايلور ساصلفهن لك . لقد رأیت احداهن بي احدى الامسيات . كانت قد تزوجت منذ شهرين احد هؤلاء الشباب

الإيرانيين وأقامت هنا مدة أسبوعين . تلقى زوجها برقية استدعاء لانه أصبح عضوا في البرلمان . استدعاني صاحب المنزل حتى لا تكون مستأجرته الأجنبية وحيدة ، حيث بامكانها التحدث الى أحد يتكلم لفتها . كان هذا في الأسبوع الماضي . تلك الفتاة ذات الل肯ة التكساسية .. لا .. لا تضحك فانا لا امزح . كان عليك ان تنظر اليها وهي تفتح فاهها عندما تتحدث . كانت ماتزال اظافرها خشنة . فمن الواضح انها اعتادت ان تفسل الكثير من الاطباق كل يوم . أتعلم ماذا قالت وقتها ؟ قالت : لقد أتبنا ومعنا الحضارة لكم وعلمناكم كيف تستعملون مصابيح الفاز . والفالسات .. وشيئا من هذا القبيل . من يديها كان واضحـا انها مازالت تفسـل بهـما الشـيـاب بالـطـشتـ فيـ تـكـسـاسـ ! وكل ذلك الكـبرـيـاءـ المصـطـنـعـ المـزـيفـ ! كانت ابنة راعي ، وليس احد الذين اكتشفوا النفط في ارضهم واصبحوا بارونات نفط .

لا . كانت ابنة راعي يعني بقطـيعـهـ . لم أقل لها شيئا بالطبع .
لكن رجلا من المجموعة تكلم بـانـكـلـيزـيـهـ رـكيـكةـ وقال :

اذا كان هذا ماعنته بالحضارة ، فبامكان الشركة التي أرسلتكلينا اذا كافية مع الفسـالـاتـ ان تـبـقـيـ عـلـيـهاـ كلـهـاـ لمـ تـفـهـمـ الفتـاةـ شيئاـ بالـطـبعـ لـانـهـاـ لمـ تـفـهـمـ انـكـلـيزـيـتـهـ . وـكانـ عـلـيـ اـنـ اـتـرـجـمـ لـهـاـ . لـكـنـهاـ ، وـبـدـلـاـ منـ اـنـ تـجـيـبـهـ ، التـفـتـ إـلـيـ . وـقـالـتـ اـنـ لـابـدـ وـانـيـ كـنـتـ اـمـرـأـ لـاـ اـخـلـاقـيـةـ وـضـائـعـةـ حـتـىـ طـلـقـنـيـ زـوـجـيـ . قـالـتـ هـذـاـ وـهـيـ خـارـجـةـ . لـقـدـ أـخـبـرـتـهـ بـقـصـتـيـ حـتـىـ أـخـفـ وـطـيـ كـلـمـاتـ الشـابـ القـاسـيـةـ عـلـىـ مـسـامـعـهـ وـاخـفـ شـعـورـهـ بـالـوحـدةـ ؟ قـلتـ لـهـاـ بـأـنـيـ كـنـتـ فيـ اـمـرـيـكاـ وـتـزـوـجـتـ هـنـاكـ منـ اـمـرـيـكيـ ثـمـ حـصـلـتـ عـلـىـ الطـلاقـ . وـلـهـذـاـ السـبـبـ عـدـتـ . اـتـلـمـ ماـذـاـ قـالـتـ لـيـ عـنـدـمـاـ قـلـتـ لـهـاـ حـقـيقـةـ عـمـلـ زـوـجـيـ الـذـيـ كـانـ سـبـبـاـ فيـ طـلـقـيـ مـنـهـ ؟ قـالـتـ اـنـ لـاشـيءـ مـعـيـبـ فيـ هـذـاـ . فـأـيـ وـظـيـفـةـ لـاـسـتـدـعـيـ الخـجلـ .. لـابـدـ اـنـ

عائلته كانت ت يريد التخلص منك حتى لا يتمكن طفلك من المطانبة بميراثه. او لأنك عديمة الاخلاق ، او أي شيء من هذا القبيل . لم يكن يعنيها أبدا أنها وصلت لتوها !

لقد تصرفت وكأننا ملتزمين تجاهها. حسنا ، من الواضح أن زوجها كان عضوا في البرلمان . لو لم يذهب هؤلاء الشباب الملعونين ويتزوجوا عاهرات كهذه ، عندها لن يكون هناك داع لفتاة مثلني ان تضع نفسها في أمر كهذا ... لا ، شكرًا . لاتصب لي المزيد . سأفترط في تناول انويسكي . وسيكي على معدة خاوية . القليل فقط ، ما يكفي ملء قعر الكأس ، هذا يكفي . قطعة صغيرة من الجبن لا يضر ، اذا كان لديك ... شكرًا . آه ! هذه جبنة ؟ لماذا هي شديدة البياض ؟ وماحلاحة جدا ! من أين هذه الجبنة ؟ ليكfan ؟ أين تقع ؟ ... لست معتادة عليها . اعرف الجبن الهولندي ، والالماني ، لكن هذا لا

لا أحبه اطلاقا . هذا الجبن بالفستق جيد . شكرًا . ماذا كنت أقول الآن ؟ آه . أجل . التقى في النادي الاميركي . كنت أحضر دروسا في اللغة لمدة عام . وانت تعلم كم هو مزدحم هذا النادي . عندما حصلت على الدبلوم وقعت على فحص قبول الجامعة . وانت تعلم كيف هو الامر . كيف يمكن للمرء ان يتم قبوله من بين عشرين او ثلاثين الف شخص لهذا السبب اقترح علي والدي ان أحضر دروسا في اللغة . قال : ان الامر سيكون مسلينا ، وستتعلمين لغة أجنبية في نفس الوقت . في ذلك الوقت كان ابن العاهرة القذر هو المدرس . كان طويلا . جميل المظهر . اشقر . أمريكي مثالي . يداه طويلة . تقطيأن دفرا مدرسيا بأكمله . احببنا بعضنا . من البداية . كان على خلق جميل . دعاني في بادئ الامر لحضور معرض رسم يقام في ناد جديد في عباس آباد . ذلك الاسلوب من الرسم الذي يظهر رأسا دون جذع ، ويقعوا لونية الى جانب بعضها ، او رسما لوسادة ترمز الى شخص ويضعون طاسة على قمتها ، او بقعتان

بنيتا اللون في منتصف قطعة قماش طولها مترين . وقام أيضا بدعوة والد والوالدة اللذين استمعا بهذا .

اصطحبنا بسيارته . وبتلك الالبقة والكياسة : كان يفتح باب السيارة لنا ، وما الى هناك . هذا بالنسبة للوالد وللوالدة ، حتى انه لم يكن يملك سيارة خاصة به . وسارت الامور ، كما تعلم ، على هذا المنوال بعد تلك الليلة . طلب مني الرقص ، في احد اعيادهم ، اعتقاد انه كان (عيد الشكر) . آه ! كيف لا تستطيع ان تعلم ما هو ؟ أمريكا لا يمكن ان تكون أمريكا دون اعياد الشكر فيها ! اعني اليوم الذي يقدمون فيه الشكر ، اليوم التي تخلصت فيه أمريكا من آخر هندي . وطبعا سمح لنا الوالدان . ولم لا ؟ فليس هناك شخص آخر عندي اتدرّب معه على الانكليزية خارج الصف . فما نفع اللغة اذا لم تتدرب عليها . وأيضا قررنا ان اعطيه دروسا في اللغة الفارسية خارج الصف ، بالطبع . ولهذا السبب كان يأتي الى منزلنا مرّة كل اسبوع ، حسب ما اتفقنا عليه .

لو رأيت اي احتفال كان ، لقد قاموا بعمل تجوّات في القرع للعينين والانف والفم وفي داخلها وضعوا شمعة مضاءة . وبالها من رقصة ! لقد فهمت الان قليلا من الانكليزية لذا لم اشعر بأنني سأهملها . الى جانب هذا كان هناك العديد من الايرانيين . لقد اصر على ان اتناول بعض البيمة في تلك الليلة ، لكنني لم اتناولها . كان يبدو سعيدا مع ذلك .

عندما عدنا الى المنزل هنا : والدتي على ان لها ابنة مثلني . فتحت بترجمة ذلك بنفسي . أصبحت ملحة بالترجمة . . . واستمررت الامور على هذا النحو مدة ثمانية أشهر . كنا نذهب بنزهة في القوارب في كاراجي دام - جسر كاراجي - او الى السينما ، او الى المتحف ، او المحوظ ، ذهبنا الى شيميران وشاه عبد العظيم ، والى اماكن اخرى لم اكن لأشاهدها من دونه . قام بدعوتنا عشيّة عيد الميلاد الى منزله انك قulum

□ جلال آل احمد □

مامعني عشية عيد الميلاد ، صع ؟ وكان هناك أيضا الوالد والوالدة ، وفافار كان هناك أيضا . الا تعرفه ؟ انه اسم أخي . فيريدان . أرسلوا اليه ديكان حشيان مشويان من لوس أنجلوس ... اوه ! الا تعلم شيئا ابدا ؟ انها .

في غرب هوليوود . لقد أرسلوها اليهم الى كل شخص لذا فان الحنين الى الوطن لن يعتريهم ليلة العطلة . عندما يرسلون واحدا مثل ابن العاهرة هذا الى طهران لهذا العمل خصوصا ، سيحصل بالتالي على ديك حبش وبيرة وسجائر وويسكي وشكولاته ... أقول لك بصدق لكن ليس عملا كهذا ... قليلا من ال威سكي لو سمحت ، مايكفي ملء قعر الكأس .

لاتبدو عليها انها من أمريكا . هم يشربون البوربون ؟ ذات مذاق فظيع . أجل ، هذه سكوتتش . أنها منعشة جدا . كالانكليز انفسهم . حسنا ، ماذا كنت اقول ؟ أجل . في تلك الليلة طلب يدي ، بشكل رسمي ونحن نتناول العشاء . كنت اقوم بالترجمة بذاتي . اليه هذا مضحكا؟ ليست هناك فتاة تجد زوجا بهذه الطريقة . قام بتقطيع ديك الحبش أولا ووضعه في اطباقنا، ثم قام بفتح زجاجة شمبانيا وصب للوالد وللوالدة . صب قليلا لكل واحد منا . والذتي لم تشرب بالطبع . لكن الوالد شرب . وتذوقتها أنا ايضا . كانت حادة وحارقة في بداية الامر ، لكن عندما اختفت الطعمـة الحادة بدت لذيدة المذاق . ثم قال ، اخباري والدك برغبتي في طلب يدك منه . وأصر على ان اقول هذا جملة جملة ، لقد أدى الخدمة الالزامية دون شك ... وكان معيها من الضرائب ... وزمرة دمه (B) ... ويتمتع بصحة جيدة . ايراده الشهري ١٥٠٠ دولار ، سيصبح ٨٠٠ دولار في حال عودته . ويعمل منزلا في واشنطن ، وغير ملتزم بندفوـعات آجار او رهن . والده او والدته يقيمان في لوس

انجلوس ولا يتذكر خلان في حياته، وأنشئاء مثل هذه كان الوالد من حبا بالفكرة منذ بداية السهرة . قال لي بعذر ، بنيني العزيزة ، لاتحظى فتاة واحدة من ألف بالزواج من أمريكي . هذه ليست مزحة . انهن لا يستطيعون . مازلت أستطيع سماع كلماته .

وأنت أدرى بذلك . لأنك ستعيشين معه ؟ . اطلبني منه فترة أسبوع حتى تتمكنني من إنهاء الامر . وهذا ما قمت به . تم الاتفاق بالطبع على الموضوع منذ البداية . وعلم جميع أفراد العائلة بالامر . كان هناك طرفين او ثلاثة اجتمعوا مع بعضهم ، ومثل تلك الشكليات . وبالله من حسد ! لقد استعرضت العديد من الفتيات أنفسهن أمامه . ومعظم بنات أعمامي وحالاتي تحادثن معي لهذا السبب . كان والدي محقا . وهذه ليست مزحة . كل الفتيات كن يرغبن به . لكن الشاب طلب يدي . هل يفهم من ذلك ان أضحي بنفسي وأوصي بفتاة اخرى تحل محلني ؟ الوحيدة التي وقفت في وسط هذه المهمة متذمرة جدتي - قالت ، نعرف أناسا من كاشان وهم من العائلة ، ومن أصفهان وحتى من بوشهر ، وكلهم نعرفهم . لكن ، لم يسبق ان كان لدينا أمريكاً أبداً من قبل ، وما أدرانا من يكون ؟ انه العريس ، لايمكن ان نتحرى عن أصل وفصل عائلته ، او ان نطلب من الجيران اخبارنا عن علاقاته الداخلية والخارجية ... وما الى هناك من نصائح الجدات حتى انها لم تحضر زفافنا ، فقد ذهبت الى مشهد ، على الرغم من انها لم يسبق لها ان ذهبت الى هناك . بالنسبة لي كنت مسرورة . قمنا بنوعة الموظفين . كانت العائلة كلها هناك وكذلك العديد من الامريكيين . التقطت العديد من الصور للأذبة زفافنا . قام أحد أصدقاء زوجي بتصوير الحفل .

حمانا الله من هؤلاء الامريكيين ! أرادوا معرفة كل شيء . كانوا يأتون ويسألوني عن كل ما يخطر في البال من أسئلة . أعني ، لانني العروس . لكن ، أكان يحدث ذلك لهم ؟ لربما يتساءلون ، ماذا

□ جلال آل احمد □

يمكن دعوة هذا ؟ لماذا يسحقون الحلوى بمثل هذه الطريقة ؟ ماذا كتب على الكعكة ؟ من أين جلبوا الفيجن البري ؟ ... لكن على أية حال أبقيتها على قيد الحياة .

تم تحضير افراد من العائلتين ، في حفل الزفاف ، مسبقا ليعملوا كسائرين . واعطوني مهرا مقداره مائة ألف تومانز Tomans . وتلى هو النص الاسلامي للنكاح : لا إله إلا الله ... ، في حفل مأدبة زفافنا . كان مرتبك ! لقد ضحكتنا للطريقة التي تلى بها النص ! ... كل هذا لنجعل زواجنا مقبولا في القانون الاسلامي ! وماذا عن عمله ؟ حسنا ، كان استاذنا في اللغة الانكليزية . وبعد ذلك ، كتبوا على وثيقة الزواج انه محامي . والشهود كانوا موظفين من السفاراة . بامكانني زجه بالسجن لما دونه على الوثيقة . وأقاضيه بالاضرار . وعلى أقل تقدير استطيع اجباره على دفع ستمائة دولار زيادة عن الاربعمائة دولار التي يرسلها الان كنفقات لابنتي . لكن ما جدوى ذلك ؟ فانا لا اريد رؤيته ابدا . لم اكن راغبة حتى على تحمله ساعة واحدة ، لهذا السبب وافق اخيرا على اعطائي الطفلة ، لانه وفق قانونهم ، بامكانه الاحتفاظ بالطفلة ، بالطبع تنزلت عن مهري .
 يستطيع ان يصطحب نقوده الى القبر معه .

لو تعلم كيف يكسب نقوده ! كيف للمرء ان يلبس عقدا من هذه النقود ؟ او ان يشتري لحما وارزا ويأكل ؟ قالت تلك الفتاة الشيء ذاته في تلك الليلة ، صديقته القديمة ، خطيبته . ما ادراني . فتلك كانت اول وآخر مرة شاهدتها فيها . فنمت من طيران مباشر من لوس انجلوس الى واشنطن . استأجرت سيارة من المطار وقدمت مباشرة الى منزلنا . خلال عامين قضيتها في واشنطن لم تذكر كلمة واحدة عن اي فرد من افراد عائلته . كان يقول ؟ المسافة طويلة ، وكل شخص له ما يشغل ، اشياء بهذه .

* Rue الفيжен : نبتة طبية ذات اوراق مرة .

كنت مرتاحاً جداً بطريقة العيش هذه . فلا أحد ينظر من فوق كتفي . كنت سأكتب لهم دائماً ، أو أن يكتبوا لهم لي .

ارسلت إليهم صور ابنتي أيضاً ، وأرسلوا إلي هدايا في عيد ميلادها أرسلنا إليهم صوراً في عامها الأول ، وبعد ذلك لم نعد نسمع عنهم شيئاً إلى أن وصلت هذه الفتاة . حيتني وقدمت لي نفسها . وسألتني بأدبٍ جم إذا كنت قد مللت الوحدة ، وأطرت على جمال ابنتي ، الخ . كنت أمّ الفسالة ، التي تعطلت في ذلك الوقت . ساعدتني بكل رحابة صدر . عدلنا من وضعية الفسالة ووضعنا في داخلها الملابس . ثم ذهبنا وجسنا وبدأت تحدثني عن نفسها . قالت لي أنها كانت خطيبته عندما أرسلت إلى الحرب الكورية . لكن عندما انتهت الحرب ، لم يعُد إلى لوس أنجلوس وحصل على وظيفة في واشنطن . وقالت ، يعلم الله ما عاناه هؤلاء الشباب التعباء في كوريا حتى قبلوا عملاً كهذا عندما عادوا . سألتها ، لكن ماذا تعنين بـ هكذا عمل ؟ وضفت عندما علمت أنني مازلت لا أعرف ماذا يعمل زوجي ليكسب عيشه . ثم ما قالت ، بالطبع أي عمل لا يشعر المرأة بالخجل . لكن عائلته تبرأت منه بسبب عمله هذا . ولم يتمكن من اقناعهم ... أحسست بجفاف في قلبي لربما يكون جلاداً . أو انهم أوكلوا إليه مهمة في غرفة الفاز أو الكرسي الكهربائي ، فهذه الاعمال يمكن أخذها بعين الاعتبار كونها مهنة قانونية . لكن عمله ذاك ؟ عندما أخبرتني عن حقيقة عمله ، تحول كل شيء أمامي إلى أسود . كان رد فعلي واضح مما دعى بالفتاة أن تذهب إلى البو فيه وتحضر لي زجاجة ويُسكي وتصب لي كأساً ، وآخر لها وتتابعت بعد ذلك قصتها .. كان الخطيب الثالث الذي فقدته بنفس الطريقة .

الخطيب الأول لقي حتفه في الحرب الكورية ، والخطيب الثاني لقي حتفه في فيتنام ، أما الخطيب الثالث ، تحول إلى هذه الطريقة . قالت ، لا أحد يدرى لماذا يعود العديد من هؤلاء الشباب فإذاً ما يمتلكون هذه أنواع الوظائف الغريبة أو أن يصبحوا حمقى أو لصوصاً أو مجرمين .. وتساءلت

□ جلال آل أحمد □

لماذا لم استطع الى الان تحديد وظيفة زوجي . حسنا ، لم اكن خادمة او لقيطة او يتيمة . بل معي شهادة جامعية ، والدين ، كنت جميلة وكل هذا ... اجل ، شكرًا . المزید لا يضر . لم يأت ضيوفك . حنجرتي جافة فعلا . الأمر السيء هو أنني بدأت أميل الى الفتاة . كانت جميلة وريانة . قالت بأنها كانت في لوس انجلوس لمدة سبع سنوات وتحاول أن تجد زوجا أو أن تصبح نجمة سينمائية . بعد ذلك نهضنا وعلقنا ملابسنا ، ثم وضعنا ابنتي مع عربتها في السيارة واتجهنا الى المكان الذي يعمل فيه زوجي . مازلت غير مصدقة . لم أقنع حتى رأيته بأم عيني . ذهبنا اولا الى المكتب . قاموا بتحيتنا وسائلونا كيف بامكانهم مساعدتنا .

يا لهذه الصور التي كانت هناك لتلك المنتزهات والأشجار والمروج . اذا لم يكن لديك علم اي نوع من الاماكن هو ، فسنعتقد أنهم كانوا يبنون كوخا لشهر العسل هناك .

كل شيء له مخطط ! وأبعاد وقياسات ، ومفاصل ومقاييس على كلا الجانبين ، وباقة من الأزهار في الأعلى ، مصنوعة من أي نوع من الخشب تريده ، وقماش يمكن أن يرسم عليه ، وأي نوع من الاحتفالات يريد لها المرء . والعربات التي تقل الشخص بعيدا يمكن سحبها بعدد من الخيول ، وإذا ما رغبت ، يمكن أن تسحب بسيارة ، لأنها اقتصادية بشكل أكثر وأي نوع من السيارات متوفرا لنا . وكم شخص ستحتاجهم لحرس الشرف ، وتكلفة كل واحد منهم ، ذلك يعتمد على كيفية اظهارهم بشكل عاطفي ، وإذا ما كان أحدا من الأقارب غير موجود بامكانهم أن يحلوا محله ، وأي ملابس يرتدون في أي كنيسة ... لا أدرى فيما اذا كنت تفهم ما أعنيه . في كل زاوية ترى كراسات اعلانات وكباريت وأقمصة . وصورا ملونة مطبوعة ورسوما تفصيلية مع شعارات مثل ، النوم الابدي على المحمل ، أو منتفره كذا وكذا في حديقة الجنـة الثانية ، وأشياء كهذه . التف الموظفون حولنا وسألوا فيما اذا كنا نريد مفردا أو عائلي .

ولكم عدد من الاشخاص ؟ في حال اذا ما اشتريت موقعا عائليا فستنزل قيمته خمسين بالمائة يمكنك دفعها على اقساط ... كان قلبي جاهزا للانفجار . لم أصدق ان هذه هي وظيفة زوجي . لقد قال بأنه محامي . محامي ! هذا بالضبط ما قاله ! قمنا بتقديم انفسنا ووجدت اخيرا اين كان يعمل زوجي . لم نرد ان يشكوا بئي شيء . أجل ، لقد قلنا لهم ان هذه السيدة هي اخته انت من لوس انجوس وعليها ان تعود بعد ظهر هذا اليوم ، ويجب ان تراه لمسألة عاجلة ، ولا اعرف في اي منطقة يعمل زوجي اليوم ... خرجنا من المكتب وذهبنا الى المكان الذي كان يعمل فيه ، لم أصدق حتى رأيته خلف صف من اشجار البقس . كما قميصه كانا مرفوعان الى أعلى يرتدي افارول عمال . كان يقيس المرج . ويضع علامات في الزوايا وبدأ بعزم الارض وحفر المنطقة من اولها الى آخرها .

ثم انتقل الى موقع آخر ، بعد ذلك قدم رجلين اسودين قاما بحفر طبقة العشب العليا الرابعة من المرج ووضموها في شاحنة صغيرة . ثم جاء زوجي وبنا الحفر مرة أخرى بالمعزقة ، بعد ذلك قام الرجلين الاسودين بشق الأرض ووضعوها في شاحنة أخرى . وعما هذا المنوال بقي زوجي يذهب الى الاسفل ثم يخرج ثانية . كان أحد الرجلين الاسودين يقوم بالشيء نفسه ، كانوا يلبسون الأفارول أيضًا ، ويعملون بحذر ! لم يتركوا مقدارا ضئيلا من التربة يقع على المرج ويفسده . بقيينا نراقبهم لمدة نصف ساعة ونحن جالستين في السيارة ، من خلال اشجار البقس في الطريق الممشجر . كانت الشاحنات تمر قرب سيارتنا ، إما وهي تحمل التربة او العشب وإما وهي تحضر توابيت جديدة التي كانت توضع على المرج بصفوف منتظرة انتهاء الحفارات من عملها . كان ذلك في الايام التي كانوا يحضرون فيها الجنود من فيتنام . على دفعات صغيرة . مائتان او ثلاثة كل يوم . كانوا مشغولين جدا . والى جانب عصابة ناجي كانت هناك حوالي عشر او اثنتا عشرة مجموعة تعمل . كل طاقم

في منطقة واحدة من المنتزه . ياله من منتزه غريب ! يدعى آرلنتون .
لابد وأنك سمعت عنه . اذا سمعت عن العاصمة فلا بد وأنك سمعت عن
آرلنتون . إنها مشهورة في انحاء العالم . أعني ، اذا سمعت عن أمريكا ،
لابد وأنك سمعت عن آرلنتون . لقد اخبرتني الفتاة عن هذه الأمور في
ذلك اليوم . قالت لي ان المكان كان مشهوراً منذ زمن الثورة الاميركية ،
كينيدي مدفون هناك أيضاً ، يذهب الناس الى هناك لزيارته .

هناك حارس شرف واحتفال كبير عندما يتم تغيير الحرس .. أينما
اتجهت ترى العشب والتلال الجميلة . وفي كل موقع وعلى كل الاطراف
ترى العشب والأشجار والشجيرات ، وفوق كل رأس يوجد حجر أبيض
منقوش عليه اسم صاحب القبر ومعلومات هامة . الجنرارات هنا ، منمن
يحملون رتبة رائد هناك ، والخاص في ذاك الاتجاه . أشارت الفتاة الى
انهم كانوا يضعون في صفوف حسب رتبهم العسكرية . لا ادرى اذا كنت
تفهم قصدي . قالت الفتاة ، كل جهودنا كأمريكيين تنتهي هنا في
آرلنتون . لقد عانت مثل هذا الحزن ! تنتظر سبع سنين وتفقد ثلاثة
خطاب !... أرتنى مرقد اثنين منها ، وأيضاً قبر كندي والمكان الذي
يتم فيه تغيير الحرس ، بعد ذلك رجعنا . لم يكن لي مزاج حتى لرؤيه
هذا . تناولنا الفداء خارجاً . ثم ذهبنا الى السينما ، حيث بكت ابنتي
هناك طول الوقت ، لم اكن افهم ما يدور أمامي . اقلتني الى المنزل . حوالي
الساعة الرابعة بعد الظهر ، ثم ذهبت . كانت قد اشتربت تذكرة ذهاب
وإياب بجسم ، لذا كان عليها ان تعود بنفس الوقت . اتعلم ما آخر شيء
قالته لي ؟ قالت ، إنهم كانوا مشغولين بعالم الحرب لذا نسوا عالمنا ...
عندما عاد زوجي الى المنزل قادماً من العمل في ذلك المساء عرضت الموضوع
للنقاش . أعني ، بعد ما غادرت الفتاة بقيت افكر واتحدث عنها . دعوت
اصدقائي الابرانيين ومعارفي وتناقشت معهم في هذا الموضوع . فكرت
عندما اصر على اصطحابي في ذلك اليوم الى ميسغاراباد في فترة الظهر قبل

زفافنا . هكذا صدفة وكانت ذاهبان لرؤية متحف غويستان بالامس . لم اكن اعرف في ذلك الوقت ما هو او أين هو ميسفاراباد . لقد قلت هذا ، اذا لم يكن من اجله ، هناك العديد من الاماكن في طهران لا اعرفها ابدا . لم اكن اعرف في ذلك الوقت أين تقع .

كان السائق في مكتبه يعلم . وقمت أنا بالترجمة . وطرح عليّ السائق أسئلة عن عاداتنا وفننا . لم يكن لدى علم عن هذه الاشياء . كان السائق ارمنيا لا يعرف شيئاً عن عاداتنا ، لكنه ذهب واحضر أحد البوابين في الميسفاراباد وأخبرنا عنه وقامت بالترجمة . لم افكر بسؤال في ذلك الوقت دعم هدفه في طرح كل هذه الأسئلة . لكنني اتذكر ان جدتي كانت تستخدم الحادثة حجة لدمدمتها . سألتني ، ماذا يعني هذا . يأتي هذا الكافر ويطلب يد فتاة ، ثم يصطحبها لرؤية ميسفاراباد ؟ ... اتذكر ان زوجي كان بصحبة أمريكي آخر في ذلك اليوم ، وترجمت لهما ما كان يفسره الباب ، قال الرجل لزوجي ، انهم لا يستعملون التوابيت لهم يلفون الجثة بقطعة قماش لا تتطلب اختراعاً عظيماً ... كنت اعرف هذا الشخص . كان مستشاراً في هيئة التخطيط . اعتقاد انهما اتفقا فيما بينهما ان يكلما هيئة التخطيط حول هذا الموضوع . من الواضح اتذكر انهم عندما اكتشفا في ذلك اليوم اننا لا نستخدم التوابيت ، قال لي انهم يقومون بإلباس الاشخاص لباساً كالعرسان ويضعونهم في توابيت . واذا ما كان الاشخاص كباراً يضعون في أفواههم القطن ويجعلون شعرهم ، وكل هذا يتطلب مالاً كثيراً . قمت بفتح الموضوع في ذلك المساء عند العشاء مع جنتي ، انفجر رأسها وبذات تدمدم .

بعد ذلك ، وفي يوم زفافنا ذهبت الى مشهد . لكن ، اعتقد انني كنت اعي شيئاً ؟ حسناً ، قل لي ، فتاة في العشرين مخطوبة من مدعى أمريكي ، وسيم ، غني ، محترم . اسيكون هناك مجالاً للشك ؟ وماذا يهمني من أعمال ميسفاراباد ؟ سيمضي زمن قبل ان افكر بمثل هذه

□ جلال آل احمد □

الامور كما فعلت جدتي . عندما كنت في واشنطن ، كان يحدث مثلاً عندما يعود الى المنزل مساء قادماً من عمله مساء ان يدمدم عن الزنوج وكيف يأخذون العمل معهم . اذكر انتي سالته فيما اذا كان يحق للزنوج ان يكونوا قضاة . اترى ، لقد كنت اعتقد حتى النهاية انه محامي ، قاضي ؟ او حتى على اسوأ احتمال ، انه ذو مهنة حقوقية ... شخص موظف في وزارة العدل . على اية حال ، عندما اطل من الباب وناولته الويسكي ، صببت كأساً آخر لي ، جلست قبالتة ، وفتحت الموضوع معه . اعتقدت ان الامر انتهى واخذت بالحسبان كل النصائح التي أسدأها اليه اصدقائي . احدى صديقاتي الايرانيات اخبرتني هاتفياً ان الجميع يعرف هذا الامر . لان الكل يعمل في هذا المجال ! قلت لها، رجاءً هذا ليس وقت الشعارات .

وعرفت طبعاً انها كانت حاقدة عليهم . لقد الفوا جواز سفرها .
فلم يعد بإمكانها لا العودة ولا البقاء .

كانت تتنازل عن جنسيتها لتحصل على الجنسية المصرية . وودت لو اسألها ، اذا كانت الامور تسير هكذا ، لماذا بقيت في اميركا ؟ صديق آخر ، يافع ، وسيم تمنيت لو انتي كنت زوجه ، اتعلم ماذا قال ؟ آه ، يا لك من رجل ، اعتقد ان المغريات الاميركية قد استحوذت عليك ؟

هذا ما قاله . اتدري ماذا كانت وظيفته ؟ كان عاطلاً عن العمل ، لديه صديقتان اميركيتان تساعدهنه . لا اعتقد انتي ثملت ، او انتي اثرثر . احداهما كانت مدرسة والاخرى مضيفة جوية ، وكل واحدة منهما منزلاً خاصاً بها . كان يتم ثلاثة ايام في منزل وأربعة ايام في منزل آخر .

كان يعيش كالملك . لم يكن يدرس ، وحتى لم يكن لديه دخل . لم تكن تأتيه نقود . كان يعيش كشيخ خليجي .. كان يصر على اصطحاب الايرانيين الى المنزل الذي يقطنه كيعرض فتاته ، لا يدري كم هو مخز هذا الامر . اجل . لقد كان في الثالثة والعشرين من عمره . وعليه ان يأخذ ابنتي ويعود الى هنا . سامح الله ذلك الوالد الايراني . ما إن أغلقت

سماعة الهاتف حتى رن جرسه . التقطت السماعة . كان شاب ايراني آخر يقدم إلى نفسه . أجل ، لقد كان صديقا للشاب الآخر . كان يدرس الحقوق وعلم بمشكلتي ، وعرض علي خدماته ... وهلم جرا ... قلت أجل ، وجاء وقابلني . جلسنا نناقش الامر مدة نصف ساعة ، ثم توصلت الى قرار . وحزمت رأبي ، ثم عاد زوجي الى المنزل ، لقد استوعبت ما أردته . جلسنا حتى الساعة العاشرة ، كنت أشرب كأسا وراء آخر ، قلت له اتنى لن أبقى في اميركا بعد الان ، وأصر كثيرا على ان أقول له كيف اكتشفت الامر ، لكنني لم أجده جوابا : واعتقد ان احد افراد عائلته كان السبب في ذلك . لم أقل بطريقه او بأخرى ، وأصر علي بأن نذهب في نزهة او الى السينما او الى نادي ، ونحل المشكلة عند الصباح . لكنني لم أرض . عندما قلت ما كان علي ان أقوله ، ذهبت الى غرفة طفلتي ، وأغلقت ورائي الباب ، كدت أصاب بالجنون . كنت ثملة فعلا مثلما أنا الان . في الصباح توجهنا الى المحكمة . ما قاله القاضي كان مضحكا . لقد قال بأنها وظيفة كفيرة من الوظائف ، وهذا ليس بالامر السيء اطلاقا ... قلت له ، سيادة القاضي ، اذا كان لديك ابنة ، اكنت تريد ان يكون لها زوجا كهذا ؟ اجاب : لسوء الحظ ليس لدى ابنة . قلت : كنه ؟ قال : أجل . عندي كنة . قلت : اذا جاءت اليك غدا وقالت بأن زوجها ، الذي يدعي انه يعمل استاذًا ، قد تحول من عمله الى هذه الوظيفة ، او أنه كان يكذب عليها حول هذا ... كان زوجي يتدخل ويقاطعني . لم يكن يرد من القاضي ان يسمع عن كذبه . أجل ، اقتنع القاضي بذلك . وقام بتوقيع اوراق اعانة ابنتي ، وحصلت على تقدّم لرحلة العودة . أجل ، هذا ما حدث . لقد كنت متزوجة من اميركي . أتسمح بکأس آخر من هذه ال威ستكي ؟ أتسائل لماذا لم يأت ضيفك بعد ؟ ... ولكن ... آه ، يا لي من غبية ! ماذا لو كانت تلك الفتاة تخدعني ؟ صديقته ... أعني . هم ؟ ..

* * *

مُهَشِّيدُ أمير شاهي

١٩٤٠

ت : علي مصطفى حسين

ابنة عائلة ثرية من القزوين . أنهت دراستها الثانوية والجامعية في انكلترا ثم نالت شهادة الماجستير في العلوم الفيزيائية من جامعة أوكسفورد ثم عادت إلى إيران لتبادر مسيرتها الطويلة في كتابة قصص الأطفال وبعض القصص الأخرى ولتقدم بعض الترجمات الجميلة كترجمتها البعض أعمال توماس وايت وثوربر «خرافات زماننا» - وترجمتها لرائعة ب.ل. ترافرز «ماري بوبينز» .

لقد كانت مجموعة القصص القصيرة «المر المظلوم» أول مجموعة تكتبها ماهشيد أمير شاهي عام ١٩٦٦ . ثم تبعتها مجموعة قصص «زرزور بببي خانم» عام ١٩٦٨ . ثم مجموعة «ما بعد اليوم الأخير» عام ١٩٦٩ والتي أخذت منها القصة المترجمة «نهاية مسرحية الصبر» والتي تعتبر رائدة في مجال القصص القصيرة في الأدب الفارسي الحديث . وقد نشرت قصتها «خيط المسبح» المترجمة في الطبعة الثالثة للآدبيات عام ١٩٧٨ . أما مجموعاتها القصصية التي كانت تتحدث بصيغة المفرد المتalking فقد ظهرت عام ١٩٧١ . وكأي امرأة مطلقة قامت مهشيد أمير شاهي بنشر

□ أسمى - شاهس □

قصة عن سيرة حياتها الذاتية اسماها «في الوطن» عام ١٩٨٧ نشرتها في لندن وكاليفورنيا عبرت من خلالها عن تجاربها في الحياة وعكست فيها مشاعرها التي احس بها خلال زيارتها لطهران ما بين عام ١٩٧٨! و ١٩٧٩ . ووضعت لكتاب سيرة حياتها هذا مقدمة استنكرت فيها حادث التصعيد السياسي آنذاك من قبل بعض الفئات المسلحة في ايران . لقد أمضت ما هي شهيد أمير شاهي عامها الجامعي ١٩٩٠ - ١٩٩١ كزميلة متفرغة تعنى بدراسة شؤون الشرق الاوسط في جامعة ميشيغان . أما طبعة كتابها الذي يدل على خيالها الخصب في التأليف والترجمة فقد كانت على وشك أن تصدر في أواخر عام ١٩٩١ عندما تم الإعلان عن تلك الطبعة .

* * *

- عائلة الاخ المقربة -

● ان ما أردته حقيقة هو قليل من عصير البرتقال . ولكنني كنت خائفة انني لو طلبت عصير البرتقال ان يظنووا بي ظن السوء ويحسبوني مختلفة جدا عن العصر الذي أعيش فيه لذلك فقد طلبت «الويسكي» .

عندما سمعني أخي أطلب ان أشرب الويسكي قطّب حاجبيه وتجمّم حتى أني ظنت أنه على وشك الانقضاض عليّ بينما النادل لايزال واقفا في مكانه . ليس بامكانيك أبداً ان تفهم ما يدور في ذهن أخي وماذا ينوي أن يفعل . منذ عدة أسابيع خرجنا برفقة ثلاثة أصدقاء لنا هم: هو ما - هو ماين وأونتي . وعندها طلب هو ما وأونتي القهوة . أما أخي وهو ماين فقد رغبا في شرب - «البيرة» . وأنا طلبت لنفسي شيئاً من الطعام وكأساً من الحليب . ولكن أخي انتقد طلبي هذا وقال يخاطب النادل :

«احضر لها الحليب بزجاجة طفل رضيع» . وأوسأ ما في الامر أن «ميوري» ولقيق من أصدقائها كانوا يجلسون الى الطاولة المجاورة لطاولتنا . وفي المدرسة فان «ميوري» لا تشرب كأساً من الماء دون

□ امسير - شاهسي □

استئذاني . و اذا قلت ان هذا الكتاب او ذاك الكتاب جيد فانك تراها
تشتري الكتاب الذي اتحدث عنه وتأتي في اليوم التالي وهي تحمله تحت
ذراعها وتخبر الجميع بان قصة الكتاب كانت رائعة ومثيرة للغاية . و اذا
قلت مثلا ان حافظ وسعدي بليدان فانك تراها تردد نفس العبارة عنهم .
ان كل ماتفعله هو صورة طبق الاصل عما افعله أنا . ولكن بعد ذلك اليوم
الذي عاملني فيه أخي كقطعة النقد الرخيصة فان - ميهري - لم تعد
تعربني أي اهتمام . وظل الوضع كذلك حتى أتي امتحان مادة الهندسة .

ان معاملة أخي لي بهذه الطريقة قد سببت لي احراجا كبيرا . اذ
لم يعد باستطاعتي ان اتكلم او ان اطلب اي شيء لذا فقد جلت بنظري
نحو « سيمين » التي كانت تقلب نظرها يمنة ويسرة وتعفن على شفتيها
دون ان تقدم لي اي عون ولو كان تشجيعا نفسيا شفويا . والحمد لله فان
زوجها لم يأت . ان زوج أخي « سيمين » لا يقدرني حق التقدير . وكلما
اراد ان يقدمني لاحد تراه يقول : « اليكم كسرة الخبز التي يقدمونها مع
الكتاب ... ويعني بهذا اخت زوجته أي : أنا . وهذه العبارة هي من
اختراعه هو وحده . وكلما همت ان اقول شيئا جديرا بالاهتمام تراه
يردد عباره « بارك الله .. بارك الله » . وهو لا يعتبرني سوى طفلة صفيرة
وكانه نسي انه عندما تزوج من أخي « سيمين » كنت أصغرها بستين
فقط . الحمد لله انه لم يأت .. فلو كان هنا الآن لازداد الامر سوءا
اكثر .

لم اعتد في يوم من الايام ان ارفع بصري وأحدق في وجه زوج أخي
هذا الذي يسمونه « منصورخان » ولكنني عندما انظر اليه بطرف عيني
المح على وجهه دائما ذاك التعبير الابله الذي يشبه التعبير الذي يرسم
على وجه من سمع نكتة مضحكة لتوه .. ولكن ليس لديه الحق في ان
ينظر الى تصرفاتي هذه النظرة البلياء او ان يعاملني بهذه الطريقة المثيرة
للامشمئزاز . ففي كل مرة يصافحي فيها تراه يصرع يدي ويضغط عليها

□ امس - شاهري □

حتى تجحظ عيناه وتحمران ويظل يمسك بيدي حتى تعرق . ليس له حق في ان يعاملني هكذا وانا سأعرف كيف اجعله يقدرني . فانا لن انظر اليه ثانية او اعره اي اهتمام .

ان الشخص الوحيد الذي كان يبدي لي الاهتمام والتقدير كان نادل المطعم الذي سألني : هل أحضر الثلج والصودا ؟! .. وقلت : نعم . أما عمي « آرديشير » فهو رجل يظن نفسه انه يعرف كل شيء وسبب كل شيء .. لانه في العصور المظلمة السابقة كان قد أمضى ستة أو سبعة أشهر في احدى المدارس الانكليزية التافهة .

سألني عمي : اليه الويسكي اكثر المشروبات شيوعا عند المساء !؟ ولكنني لم اجبه قط .

وسألتني « مليحة » : منذ متى وانت تشربين الويسكي ؟! واجبتها : منذ زمن بعيد .

ولكي أدل على عبارة « منذ زمن بعيد » أشحت بيدي فوق كتفي حتى بدئ للجميع وكأنني قد بدأت اشرب الويسكي منذ ان كنت طفلة رضيعة ارضع الحليب من ثدي أمي . وهنا انفجر الجميع بالضحك ماعدا أخي الذي رفعني بنظرة غاضبة . وباستثناء والد « مليحة » أيضا الذي لم ينظر إلي أبدا بل كان يركز بصره على أطباق المقبلات الموضوعة على الطاولة وكأنه يدرس قصة غامضة يحاول معرفة هوية القاتل فيها . ولكن أسوأ الجميع كانت والدة « مليحة » التي كانت نظراتها كافية لتحولني الى صرصار يتسلق جدار المطعم الذي نجلس فيه .

عليه أن أطلب عصير برتقال . لقد ظنوا أنني متخلفة وانتهى الأمر . والويسكي لن يحسن الوضع او يعدل الصورة بل جعلها أسوأ بكثير . ولكن .. لقد فات الاوان لاتخاذ مثل هذا القرار وما عليه سوي أن اتابع هذه المغامرة المأساوية حتى النهاية .

□ امير - شاهي □

فقد احضر النادل الويسيكي ووضعه أمامي وهو يضرب به الطاولة ضربا .
اما أخي فقد بدا يتلوى في مقعده وكأنه يهم ان ينقض علي لذلك فقد
أسرعت بشرب كأس الويسيكي دفعة واحدة وكأنه كان عصير سفرجل
او ليمون .

عندما ادركت ان الجميع ينظرون الي قررت ان احتفظ بنوبة
السعال التي انتاببني فجأة . وقررت ان استبدل السعال بابتسمامة
فرضتها الضرورة القصوى . ووقع بصري على المرأة الموضوقة على الحائط
خلف رأس - « سيمين » .

عندما نظرت في المرأة رأيت شيئاً اشبه بقناعين يشبهان ستائر
المسرح التي توضع فوق اقواس المنصة . ليس قناعا واحدا بل اثنين .
وهنا ازداد تنفس أخي حدة حتى وكان الجميع كانوا يستمعون صوت لهاته
وهو يقول : « لقد شططت كثيرا هذه المرة ... اذا أردت ان تشربي
الويسيكي فعل الاقل اشربيه بطريقة صحيحة » .

ان أخي مايزال يعتقد اني طفلة لم اتجاوز الخامسة من عمري بعد
وان عليه ان يعلمني كل شيء . ان من يستمعه يتحدث هكذا يظن انه بطل
العالم في شرب الويسيكي . انه يعتبرني حمقاء تماما .. ليس فقط في
طريقة شرب الويسيكي بل في كل شيء . فمثلا يظن أخي اني لا افهم ماذا
كان يحدث عندما كان يقبل « مليحة » تحت الشجرة في ركن الحديقة .
وعندما رأياني آتية انسحبت « مليحة » مبتعدة بينما بدا أخي يصفر
ليوهمني ان مارأيته كان شيئاً أقل من عادي .

كان بامكاني ان اذهب الى أمي وأخبرها بكل بساطة عن كل شيء
رأيته . ولكنني لم افعل . حتى اني لم اخبر أخي نفسه اني اعرف
ما كان يجري مع انه كان علي يومها ان افعل ذلك لاجبره على التوقف
عن فعل ذلك أمام الناس .

□ امرأة - شبابها □

ولو فللت لما تجرا اليوم على معاملتي بهذه الطريقة بشأن كأس الويسيكي وخاصة أمام الناس .

وتسمرت عيناي في المرأة الموضعية على الحائط خلف رأس سيمين ثانية . لقد بدا أنفي محمرا لاما و كانه ثمرة التوت او الفراولة . ولقد شعرت ان حادث سير قد وقع داخل أعمق نفسي وانعكس على المرأة خلف رأس « سيمين » .

كان رأسي يسبح ولم أعد أعي ما أقول .. لذلك فقد انطلق صوتي قائلا :

« أيها الاصدقاء ... ». وقاطعني أخي قائلا : أيها الاصدقاء !؟ بماذا تهدئن أيتها الطفلة الفاسدة ... الى من تظنين نفسك تتحدى ؟ ! انظروا الى هذه الصغيرة الحمقاء ... وفي نوبة الهذيان التي أصابتنى لم أعد أدرك ما أقول . وقلت ثانية مقاطعة أخي الذي لم أعد أسمع ما يقول : « أيها الاصدقاء .. هل تعرفون كيف يبدو حادث السير ؟ ! » .

ولا أدرى لماذا كانت عيناي تحدقان بوالدنا « مليحة » الذي كانت تعلو وجهه نظرة مأساوية والذي كنت أخاف ان يقرأ أفكارني وما يدور في خلدي لذلك قلت مخاطبة اياه : « لا .. لا .. أنا لا أقصدك أنت ... » .

وهمت أخي سيمين ان تقول شيئا ولكن قدوم النادل ومعه الطعام قاطع ما كانت تنوي قوله في التو . ونظرت حولي فدهشت عندما رأيت منصور خان قد أتى وانضم الى الجميع وجلس الى طاولتنا .

نظرت الى مائنة الطعام فرأيت قطعة من اللحم قد وضعت في منتصفها . ورأيت أيضا سمكة خيل إلى أنها تتلوى وتترافق من الغيط قبل ان يبدأ « منصور خان » بافتراسها . وعندما علا صوت الشوك

□ امرأة - شاهسى □

والسماكين خيل الى أن هذه الآلات الحادة انما تقطع من لحمي أنا .
وسمعت سيمين تخاطبني قائلة : « الا تأكلين شيئاً؟ ».
ولو لم تكن سيمين قد قالت ذلك لما لاحظ أخي ابني لا أكل شيئاً .
وهنا توقف أخي عن همسه في أذن « مليحة » وصاح : « ولماذا لا تأكلين ».
أجبته : « لا استطيع ». و كنت خائفة ان يجبرني على أكل شيء .
وادركت « مليحة » ابني لست قادرة على أكل اي شيء فقالت أخي :
ـ لماذا تضطرط عليها؟ .. قد تكون فعلاً غير قادرة علىتناول اي
شيء .

وهنا لم استطع ان اتمالك نفسي فانفجرت بالبكاء .
لقد بدت مليحة طيبة ولطيفة . ولكنني أفهمها اني أشعر بهذا الشعور
نحوها قلت لها : « مليحة » انا اعرف ما الذي كنت تفعلينه تحت الشجرة
انت وأخي .. » .

كنت أعلم ان أخي لن يكون سعيداً لسماع ذلك ولكنني لم اكن
اتوقع ان يكون وقع كلامي بهذا السوء ! .

انتفض أخي فجأة وصاح وهو يزيد : « اذا لم تخرسي فوراً فاني
سأضربك ضرباً مبرحاً ». وجحظت عيناه حتى خيل إليّ انهم ستقعنان
على الصحن الموضوع أمامه على الطاولة وخيل الي انه سيضربني ضربة
يرمياني بها ارضاً لذلك فقد أردفت قائلة : « لا تقلق فأنا مازلت محفظة
بالسر ولم اخبر امي ». ولكنك اذا بقيت تعاملني بفظاظة هكذاً فاني
سأكون مضطراً لأن اخبرها بما كنتما تفعلان ». وهنا رفت والدة
« مليحة » حاجبها وقالت : « ماهذا .. ارجوك .. عذرًا ياعزيزتي ». .
وهذه المرأة تنادي كل الناس بكلمة « عزيزي أو عزيزتي » ودائماً تردد
عبارة « عذرًا وارجو عفوك ». ودائماً ترفع حاجبها واحداً من حاجبيها .

وصاح أخي ثانية وهو يكاد ينفجر من الغيظ . ألن تسكتني ؟ ! « كان صوت أخي قويا جنبا لدرجة ان شوكه والد مليحة قد سقطت من يده . الامر الذي جعل أخي ينادي على النادل ليحضر للرجل شوكة أخرى غيرها . »

وهنا قلت له : « ربما عنيك ان تحضر شيئا يجعل تنفسك وكلاما ناشفقا يخلو من الرذاذ الذي تريشه على وجوهنا وأنت تصريح وتتكلم ». قالت والدة « مليحة » حسنا .. شكرأ جزيلا ياعزيزتي .. ماذا تريدين ان تقولي ايضا ؟ » .

ولم استطع ان اقاوم فكرة تقليد المرأة وهي تتحدث . وشرعت بتقليد كلامها وحركاتها ثم ضحكت كثيرا . ولكن لم يشاركتني أحد الضحك فالتزمت الصمت فورا .

كانت هذه الاحداث سريعة جدا . ولقد انطلقت تعليقات كثيرة من الناس الذين كانوا يتفرجون علينا في المطعم . قال احدهم : « هل هذا فيلم لشارلي شابلن ؟ ! » .

وادركت ان مليحة كانت على وشك ان تنفجر بالبكاء واوشكت أنني انا نفسي سأبكي فقلت مخاطبة إياها : « مليحة » عزيزتي .. ولكن دموعها بدأت تتتساقط وطلبت منها بالحاج ان تتوقف عن البكاء قائلة لها :

« انظري ياعزيزتي .. ذاك اليوم تحت الشجرة قد انتهى بالنسبة لي » .

ولكن هل سمحت لي مليحة ان انهي كلامي ؟ ! . لقد قاطعني أبوها من ركن الطاولة وقاطعني أمها ايضا : « الله أكبر » .

كانت نبرة صراخهما مخيفة حتى ظننت ان الام سوف تقع على الارض جثة هامدة .

□ امي - شاهي □

وقالت سيمين : « اوه .. غير معقول .. ما هذا الازدراء !؟ » .
فأجبتها قائلة : « ما الذي تقولينه يا سيمين ؟ .. اني اعرف انك لاتحبينهم » .

فقالت سيمين : « هذا يكفي .. » فقلت لها : « هل تذكرين موقفك عندما قالت امنا ان أخانا سوف ينهي علاقته ب مليحة بالزواج منها ؟ !
لقد اعترضت انت يومها على هذا .. هل تذكرين ؟ ». ولكن سيمين لزمت الصمت ولم تنبس ببنت شفه .

وصاحت مليحة : « امي .. أبي .. دعونا نذهب ونخرج من هنا » .

سحبت ام مليحة قفازاتها وحملت حقيبة يدها وقالت لاخي :
« انظر يا عزيزي » مليحة ليست من نوعك ولا تناسبك .. ونحن لستنا من نوعك ولا تناسبك ايضا .. فانا امراة تطلق عليها كثير من اللقب وزوجي غريب الخلقة وأبله [وبالمناسبة : لا احد يطلق على زوجها هذه الصفات ولكنها كلما سمعت بلقب يطلق عليها هي فانها تسارع باطلاق لقب على زوجها ايضا هي نفسها] لذلك يا عزيزي فاني ارجوك عفوك – ارى انه من الافضل ان نذهب قبل ان نسمع المزيد من الاتهانات . ولكن الاخ قال : « ماما – لاستمعي اليهم » .

ولم يجد رجاؤه هذا نفعا لان والدة مليحة قد همت بالذهب فعلا وقالت :

« لا تبرر شيئا من فضلك » ففي البداية امك والآن اختك – ودلت بقفازاتها على بازدراء بحيث ادرك الجميع اني انا المقصودة وليس اختي سيمين – .

ونهض الثلاثة معا ومضوا خارجين دون ان يقولوا كلمة وداع .

□ امسير - شاهسى □

● واستدار أخي باتجاهي مهدا . ولكن عمي – آرديشير – قبض على يده قائلا :

«اجلس – هون عليك – لاتزد الفضيحة فضيحة – ليس في المطعم» .
ان عمي يستطيع ان يقول دائما شيئاً مناسباً في كل حادثة ليخفف من وطأة الحادثة وبهدى الامور .

جلس أخي في مكانه ولكنه تابع النظر إلى بحنة مخيفة وكانه كلب بأربع عيون يجلس بالقرب مني . وعندما نهضنا وهمنا بالسير لم أكن أشعر بشيء اسمه الجاذبية التي تشد المرء وتشتبه على الأرض . بل كنت أشعر بأنني عديمة الوزن وتقليل الرأس في آن واحد . وعندما همت بالسير لم أكن قادرة على المشي باستقامة دون أن أسقط على الارض وأحس عمي بذلك فأمسك بيدي وقال : « دعونا نطلب لهذه الآنسة الصغيرة فنجانا من القهوة » .

ولكن « منصورخان » صاح باستغراب : « قهوة ؟! » .

قال ذلك بلهجة تدل على أن القهوة جوهرة نفيسة ليس من حقي أن أحصل عليها . ولو حصلت عليها فليس من حقي أن أشربها . ولو هيء لي وشربتها فهي لن تجدي نفعاً في حالي لأنني كما يعتقد هو : بلهاء – والقهوة لا تشفى من الحمق والبلهاء . وهنا ضاق صدرني وفات :
دعونا نخرج من هنا .. واتركوني أيها الحشريون .

وهنا بدأ « منصورخان » بتعليقاته اللاذعة فما كان مني الا ان جحظت بعيوني وأملت برأسى الى كتفي وبدأت اقلد صوته وحركاته وأنا اضحك حتى جعلته يترکنا ويندفع خارجاً من المطعم والفيظ يفتت قلبه .
قبض أخي على يدي وأخذ يضغط عليها حتى أوشكت ان اصرخ فقال :

□ امي - شافعي □

كفي عن حماقتك ايتها الصغيرة ... توقيفي عن هذا الصراخ ...
وشد على يدي اكثر فصرخت باعلى صوتي . وتابع قائلا : لو استطعت
نكسرت عنقك الان وليس يدك فحسب .. كفي عن الصراخ

وهنا قلت له : « انظر » من الذي يصرخ ؟ ! فقال :
« كلمة اخرى واحطم أسنانك وحنجرتك هل تفهمين ؟ ! ». .

وادركت ان الناس الذين يجلسون على الطاولات قد بدأوا ينظرون
الينا فاستدرت الى اقرب رجل مني وسألته : « ويسمون هذا اخا ؟ ». .
« هل تخيل ذلك ؟ ! ». .

كان الرجل يرتدي ربطة عنق ونظارتين اثنتين وشعرت ان ربطتا
عنقه قد التفتا على بعضهما عندما سأله هذا السؤال فهممت ان أقترب
منه لاصلحهما له ولكن عمي - آرديشير - أمس肯ني وقادني الى خارج
المطعم . .

وهناك قال أخي : سوف أخبرك بكل شيء وأشرح لك كل ماتريدين
حتى ترضي وبعدها افعلي ما تريدين فقلت له وهو مايزال ممسكا بذراعي .
« أنت وذراع من ؟ ! ». وادرك انه مازال يمسك بذراعي بقوة .
وبعد ذلك الموقف لم أعد أخاف من أخي أكثر ولم أعد أخاف أيضا مما
سيحدث لاحقا . .

بعد ذلك اليوم بدأت أدرك ما فعلت . والتزم أخي بوعده . فقد
أخبرني بكل ما أردت أن أعرفه . وقال انه سيخبر أمي بكل شيء . وهددني
بأنه سيحكي لأمي ما فعلته في المطعم . لقد فعل نفس الشيء معي في أحد
الرات . ففي أحد الأيام كنت قد دخلت الى غرفة الحمام وأخذت قطعة
الماس المزيفة الخاصة بأمي وأردت أن أزيّن بها شعري . ويومها دخل
 أخي علي فجأة فوّقعت قطعة الماس المزيفة في مصرف الحمام رسدت

□ امسى - شاهى □

مجارير مياه المنزل . الامر الذي جعل امنا تستدعي رجال مصلحة الماسير لصلاح المجارير في المنزل دون ان تعرف سبب العطب الذي اصابها ودون ان تعرف ما الذي سبب انسداد تلك المجارير .

وظل الامر بيني وبين أخي . وبذا منذ ذلك اليوم يمارس عملية الابتزاز معي ويكلفني بالقيام بأعمال له . وعمل على تسخيري لخدمته . ولكن امنا لاحظت ذلك وطلبت تفسيرا له . وعندما علمت السر قالت :

حسنا لقد أوقعت قطعة الماس في غرفة الحمام وسددت المجارير .

ان هذه القطعة الماسية المزيفة شيء تافه ولو انك أخبرتني لاخذت الامر منذ البداية على محمل البساطة . « ان قلبك ايتها الصغيرة لا يستحق ان يتحمل تلك المعاناة والمرارة من اجل سر تافه » .

لذلك فقد قررت هذه المرة ان احزم امري وأخبرها بكل شيء بنفسي ولكن هذه التراجيديا التي حدثت مؤخرا هي اعمق من تلك السابقة .

وفي أمسية الخطوبة تقدمت مني والدة مليحة - واعتذرتنى مني عدة مرات - . واستغربت لأنها جعلتني أشعر أنني لم أوجه لها كلمة واحدة في ذلك اليوم . وقد استغربت أكثر عندما أمسكت بذراعي وبدأت تقدمني إلى كل الموجودين كما لو كنت عروس عائلتها الجديدة . وانتابنى شعور أن أطلب ويسكي مرة ثانية . ولكن تلك المرأة لم تتركني أخلو انفسي لحظة واحدة . لذلك فقد دأبت على شرب عصير البرتقال . واقولها بصراحة : لقد اكتشفت أن عصير البرتقال أعلى مقاما من الويسكي . ولكنني في اليوم التالي قلت لـ ميهري : « إن حفلة الخطوبة ليلة أمس كانت رائعة وتمنيت لو أنك كنت هناك لكي تتناولى الويسكي وتشعرى بنفس السعادة التي شعرت بها في أحد المرات » . وهكذا قررت ميهري أن تجرب الويسكي بنفسها لتعيش نفس الحالة التي عشتها في أحد المرات .

* * *

«اصطدام»

بقلم: سيمين دانشور
ت: رؤيَا حقيقية

* * * سيمين دانشور ، اديبة ايرانية معاصرة ، توزع نتاجها الادبي ما بين كتابة القصة القصيرة والرواية ، وترجمة الاعمال الادبية العالمية . امتاز نتاج الاديبة دانشور القصصي ، بتناوله الواقع المرأة الايرانية المؤلم ، الذي عمل النظام البائد على ايجاده وترسيخه في المجتمع . والقصة القصيرة هذه ضممتها مجموعتها القصصية المسماة بـ « به كي سلام کنم » (على من أسلم) .

هذا وان الاديبة دانشور تمارس اليوم نشاطها العلمي والثقافي كأستاذة لعلم الجمال في جامعة طهران .

* * *

ابتدأت معاناتها يوم اشتترت جارتنا السيدة صديقة سبارتها ، واخذت تجلس خلف مقودها بنظاراتها السوداء وقفازاتها البيضاء . رأيتها صباحا وانا خارج من البيت . تعارفت معي على ان استقل سيارتها . ورغم اني لم الب دعوتها ، الا ان الاحداث التي ستتجدد طريقها لي قد ارتسست امامي ، وقد بدأت بالفعل بعد ظهر ذلك اليوم .

□ قصة قصيرة □

عندما عدت الى البيت ، تلقيني زوجتي بوجه عبوس . كانت تجيب عن أسئلتي باختصار ، أما بنعم ، أو ، لا . هي نفسها التي كانت تشرع بالقول في كل مرة ادخل فيها البيت : « اسمع ، أريد ان اخبرك عما حصل هذا اليوم ، اتسمعني ام لم تسمع ، فانا اقول قولي ، لذا فمن الانسب لك ان تسمعني حفظاً لقاء وجهك . » وتأخذ بسرد الاخبار . تصوغ حادثة من كل خطوة تخطوها . السيدة صديقة عملت كذا ، والسيدة صديقة قالت كذا ، و... ولكنها في ذلك اليوم تصرفت كما يتصرف الانسان الآلي .

جاءت بالفداء ، فأكلنا بصمت مطبق . بعدها ، ولاول مرة ، أشعلت سيجارة ووضعتها في فمهما ، كالمبتدئين ، وقالت :

— ادر لي وجهك ، أريد ان احدث السيد بحديث خاص .

ادرت وجهي ، واستقامت في جلستي ، وقد اخذ قلبي يخنق باضطراب .

قالت :

— يجب ان تشتري لي سيارة ، وانت تعرف سوف تشتري ! .

— عزيزتي ، ولماذا تتحديث بهذه الصورة التي تتحدث بها ممثلات الافلام .

قالت :

— لا تحرف الحديث ! متى ستشتري اي السيارة .

— عزيزتي ، انك لم تتعلمي بعد قيادة السيارة .

— لقد سألت السيدة صديقة عن كل شيء . ان كل ما يحتاجه لتعلم السيارة واخذ الترخيص ، خمسمائة تومان . تستطيع ان تتسلفها من دائرة عملك كمساعدة . اذا اردنا ان نشتري السيارة بالاقساط فسوف تتكلفنا كثيرا ، ولكن لو اشتريناها نقدا فانها ستكلف اثنين وثلاثين الف

□ قصة قصيرة □

تومان . صحيح ان السيارة المستعملة اقل قيمة الا انها تحتاج الى مصروفات اضافية ، تحتاج الى تصليح مستمر ، وانت - ماشاء الله - ان تخطو ولا خطوة لخدمة زوجتك ، وعندها سأتحمل متابعيها وحدى ، على ان اذهب بها الى التصليح والوي رقبتي والتمس وفوق كل ذاك سوف يخدعونني . الافضل ان نشتري سيارة جديدة .

لقد عادت مرة اخرى كما هي المرأة على الدوام .

الحقيقة ، اني طوال عمري كنت ارغب في المرأة اللبقة الطموحة التي تتطلع الى كل شيء . ولهذا السبب تزوجت من نادرة ، طبعاً عندما خطبتها كان اسمها نادرة ، ولكن واثناء عقد قراننا ، أصرت على ان تغير اسمها وقد سمت نفسها نادياً .

قالت :

- يا امرأة ، اتعرفين ان الاثنين والثلاثين الف سهمة فقط على اللسان ، من اين آتي بهذه الاموال . انت تعرفين ان مرتبى لا يكفى سوى لمصروفنا ، ليس لدينا حتى قرش واحد في التوفير . فضلاً عن ان لدينا طفلين في رياض الاطفال ، وما يحتاجانه من مصاريف الذهاب والاياب .. هكذا خرجت هذه الكلمات من فمي ، ولكن فات الاوان .

قالت زوجتي :

- أجل ، سيدى العزيز ! انا ايضاً بسبب هذا الذهاب والاياب اريد السيارة ، او صلك في الصباح الى دائرك ، وبعد الظهر آتي لأعود بك .. او صل الاطفال الى رياض الاطفال .. كل هذا سيقلل من مصروفاتنا .
قلت : - اين عقلك يا امرأة . واحد لا يملك خبزاً يأكله ، يذهب يشتري بصلاء ليخرزه ! .

- نستطيع ان نرعن البيت . لو كان المرء يملك سيارة في هذه الدنيا فكانما يملك كل شيء . والله الحمد ، انت تعمل في مصرف الرهون وتعرف كل الاساليب والطرق .

قلت :

— يا امرأة ، ان كل مانملك هو هذا البيت . انت لا تدرисن كيف حصل والدي على هذا البيت ، وما الذي عاناه في سبيل ذلك . اذا نحن رهنا البيت ، من اين ناتي بالاموال لنخلصه من الرهن فيما بعد .

— حتى ذلك الوقت .. الله كريم ...

أخذت تقول ، وقد سال تعاب فمها:

— انظر عزيزي ، هل طلبت منك قصر؟ هل طلبت ان أسافر الى اوروبا؟ انت لم تهيء لي حتى حفلة زفاف لائقة ، لقد بقى حسرا في قلبي اللباس الابيض والبرقع الابيض .

فكرت قليلا ، ثم واصلت الحديث:

لن أنسى ، كنت قد مرضت بالزكام ، وطلبت منك ان تشتري لي معطفا جلديا ، فقلت لي :

عزيزي ، استعملني حبوب علاج الزكام « كورسنين د » ، وقد ظهر الحزن على شفاهك .

ولاحظ ان لا تشرع بالبكاء ، قلت :

— اتركيني لاستريح قليلا ، وبعدها سأفكر ما الذي يمكن عمله ، ممكن ان اكون قد اشتريت لك سيارة بالاقساط .

— بالاقساط ! كلا ، لأننا سنصبح اسيري القسط ، نحن فعلا اسيرا المضروf ، ومن ثم نضحى اسيري القسط .

لم يكن هذا الكلام من عندها . وهو ايضا اكبر من رأس السيدة صديقة . اي ان زوجتي اخذت تتجرا ... اي ان زوجتي ... لاسمح الله ... اخrys لسانی

□ قصة قصيرة □

قالت :

— لماذا سرحت بالخيال ؟ عزيزي ، لا تفكّر في البيت . منذ متى أصبحت محلّة « زر كنده » مكاناً للسكنى ، ناهيك عن أنها تقبض الأرواح عند الفروع . أطال الله في عمر والدك ، انه لن يعمر عمر نوح ، وعندها ستكون بعض بساتينه من نصيبي ، وسنشتري لنا بيتاً مجللاً في شارع « بهلوى » لقد فكرت في ذلك ، وسيكون البيت اما في حي الرغفانية او خلف حديقة الفردوس .

كانت زوجتي امرأة من مدينة اهواز . في اعياد رأس سنة ١٣٤٠ ، « اعياد نوروز » ذهبت برفقة اصدقائي الى مدينة اهواز . كنا قد رأينا المناطق السياحية في اليوم الاول من سفرتنا ، وبقينا عند المساء حيارى ماذا نعمل . اتفقنا ان نذهب الى دار السينما . كانت هناك مجموعة من طالبات المدارس قد جلسن امامنا . كن يتلقفن باستمرار ويقهمن ، ومثل هذا المنظر كان يثير انتباها ، ولكن نادرة عام ١٣٤٠ وناديا في الوقت الحاضر ، لم تلتفت مطلقاً . لم تتبّعه لعرض الفلم لا نحن ولا طالبات المدارس . بعد عرض الاناشيد وافلام الدعاية ، اخذوا يعرضون البرنامج القادم للدار العرض . وفجأة قطعوا العرض واضيئت المصايبح ، وبعد لحظات عاودت دار العرض مرة أخرى عرض الاناشيد وافلام الدعاية من جديد . اقهـ تكررت ثلاثة مرات . في المرة الثالثة انتفضت نادرة من مكانها وأخذت تقول : ما هذه السخرية التي تمارسونها بحقنا . لم يحدث في اي مكان من العالم ان يعاد عرض المقدمات في كل لحظة يأتي فيها زبون جديد للدار العرض . كان صوتها شبيها بأحد الاصوات المعروفة لمذيعي اذاعة طهران ، بل واجمل .

لن اطيل عليكم . نحن ايضاً تشجعنا واستأنسنا أخذنا نحن والطالبات نزائر ونرفع اصواتنا بالصفير ، قلبنا دار العرض راساً على عقب .

□ قصة قصيرة □

أخذونا جمِيعاً إلى مركز الشرطة وفي مركز الشرطة عشق بعضنا البعض الآخر ، نحن والضابط الخفر ، وقد اتضح أن دار العرض في كل مرة كان يعيده فيها عرض المقدمة لاجل عيون زبائنهم من مثل رئيس البلدية والمحافظ ومدير الشرطة .

قلت لزوجتي :

— لا بأس أن تكتبي لوالدك العزيز وتطبقي منه على الحساب ..
صادمتها كلماتي ، وأخذت بالبكاء : إذا لم أبك الآن فمتى سأبكي .
ولاحظت أن أهديء من روعها قلت :
— طيب .. افترضي أننا اشترينا السيارة ، ففي بيتك مثل هذا
البيت الحقير أين ستضعين السيارة .

مسحت دموعها وقالت :

— أنا أعرف أنك ستشتري لي ، إنك رجل طيب ، ولكنك تتغافل .
لقد فكرت بموقف السيارة أيضا ، اشتري سلسلة حديد واربط
السيارة بها في المساء مع عمود الكهرباء الكونكريتي أمام بيتنا . العمود
الأول لسيارتي ، والعمود الثاني لسيارة السيدة صديقة .

استمرت حالنا هذه ثلاثة أسابيع حتى استسلمت . بدأ صحتها
تندهور يوماً بعد آخر . لم تعد تتناول أي طعام . كانت تقف في جوار
النافذة تنظر إلى سيارة السيدة صديقة بحسرة وألم وترسل الأهات .
أخذت من دائري سلفة بمقدار خمسمائة تومان ، ودفعتها لزوجتي ،
لتسلمها إلى أحد مراكز تعليم السياقة مقابل تعليمها السياقة . ومن ثم
حان وقت أدائها اختبار السياقة للحصول على ترخيص قيادة السيارة .

ووفقاً لرغبة الوالدة ، اشتريت نسخة من كتاب (مفاتيح الجنان)
وأخذت أقلب أوراقه لعلي أجده فيه دعاء لعدم اضطراب المرء في المواقف
العصيبة ، أو الحروق دون فشله في اختبار السياقة .

□ قصة فصيرة □

من الطبيعي ان مثل هذا الدعاء ليس له وجود لافي كتاب مفاتيح الجنان ولا في اي كتاب دعاء آخر .

عقدت والدتي العزم على ختم القرآن ، وندرت لوجه الله فيما لو تخلصت زوجتي من هذا الشيطان ، السيارة ، الذي دخل رأسها ، ان تقيم مأدبة « سفرة » أبي الفضل . الا انه كان واضحا ان مثل هذا الشيطان ، لا يمكن التخلص منه بأي ورد او تمائم ، ذلك لأن زوجتي قد نجحت في اختبار السيادة .

كانت تقول : لقد أجبت عن اسئلة الاختبار بصورة صحيحة ، وقد فرح الضابط كثيراً عندما رأى أجوبتي ، وقال لي : « انك تخنزين شمس الجنوب ». لأن زوجتي كانت فلفلة أخضر شديد الحرارة . وبعدها ، سألني الضابط : اذا كان الجو ينزل وقرأ ، وقد غطت الثلوج انطريق ، وكنت تسيرين على منحدر وقد ضفت على الفرامل ولم تعمل ، ففي مثل هذه الحالة كيف تتصرفين ؟ فأجبته : حضرة الضابط ، أنا في مثل هذا الجو لن أخرج سيارتي العزيزة من مخبئها . فكان للكلمات وقعها في نفسه فأخذ يضحك ويقهقحه واضعاً يده على قلبه من شدة الضحك .

في اختبار الدوائر المرسومة ، تم قبولها أيضاً . كانت تقول : لقد أديت هذا الاختبار بفضل سيارة السيد أكبر (الفولكس واكن) . حيث اني اقتربت من الدائرة المرسومة عند الاستدارة بمقدار مليمتر ، وقد نقدته خمسة تومانات اكراماً له .

بدأت اعتقاد بنذر والدتي شيئاً فشيئاً ، ذلك لأن زوجتي قد فشلت وللمرة الثالثة ، في اختبار توقف السيارة بين الحواجز .

في المرة الاولى دمرت الحواجز أحد أبواب السيارة ، في المرة الثانية تمكنت من ايقاف السيارة بين الحواجز الا انها لم تتمكن من اخراجها ، في المرة الثالثة حدث ان تشاجرت مع الضابط . طبعاً هذا الضابط غير

□ قصة قصيرة □

ذلك الضابط الذي قال لها « انك تخترنن شمس الجنوب ». الضابط من مختلف النماذج موجودون . لقد قالت له : قزم ، انك معقد بسبب قصر قدك ، لذا فانت تفشل الممتحنين دون اى سبب كانت قد تعلمت هذه الكلمات من اذاعة طهران ، حيث ان الراديو مفتوح على الدوام الى جوار اذنها .

حدد الضابط التويبة الرابعة للاختبار بعد اسبوعين . ندت اطير من الفرح ، ذلك ان تأخيرها من مرحلة الى اخرى يوحى بالفرج . الا انها نجحت في الاختبار الرابع .

حان وقت الاختبار بين طرقات المدينة . فشلت في الاختبار للمرة السادسة ، في المرة الاولى ، عندما بدأت السير لم تشعل ضوء الاشارة . في المرة الثانية لم تنظر في المرأة . في المرة الثالثة لم ترجع كابع العجلات اليهوي ، في المرة الرابعة انخدعت بأمر الضابط وتوقفت وسط تقاطع الطرق . في المرة الخامسة اجتازت من اليمين وبسرعة سيارة مجاورة ، في المرة السادسة ، لم تستطع تشغيل السيارة مهما حاولت ذلك . في المرة السابعة من المحتمل حدثت معجزة ونجحت في الاختبار .

رهنا البيت ، مقابل اثنين وثلاثين الف تومان ، على امل ان نسددها بالاقساط ، بان يستقطعوا من مرتبى خمسمائة تومان كل شهر وحتى ابد الابدين .. « اذا كانت عندك سيارة ، فكأنما تملك كل شيء » هكذا كانت تردد زوجتي .

استيقظت ، في اليوم الاول ، مبكرا ، ولبست حذائهما ووضعت قبعتها ، وأحمر الشفاه ، وبرقعها الابيض المنقط بالوردي ، ووضعت نظارتها السوداء ، وليس القفازات البيضاء .

جلست الى جوارها ، والاطفال في الرديف الخلفي ، بمرتهم ان يبقوا واقفين ليتفرجوا ، وانطلقت في طريقها الى دائرتى .

لم تمل من كثرة تحدقها الفارغ في المرأة الموضوعة امامها .

□ قصة قصيرة □

وكانوا ما كانت تسخر من سائقي سيارات الاجرة وسائقي مصلحة نقل الركاب ، كذلك من السيدات اللواتي لبسن الشادرور . كانت سياقتها مرعبة وقد أخذت معدتي تؤلمني . لقد اعتصر الالم قلبي وأضخم الحرقه في معدتي حتى وصلنا الى دائري ، بشكل حدث عنه ولا حرج .

وصلت دائري بتأخير ربع ساعة فضلا عن ان قرحة المعدة أخذت تهددني .

التقينا بعد الظهر مرة اخرى لنعود سوية الى البيت . لم تعد امامي من حيلة فوافقت على ركوب السيارة مجبرا . وبدا قلبي اضطرابه ، فقد أخذت بالانعطاف يمينا وشمالا في اول قدم يداته في المسير .

عند تقاطع « اسلامبول » ، أخرجت يدها اليسرى لتلوح بها بالوقوف ، أخذ بيدها شقى من الاشقاء بفوقة ، ففي اول وهلة تبادلت معه الكلمات البذيئة كما هم السائقون ، كلا ، كما هم مساعدو السائقين . ثم بعدها أخذت تلتمس منه ان يترك يدها ، والشقى كان يقول : « في اي مصنع تمت صناعتك » .

اشعل الضوء الاخضر لإشارة المرور ، وفتح الطريق امامنا ، الا ان هذا الشقى لم يقرر بعد ترك يدها . كانت زوجتي تهدىء من روعي قائلة: حافظ على اعصابك ياعزيزى . مثل هذه الامور تحدث كثيرا في السيادة . السيارات التي خلفنا كانت تستعمل جهاز التنبيه بازعاج شديد ، الا ان الحقير لم يترك يدها بعد . نقد كان قلبي يضطرب . خوفا على ساعتها اليدوية ، فهي رغم انها عاطلة الا انها كانت مصنوعة من الذهب . وفي كل مرة كدت اترجل لاخلس يدها من هذا الحقير ، احاول الاستعاذه بالله ، حيث ان السيارات تمرق من حوالي مثل البرق ، وانا في الحقيقة امرء اخشى السيارات الواقفة ، فكيف بها وهي تمرق كالبرق .

□ قصة قصيرة □

كانت تحس انه من واجبها ان توصلني الى دائرتي ومن ثم العودة بي الى المنزل ، ولم يكن بالامكان نزع هذا الاحساس الوظيفي من راسها، ففي كل مرة استقل السيارة معها ترافق اعصابي ناهيك عما يثير غيري من كثرة ماتمر به من مضائقات عديمي الادب ، علما اني في كل واحدة من هذه المضائقات احاول فيها ان اشاغل نفسي واغض الطرف وكأنني لم ارها وعلى العموم هناك مايشغلني عن متابعة مثل هذه المواقف الا وهو طرقى الابواب هنا وهناك عسانى اتمكن من الحصول على مهمة عمل خارج دائري « مأمورية » لعلى استفید منها في اصلاح خزينتى التي تعانى من الافلان وبالفعل وفقت في الحصول على مأمورية وذهبت الى « دشت ميشان » .

* * *

كانت كل رسائلها محسوسة حشوًا بأخبار واحدات سياقتها . وأنا احتفظ برسائلها وهي الان امامي :

« عزيزي كنت قد ذهبت بالامس الى « نادري » لاتسلم ملابسي . لقد اعطيتها للصبغ ، حيث لم يعد هناك اي خبر عن الملابس الجديدة منذ فترة طويلة . لقد خصموا من مرتبك مقابل فترات تأخيرك خلال الشهر الفائت ، خمسة واربعين تومانا وثلاثة ريالات تعسا لهم ولخساستهم . نعم ، قلت لك ذهبت الى « نادري » ، وقد أوقفت السيارة الى الشمال من السفاره .

لم تكن اي سيارة واقفة لا أمام سيارتى ولا وراءها .

لم تحضر ملابسي بعد ، فقررت ان اذهب بعض الوقت وانفرج على واجهات المحلات . داشرت احدى الاسواق الصغيرة كان احدهم الباعة قد اعلن مزادا علينا لبضاعته من (البلوزات) . وفي هذه الايام أصبحت موضة ان يوضع طاقية على الرأس . طاقية نصف دائرة من القماش القطني . هو مناسب للسيادة . يوضع على الرأس وعندها لم يعد يتغير الشعر .

□ قصة قصيرة □

تسللت ملابسي ورجعت . كانت هناك سيارة كاديلاك طويلة واقفة امام سيارتي . و سيارة (فولكس) اخرى خلفها . ترددت قليلا قبل ان اجلس خلف المقود . لا اعرف ماذا حدث ، فقط فهمت ان مؤخرة سيارتي اصطدمت مع الفولكس ، و حوصلت السيارة تماما . لم يعد هناك مكان لحزحة السيارة . تركت السيارة وترجلت ، كانت المدارس قد افاقت ، وبدأ الطلبة يتلقاًطرون الى الشوارع المحطة . كل واحد منهم يمر من قربى كان يسمعني لفظا ساخرا . خاطبني احدهم : غني لي احذى أغنيات « دلشن » أيتها السيدة .

استدعيت احد المارة ليساعدني ، لقد قال لي : انك حاصرت السيارة بشكل صعب . طلب الرجل العون من آخرين من العمال وأخذوا يحاولون دفع سيارة الفولكس . بعد اللتيا والتي رفعوا سيارة الفولكس ليضعوها على بعد من سيارتي (البيجو) .

كيف حدث ان اصطدمت سياري بالفولكس وانا أحارو اخراجها من الموقف ؟ كأنها ليست بحديد وانما (كارتون) فكرت ان ادفع له تعويض الخسارة . اخرجت احدى البطاقات وسجلت فيها عنواني ورميتها الى داخل السيارة عبر النافذة .. أتمنى ان يكون صاحبها سهل التعامل ..

* * *

« ... عزيزي ، لا يوجد اي اثر لصاحب (الفولكس) .. السيدة صديقة تقول انه لم يصدق ان العنوان الذي وضع في سيارته عنوان صحيح ، لانه لا يوجد اي احمق يعمل هذا العمل ..

امس الاول كنت اقع في مأزق آخر ، الا ان الامر من بسلام .

كنت اسير عائدة من شارع « عباس آباد » ، كانت كل السيارات العائدة بالاتجاه الآخر تضيء لي مصابيحها الامامية . اعتقدت انهم يبادلونني التحية . انا ايضا بدوري كنت اشغل ماسحات الزجاجة الامامية

□ قصة قصيرة □

جواباً لتحياتهم . لاتقل أن الطريق مسدود . عند تقاطع الطرق فهمت ذلك وأنت لا تعلم كم هي شاقة الاستدارة في مثل هذه المواقف لأنك لم تمدرس السيادة .

انطلقت أسير في طريقي . لم أنتبه ، فجأة اصطدمت بسيارة فولكس كانت واقفة في الشارع من دون أي مبرر . لاتقل أنها كانت عاطلة وما ان اصطدمت بها عاد فاشتعل محركها . ولكن أنا لا أعرف ، لم يكن قلبي ينفك ، من أين آتي بالمال لدفع له ثمن الضرر التي لحقت بسيارته . على أية حال ، عندما وصلت إلى تقاطع طريق « قصر » ، كان ضوء أشارة المرور أحمر مما اضطرني إلى التوقف . وإذا بصاحب الفولكس جواري فتح الرجل نافذة سيارته . قلت :

— يغافل القلب ، هل تفك أن أوضحك عن الضرر ؟ ولكن الرجل رد : شكراً جزيلاً . لقد حدست ما أصاب سيارته ، كان علىَّ أن أساعده علينا نحن السائقين أن يساعد بعضنا البعض ، ولكن عندما يصل إلى مقصدك سيعرف أي بلاء نزل على رأسه ، وحينها قد فات الأوان .

* * *

« بالنسبة ، عزيزي لقد أجبرت على إجراء انقلاب مختصر في انبثت . لقد بعت كلًا من الطاولة التي وضعت عليها الزجاجة التي يتهمند بها خطرك الكسر في كل لحظة ، والكرسي الهزاز الذي غالباً ما تجلس عليه ، والسجادة الصغيرة التي نضعها في عتبة الباب وقد باتت بالية لم يعد لها قيمة ، بعثتها كلها بثلاثمائة وستين توماناً .

ففي أحد الأيام قررت أن أذهب إلى ورامين عند خالتك . لا أريد أن أحملك منة ، وإنما من أجل أن تتحسن سياقتي وتزداد تجربتي . وقد حدثت في سفرتي هذه بعض النواقص للسيارة مما اضطرني لتصليحها ودفع مبلغ ثلاثة وخمسين توماناً .

* * *

□ قصة قصيرة □

انتهت مأموريتي وعدت الى طهران ، كنت اعرف ان البيت بات مسجدا .. كانت انقلابات زوجتي خطرة . لم يكن لديها اي نوع من الشعور بالمسؤولية مطلقا . لقد حاولت كثيرا ان اوجد لديها هذا الشعور بالمسؤولية ففي بداية تعلمها السياقة حاولت ان اهيئ لها خريطة طهران ، الا انها لم تتمكن من الاستفادة منها ، وبعدها انتبهت حتى انها لم تستطع تمييز جهاتها الاربع .

حاولت ، وبالاستفادة من ضوء الشمس وحركة اليد ان اعلمها جهة الشمال . او قفتها وقد فتحت يديها ، وقلت لها الان ينبع اليمني في جهة الشرق ، ويذرق اليسرى في جهة المغرب ، امامك الشمال وخلفك الجنوب ، بنفس الصورة التي تعلمناها في المدارس عندما كنا في الصف انسادس الابتدائي . قالت :

— عزيزي ، الشمس غير موجودة في الليل ، كذلك في الايام الغائمة ، ففي مثل هذه الحالة ماذا اعمل .

ووجدت لها حلا بفضل الدب الاكبر اثناء الليل . الا انها لم تفهم اي معنى لا للدب الاكبر ولا الاصغر .

اووضحت لها اتجاه القبلة وأخبرتها بجهتها ، الا ان زوجتي نعم تكن قد صلت خلال عمرها .

لم تعد من حيلة امامي سوى ان استفيد من بيوت النمل (مثال) ، لا اعرف اين كنت قد قرأت او سمعت ان النمل تبني بيوتها باتجاه الشمال ، قد اكون اختلقتها من خيالي . في هذه المرة فرحت كثيرا بهذا المثال ، ولكن ليس من اجل سياقتها وانما هكذا من دون سبب .. وإنما كنا نذهب كانت تنظر الى النمل لتابع طريقها وتقول انها تتجه الى الشمال لأنها قد بنت بيوتها باتجاه الشمال . واخيرا اشتريت لها بوصلة ، الا انها من كثرة ماعبشت بها باتت عاطلة .

□ قصة قصيرة □

وصلت البيت . كانت امرأتي وأطفالى من شدة الضعف أتباه العناكب . كانت ، بعد ان توصل الاطفال الى رياض الاطفال وتعود ، ترتدي بنطلونا ازرق من نوع « الكابو » ، وتأخذ سطلا أحمر من « البلاستيك » وكانت قد اشتريته من قبل ، وتملؤه بالماء وتضيف اليه مسحوق الفسيل وبعد ان تضع القفازات النابلونية في يديها ، تنطلق في تنظيف السيارة بشكل عجيب ، وهي تردد بعض الاغنيات . لقد اضحت مهارتها في غسل السيارة أكثر بكثير من العمال المتخصصين . كانت تغسل انسيارة وتنظفها بشكل يكون بامكانها ان ترى صورتها منعكسة في السيارة وكانت قد اشتريت راديو للسيارة ايضا ، بعد ان باعت مولد الهواء البارد : « في الشتاء القارس ، ماذا نصنع بهذا المولد ؟ الى ان يأتي الصيف هناك وقت كثیرا » .

تشاجرت مع زوجتي بشكل جدي ، بل حاولت ان اضر بها ، ولكن رق قلبي لها ، لما كانت تبدو فيه من جسم هزيل وعيون غائرة مضطربة ، وقد صبغ لون ثوبها وجهها .

بدلت مسامعي مرة أخرى للحصول على مأمورية ثانية . ولكلة ما تابعت موضوعها هنا وهناك ، ولشدة الارهاق والاعياء اصبت في صحتي وبيت طبيع الفراش .

رعنى زوجتي خلال مدة مرضي بكل جهدها . في الصباح كانت والدتي تأتي من « باقايق » لتطبخ لي « الشورب » ، وفي المساء كانت زوجتي توصلها الى بيتها وبعد عودتها كانت تعبي بمفاتيح السيارة وتوضح لي من أي الطرق ذهبت واي أنواع السيارات سبقتها ، وما سمعته من كلمات الذين تعرضوا لها .

في احدى الليالي تأخرت . اضطررت بشكل عجيب ، في حوالي الساعة التاسعة اتصلت هاتفيا ، كان صوتها تفمره نبرات حزينة موحشة بشكل يحرق القلب :

قصة قصيرة □

- اصطدام !

- نعم .

- مع من ؟

- مع ضابط المرور .

- ضابط مرور ! يا الهي : من بين كل افراد العالم تصطدمين مع ضابط مرور ! وهل بامكان المرء ان يتخلص من مثل هؤلاء ؟

- ليس مع الضابط ، بل مع دراجته النارية . حاول ان توصل نفسك بسرعة ، ولا تننس ان تجلب معك كل ما موجود في البيت من نقود مع ترخيص السيارة . ترخيص السيارة موجود في صندوق ماكينة الخياطة . تعال الى مركز الشرطة ، مركز شرطة « الطوب خانه » . ان الرجل يتحفظ عن غرامة مقدارها ثلاثة آلاف تومان .

لبست ثيابي كالدهوش ، ربطت العنق الحمراء والجاكيت الجلدي ، ووضعت قبعة الرأس بشكل مائل ، ودخلت الى مركز الشرطة . كنت احس بدرجة حرارة جسمي جاوزت ٣٩ درجة ، الا انها نقطت من مكانها تقول : لقد وصلت في الوقت المناسب ياعزيزي . قلت : ما الذي حصل اليها السادة ، والذي عملته زوجتي ، هل دهست احدا عمدا ؟

كانت جالسة على الارض في احدى زوايا الغرفة ، وقد دل منظرها على خوفها وكابتها وسوء حظها . لقد أوجه منظرها حرقه في قلبي . فجأة انتفضت وكأنها تلمحني للمرة الاولى ، وقالت :

« قسما بالله ، لم يكن تقصيرني . المحقق ايضا سجل هذا في تقريره . بعد ان أوصلت والدتك ، عدت من حيث أتيت . اجرت على التوقف امام وزارة الصحة . وكان المسير متوقفا ، لأن السيد برجنيف ومرافقيه كان قد مر من هناك ، مبني الصليب الاحمر الايراني . السيد

□ قصة قصيرة □

اللازم هذا « نظرت اليه فاذا هو تقىب » كان احد اعضاء موكب برجنيف ، كان عليه ان يلتحق به . الا انه ق. اوقف دراجته النارية وسط الشارع ، لماذا ؟ .

عندما فتح الطريق واخذت السيارات بالانطلاق ، انحرفت باتجاهي سيارة حمل كبيرة ، حاولت ان تهرب منها الى الجهة اليسرى ، وقد ادى انحراف سيارتي الى الاصطدام بدراجة السيد ... ليتك تعلم ما الذي صبه الناس من بلاء على رأسي ، لقد كانوا ان يقطعنوني قطعة قطعة . » .

اما السيد الضابط ، فقد قال : كنا موجودين ودراجتنا في الحقيقة الشارع لنا ونحن مخولون بالوقوف اينما نرحب ، و ... السيدة تقود سيارتها من غير ترخيص السيارة .. وجراوها ..

قطعت كلام الضابط ، واخراجت ترخيص السيارة من جيبي وقدمنه أمام أعين الضابط ، أما الضابط فقد سحب الترخيص من يدي بقوة . الا انني خشيت ان اتشاجر معه . اساساً أنا أخاف من السيارة وضباط المرور ، هكذا ، ليس الامر بيدي .

قالت ماشاء الله على غيرتك . ترخيص السيارة الذي حصلت عليه بكل تلك المغانا ، هكذا تعطيه بكل سهولة ... وراح تبكي .

تقدم الضابط المسؤول بعض الخطوات ، وكان في يده تقرير المحقق ، وقال : تصالحوا مع السيد ، واشتروا له الادوات التي دمرت من دراجته وهو بدوره سيعطي موافقته ويجلب لكم ترخيص السيارة .

وافقنا على ذلك . جلست زوجتي خلف مقود السيارة وينادها ترتجفان ، وجلست أنا الى جوارها ، وقد جلس الضابط في اندريف الخلفي . وبداننا نبحث عن الادوات الاحتياطية البديلة لما تم تدميره من دراجة الضابط النارية . وعلى طول الطريق كانت زوجتي تنصح الضابط بأن يأخذ الامور على حقيقتها وأن لا يهتم بالظاهر وحدها .

□ قصة قضية □

كانت تقول : المهم هو ما يحمله المرء في رأسه من العقل والشعور، هذه الصفات الورقية لا تنفع لاي شيء . بل وكانت تقول : ان من سمات الشعوب المختلفة هو ان يولي ضباطها الاهمية للبهرجة والمظاهر .

النساء ايضا كذلك ليس كهن شغل سوى الاهتمام بمظاهرهن، ان استهلاك الاصاباغ ، وصالونات التجميل ، ومحلات بيع المشروبات الكحولية في هذه البلدان اكثر بكثير من محلات بيع الكتب.

كلمات جميلة الا انها ليست من تفكيرها .. اي ان زوجتي لم تستطع العثور على القطعة التي تحمل « ماركة المصنع » ، مما اضطرنا الى تأجيل البحث عنها الى صباح اليوم التالي .

في صباح اليوم التالي خرجنا أنا وزوجتي وضابط المرور انقطع شارع امير كبير من اوله الى آخره دون ان نوفق في العثور عليها .

كان الضابط يقول : اذا لم نعثر على « ماركة المصنع » ، فلن أسلم ترخيص السيارة . عندها اخذت زوجتي تقسم بأنها سوف تذهب الى عند الضابط .

قالت : وقتا لتقرير الحق ، كان عليك ان تلتحق بموكب برجنيف ... اصفر وجه الضابط ، واعطى لها ترخيص السيارة.

كان ثمن الادوات التي اشتريناها لدراجة الضابط يساوي ٢٠٠ تومان ، ولو أنها هندت الضابط من قبل لكننا قد احتفظنا بهذا المبلغ لامور أخرى نحن بأمس الحاجة اليها .

ما كللت انتهي من هذا البلاء ، حتى حصلت على مأمورية أخرى . وفي هذه المرة ذهبت الى « ميناء الشاه » .

كانت رسائل زوجتي مختصرة وغير مفيدة . لم تتحدث فيها عن السيارة ولا عن الانقلابات التي كانت تجريها في البيت . بدت شيئا

□ قصة قصيرة □

فشيئاً أصدق أن عشقها للسيارة بدأ يخرج من رأسها ، وسوف تعود حياتنا إلى وضعها السابق .

كتبت لها أوراقاً كثيرة مليئة بالاحاديث .. بدءاً من تلك اللينة التي التقينا فيها في مركز شرطة أهواز ، وكيف تحابينا وكيف في صباح اليوم التالي كنا نقتل الفراغ على ضفاف نهر الكارون بالقرب من سكك الحديد . وكانت زوجتي تقول :

« أن اللون المفضل عندي هو اللون الأزرق » . والكتاب الذي ترغبه في قراءته هو « تحت ظلال أشجار الزيزفون » . وكيف ان ظماءها للقراءة قد ارتوى ، وكيف أنها في يوم عقد قراننا كانت لابسة الشوب الأزرق ، وكيف أجبت بنعم على طلب « المأذون » ولم تكن هناك ضرورة لاعادة خطبة الزواج ثلاث مرات .

بدأت أحدها في رسائلي عن الطفل الثالث شيئاً فشيئاً ، بل وأكثر من ذلك حتى أني حدثتها عن امكانية بيع السيارة ، وقلت لعلنا نستطيع بذلك توفير الامدادات المتبقية .

فجأة فضلت زوجتي الصمت . أرسلت لها برقية . جاء جوابها : « نحن بخير نادياً . » وصمت مرة أخرى .

أخذت اجازة من العمل وعدت إلى طهران . عند تقاطع « ضراب خانه » كانت هناك سيارة مثمرة من شدة الاصطدام وضعت أمام الانظار . انسياحه محطمها قطعة قطعة ، الا أني استطعت التعرف عليها . أنها سيارة زوجتي آل « بيجو » . حتماً أنها الآن في عدد الموتى . أجل . عندما تكون السيارة بهذه الصورة ، لن يبقى أثر لمن كان داخلاًها .

سألت من سائق الاجرة :

ـ منذ متى وهذه السيارة هنا ؟

ـ منذ شهر تقريباً .

ـ لا تعرف ما الذي حدث لسائقها ؟

□ قصة قصيرة □

لم يكن يعرف . فحتى أصل البيت أكون قد فقدت نصف عمري !
طرقت الباب . ففتحت زوجتي الباب . رأيتها لابسة السواد من راسها
إلى أخمص قدميها ، وقد وضعت برقعاً أسود على وجهها ، سالتها :

— من الذي توفي ؟ والدتي ؟ الأطفال ؟

— لا تخف لم يمت أحد .

— لماذا لبست السواد اذا .

— قالت بنبرات حزينة :

« أصطدمت أصطداماً مهلكاً . كنت خارجة من أحد الشوارع
الفرعية إلى الشارع الرئيس ، فاصطدمت بأحد العسكريين .

في هذه المرة ، لم يكن صوتها تقليداً لاي صوت آخر . لم تحاول
ان تقلد لا اصوات مذيعي اذاعة طهران ، ولا ممثلات الافلام .

قالت :

« لم افهم بعد ، لماذا لبست ثياب العزاء » .

قالت :

« منذ شهر والسيد العقيد طريح الفراش في المستشفى . المسكين
من رأسه حتى قدمه مقطى باللگائف . كل يوم اذهب إلى مستشفى الجيش
لاحاول ان أحصل على رضاه والموافقة على صرف نظره عن الخسائر .

أخيراً تمكّن من فتح احدى عيشه . لقد عدت توا من المستشفى .
قلت للعقيد اتنى ارملاً قد توفي زوجي منذ مدة قصيرة ، وللهذا تراني في
ثياب العزاء ، عسى ان يرق قلبه لي ويوافق على صرف نظره عن الخسائر
التي لحقت به ، والا في غير هذا ، فالله يعلم كم ستكون خسائرنا » .

دخلت الغرفة . سالتها :

« أين الأطفال ؟ » قالت :

« موجودون في بيت السيدة صديقة . » وكانت صادقة في قولها
لانها ذهبت وجاءت بهم .

صباح اليوم التالي ، لبست ثيابها السوداء ووضعت البرقع الاسود كذلك البست الاطفال ثيابا سوداء ايضا . وذهبوا معا الى حضرة العقيد في المستشفى العسكري . وكانت قد اوصت الاطفال بأن يبدوا بالبكاء في اول نظرة يرون فيها العقيد ، دون ان ينطقوا باي كلمة .

اقربت اجازتي من يومها الاخير . وقد ادعت زوجتي ان صحة العقيد في حالة تحسن ، وقد بدأ الان يفتح كلتا عينيه ، وهو يذهب الان بنفسه الى الحمام ، وكانت في غاية السعادة .

كانت الليلة الاخيرة من اجازتي . رغبت في طرح موضوع انطفل الثالث من جديد ، الا ان زوجتي دهشت ، وبعيون غاضبة قالت :

«اجلس امامي ، اريد ان احدث السيد عن قضية مهمة ». غمرني اضطراب عجيب ، يمكن ان يكون انها لن تطلب مني ان اشتري لها سيارة اخرى ؟ .

قالت : «أتعرف ياعزيززي ، اني أخالف استمرار الحياة آنزووجية وبقاءها . الزواج مظهر من مظاهر البرجوازية » .

لم تكن هذه الكلمات كلمات روجتي . ولا يمكن ان تكون دعماً لحضره العقيد .

كذلك لا يمكن ان تكون من كلمات السيدة صديقة ابداً .

انها كلمات انسان له معرفة بالاستهلاك ، والشعوب المختلفة ، والاصباغ ، والمظاهر ، وبهرجة الضباط والنساء ! تجرأت وقلت :
— هل تفكرين بطلب الطلاق ؟

علت شفتيها ابتسامة وقالت :

— أجل . لقد فهمتها بسرعة . انت تدری انك سوف تطلقني ، لذا احفظ ماء وجهك واقدم عليه بسرعة .

— تريدين ان تكوني زوجة لآخر جل الذي تحدث لك عن البرجوازية ؟

□ قصة قصيرة □

قالت :

— كلا . انه نم يكن ممن يرغبون في الزواج او التحدث عنه .

سألتها :

— منذ مدة طويلة وانت تعرفين هذا الرجل ؟

قالت :

— كلا . رأيته أكثر من مرة في بيت السيدة صديقة ليس الا .

سألتها :

— اذن ، لماذا تطلبين الطلاق ، بالنسبة لي ليس بهم ، ولكن بالنسبة للأطفال فانهم سيمسون تعساء .

قالت :

— هذا الامر يخصك انت وحدك .

تشاجرنا مع بعض وقد أشبعتها ضربا ونحن على المائدة ، والاطفال اخذوا يبكون بصراخ ونحيب .

عملت كل مافي وسعي لصرف النظر عما تبقى من المأمورية ، وعدت الى طهران وطلقتها .

بعد ثلاثة أشهر واحد عشر يوما ، زفت زوجتي وهي عند والدتي . وبقيت أنا وحدي اسدّ اقساط مصرف الرهون ، وقد صرف العقيد النظر عن المطالبة بالخسائر التي لحقت به جراء الاصطدام .

* * *

(صادق هدایت: قصّة انتحارين) في السّيرة وخارجها

١٩٥١ - ١٩٠٣

ت: عطّار داعي زيد حيدر

ولد كاتب القصة والمفكر الشهير صادق هدایت في عائلة طهرانية مرمومة عرفت بحبها للثقافة وتشجيعها لها . وتلقى تعليمه في أرقى المدارس في طهران .

سافر سنة ١٩٢٦ الى اوربا لتابعة دراساته الجامعية، لكنه أمضى هناك سنواته الأربع محاولاً التعرف على الادب الاوربي ومتابعة للنشاطات الفكرية هناك ، وبعد ان عاد الي طهران ١٩٣٠ بوقت قصير نشر مجموعة قصص قصيرة تحمل عنوان «المدفون حيا» ، وتبعتها أربع مجموعات قصصية هي «ثلاث قطرات من الدم» ١٩٣٢ ، النور والظل ١٩٣٣ ، السيد واه واه ١٩٣٤ ، الكلب الشارد ١٩٤٢ » اضافة الى ما كتبه من دراسات متفرقة حول موضوعات أدبية وفكرة.

وقد ظهرت مختارات من قصص هدایت في المجموعة المسماة: «صادق هدایت مقتطفات ١٩٧٩ » . وقد كانت قصته «داش اکول» - الماخوذة

□ في السيرة وخارجها □

من مجموعة ثلاث نظرات من الدم والتي نالت الاهتمام الاكبر من بين جميع قصصه من ناحية الترجمة - مصدر الهمام خصب لاضخم الافلام السينمائية الايرانية عام ١٩٧٠ .

يعتبر هدایت اشهر الروائیین الایرانیین على الاطلاق ، و تستند شهرته بالإضافة الى الجدل الواسع الذي أحاط بسيرته الى روایته القصیرة « البومة العمیاء » ١٩٣٧ - ١٩٤١ الدائمة الصیت والتي ترجمت الى الانگلیزیة مرات عدیدة في اعوام ١٩٥٧ ، ١٩٦٩ ، ١٩٨٩ على التوالي .

وقد تبع میشیل بیرد في كتابه « البومة العمیاء : قصة غریبة » بالتفصیل جوانب تأثر هدایت بالادب الغربی ، بينما جمعت مقالاته ودراسات اخری لتناولت الروایة في كتاب يحمل عنوان « البومة العمیاء بعد أربعین سنة ١٩٧٨ » يتم فيها سرد السیرة الشخصية لهدایت ويتناول تحلیل العناصر الایرانیة في الروایة .

نشر هدایت رواية اخری بعنوان حاج اکا عام ١٩٤٥ التي ظهرت في نسخة اخری بعنوان حاج آغا ، وترسم صورة للایرانی المعتمد لنفسه ، أما كتابات هدایت التي يتناول فيها بالنقد والقدح مسائل التقصیب الديینی والتي جمعت في كتاب يحمل اسم « معيار اللؤلؤ » ١٩٤٧ فقد بقیت ثلاثة سنّة قبل ان تخرج الى النور .

عاش صادق هدایت طوال حياته عازباً وغادر طهران الى اوروبا في نهاية عام ١٩٥٠ حيث انتحر في شهر نیسان الذي تلاه .

* * *

أبجي خانم

قصة قصيرة للكاتب الإيراني

صادق هدایت

كانت أبجي خانم اخت مهروق الكبرى ، لكن الناس الذين لا يعرفونها ولم يروها معاً لم يكونوا ليصدّقون أنها اختان . كانت أبجي خانم طويلة نحيلة ذات بشرة داكنة وشفتين غليظتين وشعر تفوح منه دائماً رائحة المسك — لقد كانت بشكل عام فتاة قبيحة جداً . وعلى النقيض كانت مهروق قصيرة القامة ، جميلة ذات أنف صغير وشعر بني محمر وعيينين جميلتين ، وما ان تبتسم حتى تظهر عيوبها . وكان ثمة اختلاف كبير في تصرفاتها أيضاً فقد كانت أبجي خانم بلية نكدة تفتقر إلى الحنكة الاجتماعية في طباعتها إلى حد أنها كانت تقاطع والدتها أحياناً ممتنعة عن الكلام معها لشهرين او ثلاثة أشهر متواصلة . ومن جهة أخرى كانت اختها انيسة العشر جذابة وذات مزاج رائق وابتسامة دائمة ، وكانت جارتهما نانا حسين تسميها « السيدة الجميلة » ، وكان الوالدان يكنان أكثر لمهروق اذ كانت الطفلة الصغيرة الاثيرة والاحلى . ولمـ. كانت أبجي خانم طفلة كانت أمها تضربها وتزعجها على نحو متواصل ، وكانت تبكي قلقاً كبراً أمام الجيران والغرباء اذ تضرب ظاهر كفها ثم تهتف : آه ما الذي يتوجب علي فعله حيال هذا النحس ، من سيتزوج مثل هذه الابنة القبيحة؟ إنها ستبقى عالة بي إلى الأبد ، إنها ابنة محرومة من الثروة والجمال والطيبة ، اي شقي هذا الذي سوف يقدم على الزواج منها؟ والى ما هنالك من الكلمات القاسية التي كانت تنهمى على أبجي خانم التي فقدت كل أمل وكفت نهائياً عن التفكير في الزواج ، وأخذت تقضي معظم وقتها في الصلاة والعبادة . ذات مرة أرادوا تزويجها لصبي النجار

□ في السيرة وخارجها □

الذي اسمه قلب حسين لكنه رفضها ، ومع ذلك كانت آبجyi خانم تقول لكل الناس : لقد وجدوا لي زوجاً لكنني لن أقبل به ، كل الأزواج في هذه الأيام سكرون ويعاشرون البغایا ، إنهم يستحقون جميعاً أن يودعوا في غياب السجن ، أما أنا فلن أتزوج أبداً .

هذا ما كانت تقوله جهاراً على رؤوس الأشهاد ، لكنها في أعماق نفسها كانت قد أحببت قلب حسين بكل جوارحها وتمنت الزواج به. وإذا كان يقال عنها منذ كانت في الخامسة من عمرها أنها فتاة قبيحة وأن لا أحد سوف يتقدم للزواج منها ، ولأنها أخذت بحسباتها أن لا نسيب لها في مسرات هذا العالم فقد كانت تريد على الأقل أن تجني ثمار الآخرة عبر الصلاة والعبادة ، وهذا ما كانت تدخل به العزاء إلى نفسها قائلة : ما الذي يدعو للتفرج على هذه الدنيا الفانية إذا لم يكن بوسع المرء أن يستمتع بمسراتها ؟ ممنية نفسها بأن العالم الأزلي الخالد سيكون ملكاً لها حيث ستتحسدها كل الفتيات الجميلات بما فيهن اختها .

كانت آبجyi خانم تكثر من الخروج أيام شهري محرم وصفر ، ولم يكن ثمة أي احتفال بذكرى ولی شہید لا تحضره ، وكانت تأخذ مكانها في احتفالات تعذيب النفس التي تبدأ منذ الحادية عشر صباحاً . وكان رجال الروزیب خان يعرفونها جيداً . كان كل واحد منهم يطلب منها ان تجلس عند قدميه كي تلهم الجمهور ببكائهما ونواحها . وكانت تحفظ سير الشهداء عن ظهر قلب وكان جيرانها لكثره ما تحضر من محافل دينية وتعرف قضايا الدين يستشيرونها في مشاكلهم . كانت تستيقظ عند انبلاج الفجر لتوقيط اهنتها من نومهم فتذهب أولاً إلى سرير اختها لترفس السرير وتقول : لقد قارب الوقت الظاهر ، متى ستحرکين عظامك الكسولة وتهبین للصلوة .

□ في السيرة وخارجها □

ولا يكون بوضع الفتاة المسكينة عندها الا ان تنقض من نومها وتنوضاً وهي نصف نائمة وتقف لتلاؤه صلاتها . وكانت الدعوة لصلاة الصبح ، وصيام الديكة ، ورياح الصباح، وهمميات المسلمين تجعل أبيجي خانم في مزاج روحي خاص . لقد كانت فخورة في اعمق نفسها وكانت كثيراً ما تقول لنفسها : « لو لم يأخذني الله الى سماواته فمن سيأخذ اذا » . وفي بقية النهار ، بعد ان تشارك في الاعمال البيتية اليومية تقوم بمساكنة الجميع تمسك بسبحة لاتهدأ حياتها التي حال سواد لونها واصفرت لثرة الدمع والفرك وتبدأ بتلاؤه صلواتها ، وكانت اعظم رغباتها ان تفعل كل ما يبوسعها للقيام برحلة حج الى كربلاء والمكوث هناك .

ولما لم يكن يبدو على اختها انها تولي اهتماماً كبيراً للجانب انروحي في الحياة ، فقد كانت تكلف بأداء : لاعمال المنزلية طوال النهار ، وعندها بلفت الخامسة عشرة بدات العمل في خدمة المنازل بينما بقيت أبيجي خانم التي بلفت الثانية والعشرين من العمر في البيت ، وكانت تحس بآلام اختها في قراره نفسها .

وطوال السنة والنصف التي أمضتها مهروق في عملها بخدمة المنازل لم تكن أبيجي خانم تسأل عنها ، كما لم تقم بزياراتها مرة واحدة . كانت مهروق تأتي كل أسبوعين لزيارة أهلها ، وكانت آبيجي تمضي ذلك الوقت في الجدال مع شخص ما ، او تذهب للصلوة طوال ساعتين او ثلاث وعندما يجلسون معاً تبدأ بالقاء ملاحظات تهكمية عن اختها ، وخطب طويلة تعظها فيها بالمواقبة على الصلاة والصيام وطقوس الطهارة وغيرها .. فتقول لها مثلاً : « منذ ظهرت أولئك النساء المتأنفات ارتفع ثمن الخبز . ان كل امرأة لاتسدل خماراً على وجهها سوف تعلق في نار الجحيم من شعر راسها . ان رأس الفتري سوف ينمو ليبلغ حجم الجبل بينما يتضائل

□ في السيرة وخارجها □

عنقه ليصبح بحجم الشعرة . ثمة افاعٍ في الجحيم تطارد الناس انى ان يلودوا بمكان يحاصرهم فيه تنين ... » والى آخر ما هنالك من هراء . وكانت مهروق تشعر بأن اختها تحسدها لكنها لم تكن تظهر ذلك .

وفي عصر أحد الأيام جاءت مهروق الى البيت وتكلمت مع والدتها لبعض الوقت ثم غادرت البيت . كانت أبيجي خانم تجلس قرب الباب في الغرفة المقابلة تدخن الغليون ، ولأنها كانت تغار كثيراً من اختها ، لم تقم بسؤال أمها عن موضوع حديثهما ، وبال مقابل لم تخبرها والدتها بأي شيء .

وعندما هبط الليل ، اتى والدتها مرتدية قبعة عمال البناء المفطاة بالجص ، نزع ثياب العمل والتقطت كيس تبغه والغليون ، وصعدت الى السطح ، وتركت أبيجي خانم ما كان بيدها واخرجت مع أمها السماور البرونزي وسلة القش الصغيرة ، والزبدية النحاسية وبعض البصل والمخللات وذهبتا وجلاستا فوق البساط ، وأعلنت والدتها ان عباس الذي يعمل خادماً في البيت الذي تعمل فيه مهروق قد قرر الزواج من مهروق .

وفي الصباح التالي عندما دخلت البيت هادئاً اتى عباس لطاف يد مهروق وقررها أجراء عقد الزواج في الأسبوع القادم وتقديم خمسة وعشرين ليرة عثمانية مهراً لوالد العروس بالإضافة الى مهر يقدم للعروسان ويتألف من ثلاثة نيرات عثمانية ومرأة وقرآن وحذاء وحلويات وصرة من الحنة ووشاح حريري وسروال فضفاض وبعض الثياب وقلادة ذهبية .

وبينما كان والدها يلوح بشيء ما أمام وجهه مستخدماً اياديه كمروحة وضع مكعباً من السكر في زاوية فمه وارتشف الشاي عبر أسنانه وقال من طرف لسانه : « حسناً على بركة الله ، كل شيء على مايرام » دون أن يبدو مندهشاً أو سعيداً ، أو أن يبدو على وجهه أي تعبير أو شعور على الاطلاق . وبناءً كما لو كان خائفاً من زوجته ، وصعدت أبيجي خانم عندما تأكدت مما قبل ، ولم تستطع الاصفاء الى بقية الترتيبات .

□ في السيرة وخارجها □

وعندما كانت تتلو الفاتحة أثناء صلاتها توقفت ونزلت إلى الغرفة ذات الأبواب الخمسة، القت نظرة على نفسها في مرآة صغيرة . كانت تبدو عجوزاً مهزولة كما لو أنها قد كبرت عدة سنوات في دقائق قليلة ، وبدت جبهتها معقودة في عبوس متجمد ، كانت أحدي الشعرات قد ابيضت تماماً سحبتها أبجبي منتزعة إياها بأصابعها وحدقت لهنيهة في ضوء الصباح دون أن تشعر بالالم مكان الجذر المنزوع .

ومرت خمسة أيام وكان أهل البيت في غمرة انهماكهم يذهبون ويجهؤون من السوق واليه . اشتروا ثلاثة أثواب محاكاة بخيوط الذهب بالإضافة إلى آناء للشراب وكؤوسٍ وقطعة مطرزة مزخرفة وزجاجة من ماء الورد وأبريق للشرب وقبعة للنوم وعلبة أدوات تجميل ، وآناء اغلي صباغ النيل وسمادر برونزية وستارة موشأة بالزخارف والرسوم وهكذا فقد جلبوا شيئاً من كل شيء ، وقامت الأم بانفعال شديد بجمع كل الأشياء الصغيرة التي كانت منتشرة في أرجاء البيت بما فيها سجادة الصلاة الكشمير التي طلبتها أبجبي خانم من أمها مرات كثيرة (ولم تحصل عليها بالطبع) ووضعت كل ذلك جانباً من أجل جهاز عرس مهروق .

كانت أبجبي خانم تراقب كل هذه الأحداث بصمت واضطراب، وقد ظلت طوال يومين تتظاهر بأنها تعاني صداعاً في رأسها ولم تكن أمها لت肯 عن تأثيرها طوال الوقت :

« لماذا تكون الاخت اذا في هذا الموقف بالذات من بين جميع الاوقات؟ ابني أعرف انك تحسدلينها لكن الحسد لن يجديك شيئاً ، كما ان القبح والجمال ليسا صناعة يدي ، انهما من صنع الله ، انك تعرفين ابني كنت انوي تزويدك بقلب حسين لكنهم رفضوك ، انك تتظاهرين بالمرض الان كيلا تقومي بأداء اي عمل ، انك تمضين الوقت منذ الصباح الى العشيقة في

□ في السيرة وخارجها

العبادة ، اتنى امرأة بلا حول ولا قوّة يتوجّب عليها ان تدخل الخيط في
سم الابرة بهاتين العينين التالفتين » .

وترد آبجي خامن من تحت الاخطية وقد أخذها الاضطراب الشديد.
« حسنا .. حسنا .. لاتحاولي وسم الثلج بالنار وانت في هذه السن ،
ان الرجال الذين على شاكلة عباس اكثر من الهم على القلب في هذه المدينة
لماذا لا تكتفين عن انتقادي؟ يكفي ان كل الناس يعرفون اي شخص هو عباس
هذا بغض النظر عن كون مهروق حامل في الشهر الثاني ، لقد رأيت بطنها
متكورا ولكنني تفاضلت عن الامر ، اتنى لم أعد اعتبرها اختي أبداً » .

وصعقت والدتها : « يا إلهي .. هلا خرست ، فليأخذ الله جسده
ويتركني أحزن على موتك ، فتاة وقحة ، لقد فقدت عقلك تماماً ، هل
تريددين تلطيخ سمعة ابنتي بالعار ، اتنى أعرف ان غيرتك تفعل فعلها ،
لعلك ستموتين اذ لا أحد يتقبلك وانت بشكلك الحالي ، ان شعورك بالاسى
يدفعك الى الافتراء على اختك الست انت من كان يقول بأن الله قد انزل
في قرآنـه ان المفترـي هو اسوـا انوـاع الكاذـبين ، ان قبحـك نـعمة الهـيبة فـلولاـه
لاـشبعـنا النـاس قـيلاـ وقال لـمـفـادرـتكـالـبيـتـفـيـمعـظـمـاـلـوقـاتـلـحـضـورـالـخطـبـ
الـديـنـيـةـ ، تـابـعيـ ، انـكـلـصـيـامـكـ وـصـلـاتـكـ وـعـبـادـاتـكـ لـاتـحـتـمـلـ لـعـنةـ وـاحـدةـ
منـ الشـيـطـانـ ، انـهـذاـكـلـهـمـجـرـدـادـعـاءـ .

كان هذا هو نمط الكلمات التي تبادلتها خلال اليومين التاليين .
كانت مهروق مرتبكة ولم تنبس ببنت شفة حتى ليلة الزفاف . حيث
احتشدت كل نساء الجيران وقد صبغن حواجبهن وأسدلن أوشحة مزينة
بالعملات المعدنية ووضعن زينة الوجه واسدلن غررهم وارتدين ثيابا
قطنية مسرولة . وفي غمرة كل هذا قفرت نانا حسين الى الركن واماالت
عنقها وبدأت بالقرع على الطلبة متزنة بلازمة الاغنية :

□ في السيرة وخارجها □

حبيبي ، بورك زواجنا ، أنها مشيئة الله
مبroke .. إننا نأتي إننا نأتي عائدين من بيت العريس
كل النساء بدور ... وكل الرجال ملوك
وكل العيون لوز ..

حبيبي ، بورك زواجنا ، أنها مشيئة الله
مبroke .. إننا نأتي ، إننا نأتي
عائدين من بيت العريس
الجميع عميان وعرجان ، وكل العيون زائفه
حبيبي .. مبroke .. نحن نأتي
لأخذ الجنية والحربي
أنها مشيئة الله .. مبroke

وأخذت بتردد الأغنية ، وكان الناس في غدو وروحان ، وأمام البركة
كانوا يقومون بفرك الأطباق بالرماد ، وكانت رائحة القديد تعبق في الهواء ،
وصاح أحدهم يهش على قطة في المطبخ ، بينما كان آخر يبحث عن بعض
النبيض ليقوم بعرض بعض الحيل والألعاب خفة اليد أمام الناس . وكان
الأطفال يمسكون بأيدي بعضهم ويجلسون وينشدون : « النمل في حوض
الاستحمام ، اجلس قف .. » .

وتم إشعال السماور النحاسي الذي استعاروه لهذه المناسبة بشكل
خاص ثم أعلن أن أم مهروق ستأتي مع ابنتيها إلى حفل الزفاف . وتم
إعداد مائتين عاملتين بالفواكه والحلويات ، ووضع كرسيان على كل
 جانب منها .

كان والد مهروق يمضي جيئه أو ذهاباً مفكراً في أنه قد انفق ما يكفي
من النقود في هذا الامر . بينما كانت أمها تلح على وجود عرض لمشهد
دمى متحركة تلك الليلة .

□ في السيرة وخارجها □

ووسط كل هذا المهرج والمهرج لم ينطق أحد بكلمة واحدة عن أبيه خاتم التي كانت قد غادرت البيت منذ الثانية ظهرا . لم يكن ثمة أحد يعرف إلى أين ذهبت ولكن الجميع جزموا أنها قد ذهبت بالتأكيد لحضور خطبة دينية .

عندما أشعلوا الأضواء الملونة وكانت مراسيم الزفاف قد تمت وغادر الجميع ماعدا نانا حسين تشبّثت أيدي العروسين وجلاسا جنبا إلى جنب في الغرفة ذات الابواب الخمسة وتم اغلاق جميع الابواب ووصلت أبيه خاتم البيت ومضت نحو الغرفة ذات الابواب الخمسة كي تنزع خمارها ، وما ان وصلت هناك حتى رأت ان ستائر الغرفة ذات الابواب الخمسة قد أسدلت وثبتت باحكم ، وبذات افع من الفضول ساحت طرف الستارة ومن خلال النافذة رأت اختها مهروق في كامل زينتها وأناقتها وقد بدت أجمل مما كانت دوما ، وهي تفتسل بنور المصباح جالسة بجانب عريسها الشاب العشريني الطويل ذو البنية القوية . كانا جالسين أمام مائدة عامرة بالطويات . أحاط العريس بذراعه خصر مهروق وهمس شيئا ما في أذنها كما لو أنهما قد لاحظاهما . ربما كان العريس قد لاحظ وجود أبيه وكى يجعلها تشغر بالفيرة ضحكا معا وأخذا بتبادل القبل .

وتناهى صوت طبلة نانا حسين آتيا من آخر الفناء :

«مبروك يا حبيبتي»

واستولت على أبيه خاتم مشاعر متمازجة من البغض والحسد، أغلقت الستارة ومضت إلى سريرها المركون باتجاه الجدار دون ان تنزع خمارها الاسود عن وجهها .

شبكت كفيها تحت ذقنها وأخذت تحقق في الأرض ، وزاغت عينيها على أزهار السجادة ونقوشها فأخذت تحصيها كما لو أنها تراها لأول مرة وأخذت تمعن نظرها في انسجام الوانها .

□ في السيرة وخارجها □

كان الناس يدخلون ويخرجون لكنها لم ترفع رأسها لرؤيتها وجاءت امها الى باب الفرفة وسألتها : « لماذا لم تتناولي عشاءك ؟ ولماذا تبدين كثيبة ؟ لماذا تجلسين هناك ؟ انزععي خمارك الاسود ، لماذا تريدين جلب فال سيء لنا ؟ تعالى وقبل اخنك ، تعالى وانظري من خلف النافذة ، ان العريس والعروس يبدوان كالبدر المكتمل في هذه اللحظة ، تعالى وقولي شيئا ، لقد افتقدك الجميع وسائلوا عنك ولم اعرف ما الذي يتوجب علي قوله لهم » .

رفعت آبجى خانم رأسها وقالت : « لقد تناولت عشاءي » .

كان الليل قد انتصف ومضى الجميع الى النوم متذكرين ليالي عرسهم الاولى والاحلام تندفع مخيلاتهم وفجأة هب اهل البيت مذعورين من نومهم على صوت رشة ماء ، ظنوا في البداية ان قطة او طفل قد سقطا في بركة الماء فأشعلوا الضوء وهم حفاة ونصف عراة ، فتشدوا في كل الامكنة لكنهم لم يتبيّنوا ما يلتفت نظرهم ، وعندما عادوا الى النوم لاحظت ناز حسين خف آبجى خانم قرب خزان المياه ، وقربوا المصباح اليه نيرا جسد آبجى خانم يطفو فوق وجه الماء .

كان شعرها الاسود المجدول ملتفا حول عنقها مثل افعى بينما التصدق ثوبها المزركش بجسدها ، ورأن على وجهها تعبر بهي فبدت كما لو أنها قد ذهبت أخيرا الى حيث لا يوجد قبح او جمال ، لازواج او عوبل ، لا ابتسام او بكاء ، ولا سعادة او اسى .

لقد ذهبت الى الجنة ...

* * *

لحظة ثانية عن لشراحتي في إيران

بقلم: الأستاذ محمد حقوقى
ت: عبدالكريم خداد

المصدر: كتاب (شعر نو از آغازتاً أمروز) (الشعر الحر منذ
البلء وحتى اليوم) .

تعود بدايات ظهور الشعر الحر في إيران إلى قبل سبعين عاماً ،
أي إلى أوائل العشرينات من هذا القرن ، حيث بدأ انطلاقته من نبع
(الاساطير) وتطور مع مرور السنين ليصبح نهراً ينهل منه عشاق هذا
الادب الإنساني الرفيع الذي ظهر ليطلق العنان للشعراء للتعبير عن
مشاعرهم الإنسانية دون التقييد كثيراً بالقوافي والآوازن الشعرية .

كانت البداية مع عدد قليل من الشعراء الإيرانيين مالبث أن ازداد
هذا العدد من الشعراء الذين نهلوا من منهله كلاً حسب حاجته، لتتفجر
коامنهم الشعرية وأحساسهم الإنسانية وتصب في السواقي والأنهار
التي تواصل الماء المتذوق فيها وحتى وصل اليها في الوقت الحاضر بشكل
نتائج شعرية للعشرات من الشعراء الإيرانيين المعاصرين .

بدأت هذه السوادي والانهار حركتها من نقطة الانطلاق متخذة مسارات مختلفة طبقاً لتوجيهات أصحابها، الا ان بعضها لم يستمر كثيراً وجف الماء فيها اسرع من المتوقع ، والبعض الآخر استمر لسنوات طويلة قبل ان يتوقف عن العطاء ، والقسم الثالث استمر في عطائه مداً وجزراً ولا زالت المياه تتدفق في سواقيه نحو الحاضر المشرق والقدس المبارك .

خلال الاعوام السبعين الماضية شكلت اشعار الشاعر الايراني الكبير (نima يوشیج) النهر الرئيسي في هذا التيار ، وتميزت اشعاره بالفنى الموضوعى بعيداً عن الشعارات ، حيث اتخذ نهجاً يختلف عن الشعر التقليدي الموزون في الشكل والبناء واللغة والنظرية الى الامور .

ولكن للأسف فان هذه الخصائص لم تشاهد في اشعار اخرى غير اشعار (نima) حتى اواسط الأربعينات من هذا القرن ، لأن الشعر كان آنذاك شرعاً « مرحلياً » ، وكان قد تحرك من خلال مقطعين تاريخيين مهمين مرت بهما ايران آنذاك .

المقطع الاول كان ايلول ١٩٤١ م (تنصيب الشاه الابن محمد رضا خان ونفي والده رضا خان من قبل الانجليز والامريكان بضغط من الشعب) واستمر حتى ١٩٥٣ « الانقلاب العسكري الذي قام به علماء المخابرات الامريكية في ايران ضد حكومة الدكتور مصدق وارجاع الشاه محمد رضا خان الى الحكم ثانية » ، حيث عاشت ايران خلال هذه الفترة أجواء حرة نسبياً ، وبدوره تأثر الشعر الحر بهذه الأجواء وكانت النداءات التي أطلقها الشعراء خلال تلك الفترة مليئة بالامل والثورة والحياة .

المقطع التاريخي الثاني كان بعد التاسع عشر من آب ١٩٥٣ حيث مرت ايران بأجواء سياسية واجتماعية خاقنة تأثر بها الشعر الحر وتميزت النداءات التي تضمنتها اشعار تلك الفترة باليأس والاحباط مع وجود بصيص امل للحرية والانتقام .

□ لحة تاريخية من الشعر □

من أهم شعراء الفترة التاريخية الاولى : « غترة الشعارات الجماهيرية والثورية » تذكر الشعراء اسماعيل شاهرودي وقصيدته « المستقبل » واحمد شاملو وقصيدته (الصبح) وستياوش كسرائي وقصيدته « الفجر » وهو شنك ابهاج وقصيدته (الظل) .

ومن أهم شعراء الفترة التاريخية الثانية (اشعار اليأس والاحباط) تذكر الشعراء نادر نادربورز وفريذون مشيري وحبن هنرمندي وشرف الدين خراساني وكذلك اشعار نصرت رحماني .

أي ان اشعار تلك المرحلة التاريخية كانت متأثرة - على الالتب - بالاجواء السياسية المتقلبة التي سادت ايران ، ولم يشذ عن ذلك الا عدد قليل من الشعراء من امثال (اخوان ثالث) الذي تميزت بعض اشعاره بلون خاص آخر ومتميز ومحمد مشرف آزاد تهراني ، حيث رفض امثال هؤلاء الشعراء الاقرار بالهزيمة والاحباط ونظموا اشعارا عبروا فيها عن الالم الانسانية التي اعتبروها منفصلة عن الهزائم السياسية والشخصية ورفعوا شعار لزوم التعبير عن تلك الالم ب اي شكل كان . وكان منهم ايضا الشاعر محمد مقدم في الثلاثينات واعمال (شين برتوا) الادبية في الأربعينات واسعادر برويز نائل خانلري ومجد الدين مير فخرائي وغيرهم . ولكن قبل فترة وجيزة من هؤلاء عرفت اشعار (تندركيا) التهكمية والنقدية اللاذعة وبعد ذلك برزت اشعار « هوشنك ايزاني » الخاصة الرائعة التي سخرها لنقد المقلدين للجانب في اللغة ، وعرف ايضا ببراعته في الاستعارات الصورية والجرأة في الطرح الادبي والشجاعة في استخدام الترانيس اللفوية الجديدة ، حيث ان اشعار هذا الشاعر الكبير رغم انها ووجهت بتكم واستهزاء الكثير من المعاصرین له الا انها لفتت انتظار الكثير من الشعراء الواقعين الذين جاءوا من بعده .

وخللت الاحوال على هذا المنوال حتى ظهر تيار شعرى متميز عرف بـ « الامواج الجديدة » الذي اعتبر الشاعر « احمد رضا احمدى » كأبرز شعراء هذا التيار حيث كان يستخدم اللغة البسيطة في اشعاره؛ ثم تبع ذلك ظهور ماعرف بـ « الشعر الانزاعي » الصعب نوعا ما وعرف من شعرائه الشاعر « هوشنك جالنکي ».

واستمر ذلك حتى مطلع السبعينات من هذا القرن الذي اشتهر خلاله بما عرف بـ « الشعر الحجمي » وأبرز شعرائه « يد الله رویائی »، وتواصلت المسيرة الشعرية على هذا الشكل مما وجزرا حتى اواخر السبعينات مع صعود امواج الثورة الاسلامية التي هزت كيان الشعر الحر كاملا وزلزلت اركان سفينة الشعر الحديث وحركت مشاعر قباضنة هذه السفينة وسط الامواج المتلاطمة لبحر الثورة الاسلامية .

ان تسارع احداث الثورة الاسلامية وانتصارها ومن ثم اندلاع « الحرب مع النظام العراقي » وما تضمن ذلك من تفاصيل وامور يعرفها الجميع تركت اثرا كبيرا وواسعا وعميقا على الشعراء والادباء الذين حطموا ما تبقى من قيود القوافي والاذان على حساب المضامين الثورية والبطولية والحماسية التي الهبّت مشاعر الشعراء ودفعتهم الى نظم العشرات بل المئات من القصائد والمقطوعات التي انشدها المنشدون وكانت تبث تباعا عبر الاذاعة والتلفزيون ، ويزد خلال هذه الفترة شعراء كبار نظعوا في الثورة وال الحرب وبطولات المقاتلين اروع القصائد من امثال حميد سبزواری وحسن حسینی وشهریار ونصر الله مردانی ومشقق کاشانی وعلی معلم وقیصر امین بود وعلی موسوی کرمروdi وسبیده کاشانی وظاهره صفار زاده وسلمان هراتی وغيرهم . ويبدو ان مثل هذه الاحداث جعلت الشعراء ورواد الشعر الحر في ایران يتاملون قليلا في اعمالهم بعد

■ لمحات تاريخية عن الشعر ■

عدة سنوات من الانتاج والابداع ويراجعون مانظمه خلال هذه السنوات وجعلتهم يكتشفون جزراً ومرافئ جديدة لم يالفوها من قبل ليروا عندها سفنهم ويتوذدوا بالدعم الثقافي والفنى اللازم لمواصلة مسيرة تهم الشعرية المتطورة والمتقدمة ويبعدوا عن التقليد والتكرار الممل واستعارة التراكيب الادبية من الاخرين وينتجوا قصائد شعرية رائعة الجمال وعميقة المحتوى تدخل القوة والطمأنينة في قلوب المستمعين.

وآخرها نصيف انه تصدر سنوياً في ايران العشرات من الكتب المتضمنة مجموعات شعرية لشعراء معاصرین فضلاً عن دراسات مختلفة حول الشعر الحر وتلقى استقبالاً حاراً من قبل عشاق الادب الفارسي الملزم ولا سيما الشعر الحر .

* * *

نماذج من الشعر الحر :

نورد أدناه نماذج مختلفة لعدد من الشعراء الذين ابدعوا في نظم قصائد في الشعر الحر خلال فترات زمنية مختلفة:

١ - قصيدة رائعة لرائد الشعر الحر في ايران «نيما يوشیج» بعنوان (في ليلة شتائية باردة) نظمها في عام ١٩٤٩ م وكانت ايران تمر بظروف سياسية خانقة ، حيث تتضمن أشارات سياسية مبطنة:

« في ليلة شتائية باردة » .

حتى قرص الشمس لا يدفىء مثل مصباحي

ولا مصباح آخر يتلألأ مثل مصباحي

حتى ان ضوء القمر المنعكس من على سطح اللجي ليس كضوء مصباحي وقد وضعت مصباحي على قارعة طريق جاري في ليلة ظلماء ، وكانت ليلة شتائية باردة .

□ نعنة تاريخية عن الشعر □

والاعاصير تهب بشدة وتلف معها شجرة الصنوبر
ووسط الاكواخ الصامدة
وفي ذلك الزقاق الضيق ، ضائع وانفصل عني
ولا زلت اتذكر القصة
وهذا الكلام الذي لايزال يتقطر من شفتي
من يشعله ثانية ؟ وما يضيئه ثانية ؟
ومن يضع هذه القصة في القلب ؟
في ليلة شتائية باردة
حتى قرص الشمس لا يدفأء مثل مصباحي) -

* * *

٤ - مقتطفات من قصيدة للشاعر سهراب سهري بعنوان (الى
بستان رفاق رحطي) نظمها في السبعينات :

(نادني ..
صوتوك عذب
صوتوك خضرة ذلك النبات العجيب
الذي ينبع في منتهى أعمق الحزن
لا يوجد اي أحد
تعال لنسرق الحياة
ونقسمها بين لقائين .
في أبعاد هذا الزمن الصامت
انا اكثر وحدانية من نكمة انشودة تنشد في زقاق
تعال لاحديثك عن وحدتي كم هي كبيرة) .

* * *

□ لحة تاريخية من الشعر □

٣ - مقتطفات من قصيدة للشاعرة طاهرة صفار زاده بعنوان
«فتح لم يكتمل» نظمتها في السبعينات،
« يصل الصوت النقي للاذان .

رن الصوت النقي للاذان
أشبه بآيديي رجل مؤمن
يبعد عن جنوري السالمة الشعور بالابتعاد والضياع
والنفي ..
وأنا اتحرك نحو صلاة عظيمة

وضوئي من أجواء الشارع وأقواس الدخان الحالكة المتتصاعدة ،
كما ان اقطاب الحوادث في امتداد الزمن تستجيب لي وان أصابع
اظافري لا تحول دون تكبيري .

وأنا أقرأ دعاء المعجزة ، دعاء التغيير .
لتراب أسير ترتبط فصوله بجنور صعبة كقلعة الدين » .

* * *

٤ - قطعة شعرية للشاعر محمد رضا شفيعي كدكتني بعنوان
(رافقتك السلام) نظمها في السبعينات :

(الى أين تهرع بهذا الشكل ؟

سائل ريح الصحراء التسييم :

ضاق صدري من هذا المكان ،

هلا فكرت بالسفر ،

لتخليص من غبار هذه الصحراء ؟

- أجل احب ذلك

ولكن قلبي مقيدتان هنا ..

□ لحة تاريخية عن الشعر □

— « الى أين تهرب بهذا الشكل ؟ »
— « الى اي مكان آخر عدا هذا المكان »
— « رافقتك السلامة ! ولكن بالله عليك لاتنس الحب .
وان اجترت سالما » صحراء ازرع هذه .
أبلغ سلامي الى البراعم والمطر ». *

٥ — مقتطفات من قصيدة للشاعرة فروغ فرزاد بعنوان « قلبى يتالم للجنينة » نظمتها في السبعينات :

« قلبى يتالم للجنينة
لايذكر أحد بالاسماء
لاي يريد أحد

ان يصدق ان الجنينة توشك ان تموت
وان قلب الجنينة تضخم تحت الشمس
وان ذهنيتها في طريقها التذريجي الى الفراغ من الذكريات الخضراء
وكان مشاعر الجنينة امست شيئاً مجرداً يتغفن في احا. اركان
الجنينة ». *

٦ — مقتطفات من قصيدة للشاعر علي موسوي كرمارودي بعنوان « الصلاة » نظمها في الثمانينات .

« حينما تقف للصلوة
تبعد اطول مما انت عليه .
حينما تقف للصلوة
تسلم كل كيانك الى الله

وانظر اليك كأنك كل الصلاة
عجبًا مني ، كيف أعبد الاوثان!
وضعتك مع الله بكل كيانك
صلاتك جعلتك قرب الله
وانت اثرت علي .
تبعدوا أجمل في الصلاة
وانفاسك من صنف الاغاني
التي يردددها الرعاة بين معابر الجبال
ان عباءة صلاتك البيضاء الزاهية
تبعدوا كربيل البراعم المفتحة
المتدلية في أعلى أغصان شجرة الرمان القائمة
الله اكبر ! » .

* * *

٧ - قطعة شعرية للشاعر شمس لنكرودي بعنوان «لست بعد...»
نظمها في مطلع التسعينيات :
« لست انت بعد الان ..
تبعدوا كرمانة مكسورة تظل ذكرياتها الدامية فقط على اليد وانقم .
لست انت بعد الان ..
سوى على شكل شعر في الغم
وملمس رؤوس أصابعك في يدي .
عجبًا ، الياقوتة اللامعة الباهرة ،
تبعدوا كرمانة مغلقة فمها
لاتبقى معلقة على غصن التاجر أكثر من وقتها .

* * *

٨ - مقتطفات من قصيدة للشاعر المعاصر حميد سبز واري بعنوان « مع الفارس العلبي » نظمها في أوائل الثمانينات ، وتتضمن دعوةً إلى المسلمين كافة لتحرير فلسطين والجولان وباقى الأراضي المحتلة من نير الصهابنة :

انهضوا أحبائي ، واعزفوا لحن الانطلاق
وأجعلوا من أرواحكم متاريس في مواجهة القذائف
انهضوا أحبائي ، حتى نطلق نحو الجولان
ومن الجولان نطلق نحو لبنان
ومن هناك مرتع أحفاد « يهودا »
ومن ثم الى مذبح ضحايا تل الزعتر وصور وصيدا
وهناك يرقد مئات الشهداء الابطال
حيث تخزن أزقتها الاحزان والألام
أجل أحبائي ، ان احزان لبنان قتلتنا
وقصمت ظهورنا مصائب دير ياسين
انهضوا أحبائي ، فلابد من مهاجمة الجبل
فالامر قد صدر بأن نواصل هجومنا حتى وادي الامل
انهضوا أحبائي ، وانفضوا عن ابدانكم غبار التقاус
واسعوا لتشبيت اقدامكم في القدس وسیناء
لابد ان ننتقم من اتباع « السامي »
ونقتل « مرحباً » ونفتح (خير) . أخرى
يجب أن نسير على أهدابنا نحو « طور سينين »
ونزحف من هناك على صدورنا نحو فلسطين
ولابد ان ندخل المسجد الاقصى منتصرين
ونضحي بالانفس والارواح في سبيل الانصار
انهضوا أحبائي ، واسمعوا انداءات بلادوية

وانظروا الى (إمامنا) وهو يحمل الراية
واصدحوا بالتكبير والتلبية عاليا
فالهدف هو الوصول الى القدس مع الفارس الطاغي [

* * *

٩ - قصيدة للشاعر المعاصر نصر الله مرداوي بعنوان (سيفنا يقطع جبلا من الحديد) نظمها في أوائل الثمانينات :
[ان جلور ثورتنا العظيمة عميقة في تاريخ الدم
وسيصل زعيمنا من بوابة غدننا المشرق
لقد رفعنا راية التوحيد على صرح الدم
حتى يتلا لا أكثر اسلامنا العالمي
ان مشعل الاسلام مضيء حتى يوم القيمة
وان ثورتنا اخذت نورها من هذا المشعل
لقد انهزمت جحافل الشيطان من امامنا
وهاهو قائدنا الشيخ يرفع سيف (بسم الله)
لقد تحطم سود العدو الحديدي بفعل هجومنا
سيفنا يقطع جبلا من الحديد
لقد ارينا اعداءنا الموت في دوامة الدم
وهم المخادعون الذين واجهونا في عرين ليوثنا
ان نداءات تكبيرنا التي علت على صروح الحقيقة
هزت بعنف اركان ذوي البصائر العمياء
ان سهامنا تخترق سماء الفتح
كالشهب التي تخترق ظلمة المجرات في الليل
من يعرف اسرار رواية قدرنا
يحقن الدم الناري في عروق فكرنا]

* * *

١٠ - مقتطفات من قصيدة الشاعرة المعاشرة سبيدة كاشاني بعنوان
 (مع قافلة برامع الازهار) نظمتها في شباط ١٩٨٠ في الذكرى الاولى
 لانتصار الثورة الاسلامية في ايران :

[عام مضى والقافلة تنتقل من محطة لآخر]

مصطحبة معها مئات القلوب المتلهفة

زعيم القافلة لا يبوح بأسراره وهو يرتدي رداء احمر
 ويقود القافلة من محطة لآخر على خط العشق الاحمر

اصبح الفرباء هو ام فتح الفتوح !؟

ويتقدم نحو الفتح الكامل عبر ارض العشاق

تمعن في عظمة الجمال وخشبة القبع

فالاول يسير في طريق الحق والثاني في طريق الباطل

ان كل لحظاتنا وايامنا عيد لروحنا المتلائمة

وتمضي الأيام من خلال حقول صبرنا النيرة

والقافلة تواصل سيرها وسط النم من صحراء لآخر

وتتحمل ظلمة الليل لتعانق اشراقة الشمس العادلة

انظر الى ساعي الربيع وهو يحمل راية الفتح والنصر

والقافلة ستحط في ساحل الامان مجتازة الاعصار بقيادة (روح الله)

لقد أطل فصل الربيع كما يقطر المطر من السحب

اينما سمعت نداءات الصباح فاعلم انها من زعيم القافلة]

* * *

الشاعرة فروغ فرخ زاد

ت : د. محمداللوزي
الرباط - المغرب

هدية

للشاعرة : فروغ فرخ زاد

أقول لكم ،

أقول لكم عن نهاية الليل .

أقول لكم عن نهاية الفلام .

أيها الرفيق !

أن كنت قصدت بيتي ، فاحمل لي مصباحا ،

ونافذة ،

كي أرى صخب الشارع السعيد .

ترجمة : محمداللوزي

الرباط - المغرب

* العنوان الاصلي للقصيدة باللغة الفارسية : هدية .

□ فروع فرج زاد □

فروع فرج زاد

شاعرة من ايران ، مواليد ١٩٣٤ .
صدرت لها عدة دواوين شعرية :
الاسير ، الحائط ، العصيان ،
ولادة أخرى . لها أيضا
نشاطات في السينما ، كما أصدرت
انطولوجيا الشعر الفارسي المعاصر .
ترجمت دواوينها الشعرية الى
عدة لغات أجنبية . توفيت
١٩٦٧ في حادثة سير مؤلمة .

اناشيد أرضية

حينذاك

بردت الشمس
وغضت البركة من الارض .
وجفت الخضرة في السهوب
وجفت الاسماك في البحار
ومنذئذ !
لم يعد التراب يقبل الموتى تحت التراب .

* * *

الليل في كل النوافذ الساحبة
مثل خيال باهت يواصل زحفة
وتواصل الطرق دورتها
مستكينة للظلمة

* * *

□ فروع فرع زاد □

لَا أحد يفكر في الحب
لَا أحد يفكر في النصر
لم يعد هناك أحد قط
يُفكِّر في شيءٍ قط !

* * *

في كهوف العزلة
أطل العبث على الدنيا
الدم ، يعقب برائحة الحشيش والافيون .
والنساء الحوامل
أنجبن أطفالاً بلا رؤوس
والمهود تلوذ ، خجلًا ، باللحوذ
فأي زمن هذا ، موحش وكثيب .
فالخبز ، انتصر
على قوى النبوة العجيبة
والأنبياء الجوعى المفترون
رحلوا عن أرض الله
ولم تعد الحملان الضالة
في السهوب الجرداء
تسمع نداء الراعي .

* * *

في عيون المرايا ، كان
الحركات والألوان والصور
قد انعكست مقلوبة .
وفوق رؤوس المهرجين السفلة
ووجوه المؤمسات الواقحة
هالة نورانية مقدسة
تشتعل كمظلة .

* * *

□ فروغ فرج زاد □

مباءات الخدر والكحول
بابخرتها الحرفة المسمومة
اجتذبت الى مهارتها
المثقفين القعدة
وفي خزانات الكتب القديمة
تمضغ الفئران المختلسة
الاوراق الذهبية .

* * *

ماتت الشمس
ماتت الشمس .
لن يبقى لها في ذاكرة الاطفال
 سوى مفهوم اخرس ضائع
 وفي كراساتهم المدرسية
 سوف يصوروون غرابة هذا اللفظ القديم
 نقطة غليظة سوداء .

* * *

هؤلاء الناس ،
الناس الساقطون
موتى القلب مدھشون ومنبرون
تحت انقال أجسادهم التعسفة ...
يلجاؤن من غربة الى غربة
والليل المؤلم الى الجريمة
سوف يتورم في أيديهم

* * *

شرارة ، شرارة صغيرة
تبيد يوما ما هذا المجتمع الهاامد من داخله
فيهجم الكل على الكل

□ فروع فرع زاد □

ويمزق الرجال حلق بعضهم بالمنى
وفي فراش من الدم
سيضاجعون القاصرات .

* * *

أولئك غرقى في خوفهم
وحس الذنب المرعاب
شنل أرواحهم
تلك الأرواح العمياء والحمقاء .

* * *

وفي مراسيم الاعدام ، دوما ،
حين يقتلع الجлад بعنف
عيني المدان من محجريهما
سوف ينزو وي هؤلاء في دواخلهم
وسيرتعش هاجس الشهوة
وخزا في عروقهم الشائخة المتعبة

* * *

لكن ...
حول الميادين ، دوما ،
سوف ترى هؤلاء المجرمين الصغار
قد وقفوا ،
دهشين ، وهم يحدقون
بماء النواير الدائم الهيجان .
ولربما بقي شيء ما ،
حتى الآن ،
كاما خلف العيون الممزقة في جمود عميق .

□ فروع فرع زاد □

ربما ،
بقية احساسه
يريد في سعيه الواهن ،
أن يومن بطهارة المياه .

* * *

ربما ،
ولكن ياله من خلاء بلا نهاية
فقد ماتت الشمس .
ولم يكن أحد يعلم
أن اسم تلك الحمامدة الحزينة ،
التي فرت من القلوب ،
هي الإيمان .

* * *

آه يا صوت السجن
الآن تقوم شكوى يأسك
بفتح فجوة في جدار هذا الليل الكريه ،
فجوة نحو النور !؟
آه ، يا صوت السجن
يا آخر صوت في الأصوات !

ترجمة : محمد اللوزي

الرياض - المقرب

* العنوان الاصلي باللغة الفارسية : « آيه های زمینی » ، ديوان
ولادة اخرى ، طهران ۱۹۶۴ .

□ فروع فرج زاد □

حسرة ٠٠٠ على الحديقة
للساعرة : فروع فرج زاد

لا أحد يفكر في الزهور
لا أحد يفكر في الأسماك
لا أحد يربىء
أن يصدق أن حديقة البيت تلقط أنفاسها الأخيرة
أن قلب الحديقة ينرف في صمت
ذكريات خضراء
وأن احساس الحديقة
شيء تعفن في عزلة .

* * *

ساحة بيتنا وحيدة
ساحة بيتنا
تنشأب في انتظار سحابة مطر
وحوض بيتنا فارغ
نجوم صغيرة بربة
تهوي على الشري من ذواب الشجر
ومن نوافذ بيوت الأسماك الباهنة
يسري صوت سعال
ساحة بيتنا وحيدة .

* * *

يقول والدي :
تجاوزني الزمان
تجاوزني الزمان
وضعت أثقالي

وأديت فروضي
وفي غرفته من الصباح الى المساء
يقرأ الشاهنامة
او « ناسخ التواريخ »
يقول والدي :
« اللعنة على كل الزهور والأسماك
ماذا يهمني اذا قضيت
ان تكون الحديقة
او لا تكون
يكفيوني معاش التقاعد » .

* * *

أمي طوال حياتها
سجادة مبسوطة
على عتبة رعب جهنم
أمي تفوص في باطن الاشياء
تقتنى آثار أقدام الخطيئة
تظن أن الحديقة دنسها
إثم جنته شجرة
أمي آئمة بالفطرة
تعود كل الأسماك
وتعود نفسها
أمي في انتظار المنقذ
أمي في انتظار المفردة .

* * *

■ فنرود فخر زاده ■

أخي يدعوا الحديقة مقبرة
أخي يسخر من شفب الفشب
ويعد جثث
السمك المتعفن
تحت جلد الماء المريض
أخي أدمى الفلسفة
أخي يرى شفاء الحديقة
يكنن في انهدامها
يسكر
يضرب بقبضته الباب والجدار
يحاول أن يقول :
مرهق ومتعب ويائس
يحمل يأسه إلى الحان
مثلما يحمل بطاقة الهوية والمنديل والقلم والمفكرة
ويأسه
ضئيل حيث يضيع
كل ليلة في زحمة الحان .

* * *

واختي التي كانت صديقة الزهور
كانت تنشر خواطر قلبها الساذجة
في حوض الزهور العنون الصامت
حين كانت أمي تضربيها
بين الفينة والأخرى تحتفي

□ فروع فرع زاد □

بأسرة السمك وتهديها
الشمس .. والحلوى ..
هي في الطرف الآخر من المدينة
في بيتها المصطنع
في احضان حب زوجها الزائف
وتحت أغصان أشجار التفاح الزائفة
تضيع أطفالاً طبيعيين

إنهـا

كلما جاءت تزورنا
تلطخ أردان ثيابها بفتر الحديقة
تأخذ حماماً من العطر

إنهـا

كلما جاءت تزورنا
 تكون حبلـى .

* * *

ساحة بيتنا وحيدة
ساحة بيتنا وحيدة
طوال النهار
من خلل الباب والستار
يتسرّب صوت الإنكسار
والانفجـار

جيـرانـا يـزرـعونـ حـدائـقـهمـ قـدائـقـهمـ وـرـشاـشـاتـ
جيـرانـا يـموـهـونـ أحـواـضـهـمـ الـبـلـطـةـ
وـالـأـحـواـضـ الـبـلـطـةـ

سروغ فسرخ ناد

تصير رغمـاً عندها
مخازن مـريـة للبارود
وأطفـال حـارـتنا مـلـأـوا حقـائبـهم المـدرـسـية
بالـقـنـابـل الصـفـيـرة
سـاحـة بيـتـنا حـائـرة .

أني أخاف من تصور عبشهية هذى الايدي ،
ومن كل هذه الوجوه المفتربة
وهذى أنا وحيدة
كتلمسنة

يحب درسه الهندسي بجنون
اظن انه يمكن نقل الحديقة الى المستشفى
إني افکر ...
إني افکر ...
وقلب الحديقة ينزف في صمت
ذكريات حضراء .

ترجمة : محمد اللازبي
الرباط - المغرب

* العنوان الاصلي للقصيدة باللغة الفارسية :

« دلم برای باغجه میسوزد »، نشرت بمجلة « آرش »، المتقد
السابع، طهران یونیه ۱۹۶۴ ۰

فروغ فخر زاد

من الشعر الفارسي المعاصر :

لنومن ببداية فصل البرد .

لشاعرة : فروغ فخر زاد

« لنومن ببداية فصل البرد » انه صوت الشاعرة « فروغ فخر زاد »،
اسم متميز في ديوان الشعر الفارسي المعاصر التي عاشت من الحياة
« لحظتها الموجزة » تاركة للعالم كله أن يواصل السير في الشارع الطويل .
ولدت في مدينة طهران ١٩٣٤ من أسرة متوسطة ، كرست شعرها
لمعاناتها الروحية القائمة على العشق العميق الذي يتسع كله أنواع الكلام ،
ولكل أنواع الآلام .

عبرت الشاعرة في بداية تجربتها الشعرية عن معان رومانسية
وتجريدية في أسلوب « خيامي » حاولت أن تضفي عليه لمسة المعاصرة ،
لكنها سرعان مابدأت في هدم المجتمع حولها بالحديث عن معان لم يألفها قط
عن امرأة تخاطب حبيبها :

مضيت وظل قلبي
عشقا ملوثا باليأس والالم
ونظرة ضائعة في حجب الدمع
وحسرة متجمدة في ضحكة باردة .

بل نجدها في آخر ديوان لها (ولادة أخرى ، طهران ١٩٦٣) تولد
من جديده ، ليس ميلاد المضمون كما يرى بعض النقاد ، ولكنه ميلاد الشكل
حيث انصرفت كلها للتعامل مع التراث في استلهام ثقتها وأفكارها لتلتقي
بنفسها في الان ذاته في خضم المجتمع مستوحية صورها من الاشياء
الصغرى التي تحيط بها .

□ فروع فرخ زاد □

وكم يموت كل جميل وصادق في هذا العالم قبل أوانه ، كذلك ماتت « فروع فرخ زاد » في حادثة سير مأساوية على الساعة الرابعة من عصر يوم خريفي عام ١٩٦٧ م كما تبأّت بذلك لامحالة في آخر قصيدة لها : « لؤمن ببداية فصل البرد » :

رحل الوقت

رحل الوقت ودقت الساعة أربع دقات

ومن هذه القصيدة — الملحمية المركبة اخترنا المقاطع الآتية :

هذه أنا ،

امرأة وحيدة

على عتبة فصل البرد

عند بداية ادرك وجود الأرض الملوث

ويأس السماء البسيط الخزين

وعجز هذه اليدى الاسمنتية .

* * *

رحل الوقت

رحل الوقت ودقت السابعة أربع دقات

أربع دقات

والاليوم بداية الشتاء

أعرف سر الفصول

أفهم لغة الدقائق

والمنفذ يرقد في القبر

والارض ، الارض المضياف ،

علامة للسلام .

* * *

□ فروع فرع قاد □

رحل الوقت ودقت الساعة أربع دقائق
(.....)

* * *

تهب الريح في الشارع
تعبره
وأنا أنأمل اقتران الزهور
بالبراعم ذات السيقان الاتيمية
متعب هذا الزمان ومسلول .

* * *

قرب أشجار مبللة يمر رجل ،
رجل تبرز عروقه الزرقاء
من عنقه كافاع ميتة
وبصدغيه الهائجين يردد هذه
اللفظة المدمة :

سلاما

سلاما

وأنا أنأمل اقتران انزهور .

* * *

على عتبة فصل البرد
في محفل المرايا الجنائي
ونواح التجارب الدابلة
وهذه حمرة الفسق الحبلی بمعرفة الصمت
كيف يمكن ان يقال لهذا الرجل
السائل على هذا النسق ،
صبورا ،
ثقيلا ،
شاردا ،

□ فروغ فرخ زاد □

إنه لم يعد حيا ،
أنه لم يكن قط حيا .

* * *

تهب الريح في الشارع
والفرسان المتوجدة
تحوم في حدائق الضجر العجوز
فأي ارتفاع حquier
للسلم !!

* * *

والآن ،
كيف سينهض ، بعد ، شخص للرقص
ويلقي بصفائره الطفولية
في مياه السيل
ويulos بقدميه
تفاحة قضها وشمها !؟

* * *

أيها الرفيق ، يا أوحد الرفاق
آية سحب سوداء في انتظار يوم ضيافة الشمس !؟

* * *

أشعر بالبرد
أشعر بالبرد كما لو أنني لم أعرف
الدفء في حياتي
أيها الرفيق ، يا أوحد الرفاق « ألم يكن ذاك الشراب معتقا !؟ »
تأمل ،

كيف أن الوقت ثقيل هنا
وكيف تنهش الأسماك لحمي !؟
لم تودعني دوماً قاع البحر !؟

* * *

□ فروع فرع ذات □

أشعر بالبرد وأضيق من در المغار
أشعر بالبرد وأعلم
ان من كل الاوهام الحمراء التي تحطم بها شقائق النعمان وحشية
لا يبقى سوى قطرات دم .

* * *

سأحرر الخطوط
وأحرر لواح الأعداد
ومن بين الاشكال الهندسية المحددة ،
سألجا الى فضاءات الحس الواسعة
عارية أنا ،
عارية كالصمت في رسائل الحب ،
ومن الحب آتية كل جراحى ،
حفظت هذه الجزيرة التائهة من الهاك
عبر عواصف المحيط
وانفجار الجبل
والتشظي سر ذلك الوجود
الفريد
ومن أحقر الشظايا تولد
الشمس .

* * *

سلاماً ايها الليل البريء !!
سلاماً ايها الليل ، يامن تبدل عيون ذئاب الصحراء
بمحاجر الایمان والثقة .
وعلى ضفاف جداولك تستنشق أرواح الصفصاف
أرواح البلط الحنون
وأنا قادمة من عالم تستوي فيه
الافكار

□ فروع فسرخ ذاد □

والكلمات
والاصوات

عالم يشبه جحر الافاعي
يضج بوقع اقدام الماشين
تنسج في خيالها حبل مشنقتك
وانت محوط بها من كل الجهات .

* * *

سلاماً ايها الليل البريء !!

* * *

بين النافذة والروية ،
توجد دوماً فاصلة .

* * *

هل شامشط شعربي ثانية
في الريح !؟

هل سائز العبنفسج ثانية في الحدائق !؟
وهل ساترك الشمعدانات
في السماء خلف النافذة !؟

هل سارقص ثانية في غرفة الانتظار !؟

هل سيقرع جرس بابي ثانية للانتظار !؟

* * *

رحل الوقت

رحل الوقت وسقط الليل فوق أغصان الطلع العارية .
والليل يقتحم ماوراء زجاج النافذة ،
ويلسانه البارد
كان يتلعر نفایات اليوم الذاہب ..

* * *

□ فروع فرع زاد □

كم كنت حنونا ايها الرفيق ، يا أوحد الرفاق
كم كنت حنونا حين تكذب
كم كنت حنونا حين كنت تغلق أجفان المرايا
وتقطف التريات
من السيقان الفضية
وتحملني في السواد الظالم الى مرعى العشق
حتى يحط ذلك البخار المفروم في اثر حريق الظما
على بستان النوم .

* * *

قلت لأمي : «انتهى آخرنا »
قلت : «دائما قبل ان تفكري ، يقع حادث
فلترسل عزاء الى الجريدة »

* * *

لنومن
لنومن ببداية فصل البرد
لنومن بخرائب بساتين النخيل ،
المناجل المهجورة ،
والبدور السجينة ،
أنظر أي ثلج يسقط ...
لنومن ببداية فصل البرد ...

ترجمة : محمد اللوزي

الرباط - المغرب

العنوان الاصلی باللغة الفارسیة :

«ایمان بیاوریم به آغاز فهل سرد» نشرت في مجلة «آرش»
العدد التاسع ، طهران ، أكتوبر ۱۹۶۵ .

الشاعرة بروين اعتصامي

قتلوا المرأة الحُرّ في العَصْر الْحَدِيثِ

١٩٤١ - ١٩٠٦

الدكتور محمد التونسي
أستاذ الفارسية في جامعتي طلب - دمشق

شهدت أيران منذ مطلع هذا القرن حركة نسائية هلموسة ، تزعمها عدد من سيدات المجتمع . فقد اثبتت المرأة دورها الفعال في قيادة دفة الحياة، ودفعها قدما الى الامام، وذلك في الميادين الاجتماعية، والسياسية، والنسالية ، وغير ذلك من مناحي الحياة .

ولعل ميدان الادب كان أبرز هذه الميادين التي وقفت فيها المرأة الى جنب الرجل وقفه مشرفة ، اثبتت فيها كفاءتها وجدارتها . ولقد نهض عدد من النساء ممسكات بأقلام الحرية والحياة الحقة ، وتناولن بجرأة كبيرة قضياتهن، وعبرن عن آرائهن وتعد الشاعرة «بروين اعتصامي» خير نساء العصر الحديث في الادب ، وسيدة الشعر في زمانها ، والمدافعة الكبرى عن الحق والحقيقة ، فكانت اشبه بهدى الشعراوي في مصر ، وأبي القاسم الشابي بتونس .

* * *

اسرتها ونشاتها :

ولدت بروين عام ١٩٠٦ في العاصمة طهران . وسرعان ما فقدت أمها وهي بعد طفلة ، فتأثرت نفسيتها كثيرا ، واعتراها الحزن ، وتطبع شعرها فيما بعد بهذا الحدث الاليم . غير أن والدها لم يقصر في تربيتها ورعايتها وتعليمها ، في وقت لم تكن المرأة قد تحررت بعد ، ولم تعتد الذهاب إلى المدارس .

كان والدها يوسف « اعتصام الملك الاشتياطي » (توفي عام ١٩٣٧) من افضل زمانه في الادب ، والترجمة ، كما كان يقرض الشعر ولا سيما في أيام شبابه . أصدر مجلة « بهار : الربيع » ، ولكن لم يطل عمرها . وترأس مكتبة مجلس الشورى الوطني سنين عديدة . فليس غريباً مثل هذا الاب ان يثقف ابنته ، ويسهر على تعليمها . غير انه توفي شاباً، كما توفيت ابنته بروين شابة .

وأدخلها المدرسة الامريكية الخاصة ، حيث تخرجت منها بجدارة في اللغتين الفارسية والانكليزية . وقد حرص أبوها كثيراً على ان تنهل بروين علومها شريطة الا تتأثر بطبع الغرب . ونجحت مساعديه الى ابعد الحدود . فحين لمع نجمها الأدبي ، وبرز اسمها في الاوساط الثقافية وعلى صفحات المجالات حاول الشاه رضا ان يجذبها الى قصره ، وبتحول قلمها الى حاجات القصر وتوجيهاته . لكن بروين أبانت ان تكونتابعة للظلم الذي يؤلم شعبها ، واعتذررت بأن لشاعريتها مساراً لا يمكن تغييره .

لكن الزمان ضنٌ على هذه الحنجرة بالصدح ، فمنذ جبل الموت إليها واغتصبها فتية شابة في عمر الربيع ، ولما تبلغ الخامسة والثلاثين ، فنضب رحيق حياة شعرها ، كما ذوى شعر أبي القاسم الشابي في عنفوان شبابه وتوفيت عام ١٩٤١ ، ودفنت في مقابر أهلها ببلدة قم الى جنب قبر والدها فتألم الشعب الايراني كثيراً ، وأحس بضياع انصع صوت انشوي، وأجرا حنجرة نادت بالحق والحقيقة .

* * *

□ قسم المرأة الحسر □

شعرها وشاعريتها :

بدت المعية بروين في نظم الشعر منذ طفولتها . وكانت تنشر ماتنظم في مجلات العاصمة وصحفها منذ يفاعتها ، يساعدها في ذلك أبوها في مجلة « بهار » ، وفي غير مجلته . وكان القراء يقبلون على مطالعه شعرها معجبين ببراعتها ، وجاذبيتها . ولا سيما أنها كانت تلمس مشاعرهم في الموضوعات التي تختارها .

وكان القراء يظنون أن « بروين » (وهو اسم كوكب الشريعة) اسم لرجل شاعر ، وليس اسم امرأة . بل كانوا يستبعدون أن يكون هذا الشعر لامرأة !

وحين ترامى إلى مسامعها ظن القراء نظمت قصيدة ، تعرف القراء بأنوثتها ، وبأن الاوان قد آن كي تظهر المرأة على الساحة الحياتية، ومنها:

« لابد للقواعد من أن يزكي عنده الفكر الباطل »

« كي يعلم أن المرأة لا يعلوها الغبار »

« يظن الناس أن بروين واحدة من أهل الفضل »

« ليس لفزا ان يعلموا بأن بروين ليست رجلا »

وقد امتاز شعرها باحساس متميز، وجاذبية فياضة ، وروح صادقة وكانت دائما تخاطب آلام الناس ، وما يعتلي صدورهم ، ونادرًا ما تتكلم عن نفسها في شعرها .

وكانت تنظم القطع ، والقصائد ، والمثنويات على العروض العربي . لكنها كانت تحاول نظم قصائد مختلفة القوافي ، أو تنظم قطعاً مدوراً ، فتبليو وكأنها قطع نثرية موزونة .

وتميز أسلوبها بالوضوح مع رصانة شعراء القرنين الخامس والسادس (بالنسبة إلى الفرس) ولا سيما أسلوب ناصر خسرو . وما

□ لِسْمُ الْمَرْأَةِ الْعَرَبِ □

كانت تخرج من ادخال بعض الالفاظ العامية او ذات اللهجة الحلبية في شعرها ، محاولة التقرب من افهام عصرها.

واكثرت من التمثل بالمواعظ والحكم والفكر العميق . وعنيت بالمناظرات والحوارات في شعرها لجذب القارئ ، ودفعه الى متابعة قراءته . من ذلك قصيدةها « سكير وعاقل » . ومنها :

« صادف المحتبس سكيراً في الطريق ، فجذبه من قميصه »

« قال السكير : هذا قميص أيها المحتبس ، وليس لجاماً »

« قال : فمالى أراك أيها السكير تسير متارجحاً ؟ »

« قال : ليس العيب من سيري ، بل من الطريق الوعرة »

« قال : فلابد من أخذك الى بيت القاضي »

« قال : إن القاضي نائم ليلاً ، فلنذهب صباحاً »

« قال : فمنزل الوالي قريب من هنا ، تعال تقصده »

« قال : الا تعلم ان بيت الوالي خماره أيضاً ؟ »

« قال : فعلى العقلاء ان يقاصوك »

« قال : فائتنني بعاقل .. وain هو ؟ »

وقد أحب الناس شعرها لطهارة قلبها ، ونبيل مقصدها . ويرجع توفيقها وحب الناس لها الى ذلك الاسلوب القصصي المؤثر ، والوعظي المعبّر عن طريق الحكايات والاخبار ، حتى لقبها بعضهم بلا فونتين عصرها.

ومع أنها توفيت شابة فان لها ديواناً مطبوعاً ضخماً ، ضم حوالى خمسة آلاف بيت . وقدم لها « ملك الشعراء بهار » وهذا جعل بروين في مصاف كبار شعراء العصر الحديث . وقد طبع لأول مرة في حياتها عام ١٩٣٥ . ثم أضاف عليه أخوها أبو الفتح قصائد لم تنشر لها ، وأعاد طباعته بعد وفاتها عام ١٩٤١ .

□ قسم السراة العر □

اغراضها وموضوعاتها :

امتاز الشعر الايراني مع مسيرة حياته وتاريخه بالغزل والهوى .
الا ان بروين لم تنظم في الغزل الا ما كان عرقانا ورمزا . واما يثير العجب
انها لم توجه قلمها في اصلاح المرأة ، ومراعاة حقوقها ، والمطالبة
بمساواتها بالرجل . ذلك انها اعتبرت المرأة جزءا لا يتجزأ من الرجل .
لكنها لم تترك جانبها من حياتها الا وصفته ، فقد تحدثت عن الابرة
والخيط ، كما تحدثت عن الحمص والعدس ، ودعتها الى رفع الحجاب
مع الحشمة .

ووجهت شعرها نحو متطلبات عصرها : فدافعت عن المظلوم ،
ودعوه الى محاربة الظالم . فكان شعرها ضربة لظهور الاثرياء، وشعلة
حارقة لجبروتهم وجورهم .

وكانت صوت الحق للقراء ، وصرخة عاتية في وجه الظلم . ومن
أبرز قصائدها في هذا المجال « صاعقة على ظلم الاغنياء » . وقد أبدعت
في عرضها عرضا قصصيا ، اذ نظمتها حول حياة فلاج أوصى ابنه قبل
أن يموت بأن يتبع مسيرته في كسب لقمة العيش الشريفة مع انداده من
الفلاحين يوما بيوم . وحين أراد الابن أن ينفذ وصية أبيه ادرك ان
الكافح لا يتم بدون ازالة ظلم الاقطاع الذي يعترض طريقه . فصم على
الكافح . ومما قالته :

« قال الفتى : يا أبي ، الرأي في صاعقة نزلها على الاغنياء »

« فدأب هؤلاء النوم والاسترخاء ، وهمنا الآلام والبلاء »

« إن كان لهم الحكم والسعادة والجاه ، فما هو حقنا نحن ؟ »

« نحن نقطات بدم أكبادنا ، وقرمنا بين فكي تنين »

« نحن لانملك غالبا ولا تبنا ولا عيشنا او ان الشقاء »

□ قلم المرأة العز □

« وخواننا خال من الخبر والادام ، ومعدة قرانا تتضور جوعا »

« ان كنا لانجد زيتا ولا مصابيح ، فمتى تنار منازلنا؟ »

وتقربت مشاعر بروين ، وازدادت جراحها عمقا حين رأت العامل يكدر ويتعب ، والفنى يعني ويبرح . فقارنت بين العمل ورأس المال في عدد من قصائدها ، ولا سيما قصيدها « العامل » . ومنها:

« ايها العامل ، الى متى تحفر روحك تحت الشمس؟ »

« وكم أراك طريق من ماء وجهك لأجل الخبز؟ »

« انت تعاني الذل والحرارة والترباب والرياح »

« وليس أجرك سوى نظرة ، وحقد ، وعتاب »

« ايها العامل ، سائل عن حرقك المهدور ، ولا تخف المالك والامير »

« هيا قيد الشيطان والمتكبر ، لتنجلي الحقيقة بلا قناع »

وكان للبيتيم مكانة خاصة في شعرها ، فهي واحدة منهم بعد أن فقدت حنان أمها منذ صغرها . فوقفت إلى جانبه ، ونادت بمطالبة حقه فقالت في أحدي قصائدها :

« رأيت أشياء قد حرمتها ، وقلبي قلب وليس مدبرا »

« أنا لم أمتع ناظري بأمي مطلقا ، إلى عين البيتيم أبدا ذابلة »

« ان حضن الامهات غال ، فلم حرمتني اياه الاقدار؟ »

« سألني طفل : أين مسكنك؟ مسكنني هناك حيث لاسكن »

« أنا لم أرافق الاطفال إلى الحديقة ، لأن الذبول لا يفتح أبدا »

ورأت في المرأة شريكا لا يستغني عنها الرجل ، لأن الحياة صعبة ولا يمكن مجابتها فرادى . ومثل المرأة والرجل كمثل السفينة والربان ، فان كانت السفينة محكمة ، وكان ربانها عاقلا فلا خوف من الموج والاعصار . وما هذه الفتاة اليوم الا م المستقبل ، وبيدها مستقبلهم .. وهذا اقصى مدافعت به عن المرأة .

* * *

□ قسم المرأة العزباء □

وهكذا رأينا ان بروين خاضت موضوعات سياسية ، ومواضيعات اجتماعية . ولم تقتصر في جانب تخدم به شعبها ووطنهما ، اللذين أحبتهما ، ووهبت قلمها لحربيتهما وراحتهما . وببحثت عن الحقيقة والحرية ، ونشدت الحق والحياة السعيدة . فمن البديري ان يطبع شعرها بطابع الجدية .

وكان رمزاً للمرأة الحرة ، المثقفة ، الجريئة . فليس عجيباً أن تترصد النساء قصائدها ، وهن قابعات في منازلهن ، ويشعر بالاطمئنان الى العين الساحرة عليهن .

هذه هي بروين اعتمادي التي كانت حياتها نموذجاً للحياة البسيطة والنضال ، والفكر السامي . هذه هي ذات القلب الطيب ، المحب للخير والاصدقاء . ماتت منذ خمسين سنة ، وما زال شعرها يروى عن ظهر قلب ، قبل ان يقرأ من صفحات ديوانها .

* * *

عن المسرح في إيران

خالد محيي الدين البرادعي

ان مسألة تعارض « التشخيص » مع الاسلام ، تم تجاوزها في إيران ، وان كانت قائمة ماتزال في بعض الدول التي تستمد شرائطها من القرآن . بدون ان نعزل حالة توظيف الفنون من تصوير وتمثيل وأدب صالح الدعوة في هذه الدول .

وحضور المسرح يمثل حالة التجاوز هذه بصورة تلفت النظر ، فلا يكاد يمر مساء بدون عرض مسرحي في كل مدينة من مدن إيران تقريباً.

واذا كان عدد الفرق المسرحية وعدد المعاهد التي تعنى بعلوم المسرح وعدد الدوريات والصحف التي تتبع المسرح . معيار التقدم الحركة المسرحية وتأثيرها . نطمئن الى فاعلية المسرح في بلد تتحرك فيه خمسون ألف فرقة مسرحية ، الى جانب بضع عشرة دورية وصحيفة تتبع الحركة المسرحية ، مع عدد من المعاهد والمعاهد المعنية بعلوم المسرح .

وانشاء العدد الكبير من دور العرض الكبيرة التي تظهر عليها معالم الحضارة المعمارية الإيرانية . والزخرف الذي ترسّم على جزئياته خصائص الإنسان في إيران . يظهر مدى اهتمام الإيرانيين بالمسرح، وكيف تحول الى اهتمام او ضرورة لا يغفلها الإيرانيون عن اهتماماتهم الحضارية الأخرى .

□ عن المسرح في إيران □

ان التفاعل الذي يغنى الحركات الفنية والفكرية ، والذي يتمثل في التلقي - وال الحوار - والمتابعة . هو الذي يغنى الحركة المسرحية في إيران ، ويثيري ثالوثها المتمثل في الكتابة - ونقل الكتابة الى فعل - وتجذب المتلقي كطرف اهم .

نستطيع اعتبار « التعزية » نواة المسرح في ايران بعد الاسلام . والتي تطورت من طقس كالصلوة الحزينة والضراعة الباكية الى موقف درامي أفرز عددا لا يحصى من النصوص المسرحية . والتي كانت تتلى شعرا وترتيلا ، متوافقة مع الحانة التي تجسد النص وتنتقل اللغة من مجال السرد الى روؤية المشهد .

وتاتي مأساة كربلاء كنقطة اهم ، والتي ألمت عددا لا يحصى من المؤلفين المجهولين الذين أعادوا تاريخية المأساة الى مشهد درامي لا يزال حتى الان يقام في كافة مدن ايران وتجمعات السكان فيها . ويتصور هذا المشهد « الكربلائي » مع تطور الاداة الفنية المسرحية التي تنقل الحدث الى موضع فنية متقدمة .

ولا يجوز لنا أن نعزل المسرح عن تعددية فنون الادب الفارسي ، فالذين كتبوا الملحمـة الشعرية . والملـحـمة النـثـرـية . وتطورـهـما عـبرـ الـاجـيـالـ . والـذـينـ كـتـبـواـ القـصـةـ الشـعـرـيـةـ وـهـمـ بـالـعـشـرـاتـ . فـيـ الـفـتـرـةـ الـلاحـقـةـ لـدـخـولـ اـلـاسـلـامـ اـلـىـ اـيـرانـ بـالـطـبـعـ . هـمـ الـذـينـ وـقـفـواـ وـرـاءـ الـدـرـاـمـةـ لـتـشـقـ طـرـيقـهاـ بـثـبـاتـ عـبـرـ الـقـرـونـ الـلـاثـلـةـ الـماـضـيـةـ .

ويكفي ان نذكر ان شاهنامة الفردوسـيـ التي يرى فيها - بعض - مؤرخي الـادـبـ الـايـرانـيـ « قـرـآنـ العـجمـ » .. الـهـمـتـ عـدـدـاـ كـبـيرـاـ منـ الـكـتـابـ المـسـرـحـيـنـ ، لما احتشدـ بهاـ منـ اـقـصـصـ المـثـيـرـةـ التيـ رـآـهـاـ المـسـرـحـيـونـ صالحـةـ لـتـقلـلـهاـ منـ مـجـالـ لـغـةـ السـرـدـ الـقصـصـيـ ، الىـ مـجـالـ الـفـعـلـ . الدرامي .

* * *

□ عن المسرح في إيران □

تحرك المسرح منذ نشأته في إيران ضمن قنوات ثلاثة . ولا يزال إلى هذه الساعة يتذبذب من خلالها : وهي .

- آ - المسرح التراثي .
- ب - المسرح المعاصر .
- ج - المسرح المترجم .

* واطلاة على المسرح الذي يستمد نصوصه من التراث . تربينا عشرات النصوص المسرحية التي استمدت زخمها من القرآن الكريم . كقصة يوسف ، وقصة إبراهيم ، وقصة آدم ، وأحداث قصصية قرآنية أخرى ، تحولت إلى نصوص مسرحية صمدت أمام النقد الأدبي وهي نصوص ، كما صمدت أمام النقد المسرحي بعد تجسيدها على المنصة . وكان حضورها مؤثراً خضع للمناقشة والحوار . إضافة إلى مأساة كربلاء بالطبع التي تتجدد باستمرار بين يدي أي مسرحي كبير . كما نرى النصوص التي تستمد من تاريخ إيران المدون . لتجسد صيون الابطال وصانعي التاريخ الإيراني ، إلى جانب النصوص التي تستمد زخمها من المدونات الأسطورية السابقة للإسلام . والتي حفلت بها الملحم وفي مقدمتها الشاهنامة . وللتراث جانب شفهي كذلك . له حضور في المسرح الإيراني . ويتمثل بإعادة الحكايات المروية وتوظيفها مسرحياً . وهي تشبه تلك الحكايات التي تقللها الشعراء القدماء عن أفواه الناس وحولوها إلى قصص شعرية ، لها أثرها في الأدب الإيراني .

* أما النصوص التي تعالج مشاغل الانسان المعاصر ، فلها حضورها في الكتاب وفوق المنصة . وهي تعتمد نقل شرائح معيشية ، من بساطتها وعفويتها على مسرح الحياة ، لتحويلها إلى أعمال مسرحية . وإن كنا نرى مثل هذه النصوص في سرحدنا العربي ، لتقارب أنماط الحياة ، وتقارب العادات والتقاليد ، وتمازج الثقافتين العربية وال الإيرانية .

□ عن المسرح في إيران □

ونرى هي المسرح عدداً من المعالجات لمشاكل الإنسان المعاصر التي تعكس قلقه وموافقه المعاصرة . وتصوير موقعه في العالم المعاصر . وكلها تصب في تيار الرغبة لتجاوز التخلف .

لكن هذا المسرح الذي يعالج الأحداث المعاصرة لا يخلو من التأثير بمنجزات المسرح العالمي المعاصر . حتى لنستطيع وضع أصابعنا على نصوص - شاهدناها على المنصة - لنسدل على موقع تأثيرها . وأكثر ما ظهر هذه الحالة لدى المسرحيين الشباب .

وفي فرق الهواة، الذين لم يتوصلا بعد إلى كشف أصالتهم وقدرتهم على تقديم الاعمال المتفردة بخصوصية تبعدها عن التأثير بالآخرين .

* أما القناة الثالثة فهي المسرح المترجم . والذي يعتمد نقل النصوص العالمية الكلاسيكية والمعاصرة . وما من متابع لمسيرة المسرح ومشارك فيها في إيران . الا ويعرف كثيراً او قليلاً عن المسرح الغربي . والمسرح الأوروبي الكلاسيكي الذي نهض به شكسبير . كما يعرف الكثير عن مولير وراسين وكورني .

وأعلام المسرح العالمي المعاصر في أوروبا وأمريكا . واحتفظ المسرحيون الإيرانيون بكثير من الامانة العلمية والفنية في نقل روايَّة المسرح العالمي إلى لغتهم . وتقديمها على منصاتها .

وتتسحب هذه الحالات ليس على إيران بجفرايتها المحددة سياسياً ، لكنها تشمل الاقطار الآسيوية المسلمة التي تتكلم اللغة الفارسية . وتعتمد其 كلفة أدبية تدون بها منجزاتها الفكرية والعلمية .

وقد تخلَّ المسرح في إيران عن مسرح العبث الذي عرفته أوروبا بعد الحرب العالمية الأولى . والذي وصلت آثاره إلى معظم مسارح العالم . وكان له أساطينه من كتاب ونقاد . وكان الإيرانيون قد غضوا

□ عن المسرح في إيران □

النظر عن هذا الجانب من المسرح ، لانه غريب عن غائية الفن التي التزموها بها طوعا ، بحكم ايمانهم بالاسلام . و ايمانهم بقدرة الفن ك فعل حضاري يسهم في دفع الانسان الى امام .

* * *

قد يتبدادر الى الذهن ان توظيف الفن في معركة التطور ، يدخله في مجال الدعائية ، ويضغط عليه بالطابع التعليمي ، ويخرجه من مجال الفرح والدهشة واللذة الفنية السامية التي عرفها ادغار الان بو - الى موقع الدعاية . لكن هذا الظن سرعان ما يتلاشى امام التحقق المسرحي . حتى في قصة مقتل الحسين التي يحفظها الايرانيون بالتواتر على امتداد أربعة عشر قرنا من الزمان ، خرجت من مجال الطقس الديني والبكائي لتتحول الى دراما حقيقة - تتجدد - والتي مازالت تنتظر شakespear جديدا - كما يقول أحد المستشرقين - ليصنع منها واحدة من تراجيديات العالم الكبيرة ، اقول حتى هذه الواقعية التاريخية ذات المسار بالوجودان الديني ، خلق منها المسرحيون في ايران حالة مسرحية مستقلة لها فرادتها وخصوصيتها التي تحتفظ بها مع كل مسرحي جديد .

* * *

حجاب المرأة والمسرح

من الاسئلة التي تطرح امام المسرح في ايران . ولا يستطيع الاجابة عنها الا من عايش الحركة المسرحية ووقف على بعض منجزاتها : كيف تقف المرأة على المسرح وهي ملزمة بالحجاب ؟ خاصة وان المرأة تمثل ادوار للمرأة الاوربية في النصوص المترجمة . وكيف تجاوز المسرح الايراني هذه الحالة بدون ان يسيء الى المسرح والى الحجاب المفروض في وقت معا ؟

□ عن المسرح في إيران □

صحيح أن الملتقي لا يشاهد امرأة مكشوفة الشعر على المقصة ،
كما لا يشاهد منظراً لإياباً يخالف التوجّه الديني .

لـكن فـكرة الحـجاب بـذاتها تحـولت إلـى فـن قـائم بـذاته . وـصنـعـ المـسرـحـيونـ مـنـ غـطـاءـ الشـعـرـ حـلـيةـ فـنـيةـ . وـفيـ أـحـدـىـ المـسـرـحـيـاتـ المـتـرـجـمـةـ رـأـيـنـاـ مـمـثـلـةـ تـعـتـمـرـ قـبـعةـ - تـوـافـقـاـ مـعـ النـصـ الـمـتـرـجـمـ - غـطـتـ شـعـرـهاـ بـقطـعـةـ مـنـ الـحـرـيرـ الـأـسـوـدـ . وـجـاءـتـ الـقـبـعةـ لـتـضـفـيـ عـلـيـهـاـ جـمـالـاـ خـاصـاـ وـجـاذـبـةـ مـحـبـبـةـ . كـماـ لـمـ يـقـفـ غـطـاءـ الرـأـسـ الـذـيـ صـنـعـ مـنـهـ المـسـرـحـيونـ تـحـفـاـ فـنـيةـ حـاجـبـاـ أـمـامـ عـدـدـ مـنـ الـمـمـثـلـاتـ الـلـاتـيـ قـدـمـنـ عـرـضاـ كـلـ الـمـسـمـئـينـ بـانـجـازـهـ كـانـواـ نـسـاءـ . وـلـأـنـ ظـاهـرـةـ الـحـجـابـ الـتـيـ جـاءـتـ تـلـيـةـ لـحـاجـةـ دـينـيـةـ وـأـخـلـاقـيـةـ تـحـولـتـ إـلـىـ ظـاهـرـةـ فـنـيةـ عـلـىـ المـسـرـحـ .

نـمـاذـجـ مـسـرـحـيـةـ

قصـةـ آـدـمـ . وـاحـدـةـ مـنـ المـسـرـحـيـاتـ الـجـادـةـ الـتـيـ لـعـبـتـ بـهـاـ صـنـعـةـ الـاخـرـاجـ ، وـفـنـيـةـ الـادـاءـ ، لـعـبـةـ لـبـقـةـ أـخـرـجـتـهـاـ مـنـ حـالـةـ الصـمـتـ الـتـيـ صـمـمـتـ ضـمـنـهـ . إـلـىـ حـالـةـ التـوـصـيلـ التـامـ . لـيـفـهـمـهـاـ الـمـلـقـيـ بـدـوـنـ لـغـةـ .

وـقـصـةـ آـدـمـ هـذـهـ صـمـمـهـاـ وـأـخـرـجـهـاـ الـفـنـانـ حـسـينـ الفـرـخـيـ . وـهـيـ مـسـرـحـيـةـ اـيمـائـيـةـ لـأـنـصـ مـكـتـوـبـاـ لـهـاـ . تـحـكـيـ بـالـحـرـكـةـ قـصـةـ الـخـلـيقـةـ مـنـذـ نـبـعـتـ مـنـ الـمـاءـ فـيـ الـعـصـورـ السـحـيقـةـ ، حـتـىـ تـطـورـ الـعـقـلـ الـإـنـسـانـيـ ، وـاسـتـطـاعـ أـنـ يـوـحـيـ بـصـنـعـ الـوـانـ الـأـسـلـحةـ الـمـدـمـرـةـ الـقـادـرـةـ عـلـىـ اـنـهـاءـ الـحـيـاةـ . وـبـيـنـ هـاتـيـنـ الـمـرـحلـتـيـنـ - مـرـحـلـةـ الـبـدـاـيـةـ وـمـرـحـلـةـ الـإـشـرـافـ عـلـىـ الـنـهـاـيـةـ - لـعـبـ خـيـالـ الـمـؤـلـفـ الـمـخـرـجـ لـعـبـةـ الـفـنـانـ الـوـاعـيـ الـذـيـ اوـصـلـ اـفـكـارـهـ بـالـاـشـارـةـ وـالـحـرـكـةـ . لـيـظـلـ الـمـلـقـيـ مـشـلـوـدـاـ حـوـالـيـ سـاعـتينـ . بـيـنـ الـحـرـكـاتـ الـمـوـحـيـةـ وـالـاـشـارـاتـ الـمـعـبرـةـ بـلـاـ كـلـامـ . وـبـنـدوـنـ سـأـمـ اوـ مـلـلـ . وـبـيـنـ هـذـاـ وـذـاكـ كـانـتـ خـلـفـيـةـ الـمـنـصـةـ تـحـركـ حـاملـةـ الـلـوـحـاتـ الـبـاذـخـةـ

الجمال الخصبة التعبير . وما استتبع الفعل من شروط التوصيل الأخرى . كالديكور الذي لا يخرج عن مسار الحكاية . وتبديلات الاضاءة التي زخرت بالوان الطبيعة ، وتموجات الموسيقى التي جاءت في حركة المسرحية أكثر فصاحة من الكلام .

من اللحظة التي يتململ فيها كائن يظهر من بين الامواج الرمادية التي اتقن الاخراج والديكور ايهامنا بوجودها على المنصة . والتي تكونت من حركات اجساد الممثلين الثمانية وانفتاثات السبع . وهم يتحركون تحت غطاء جماعي يتموج بحركات الاجساد ، يوحي بلون البحر وحركة امواجه وعواصفه . اي منذ تلك اللحظات بدا يخرج آدم من حركة انتصار شديدة البطء . لينمو ويكتن شيئاً فشيئاً ، ويخلص من الطحالب العالقة به . ويتطور كذلك ببطء شديد ليمر في كافة المراحل التي مر بها الجنس البشري عبر ملايين السنين . ليصل الى المرحلة الراهنة التي أصبح فيها الانسان شريراً على نفسه كما هو شر على الحياة من حوله .

واختصرت المسرحية الصامتة تطور الانسان وتطور مراحل حضارته ووجوده الى حدود ساعتين .

لم يكن احد من المشاهدين المشدودين الى هذا العمل ، بحاجة الى مترجم اورادي او معلق يشرح له تفاصيل الاحداث لان الصمت الذي أخذ العمل على عاتقه . استطاع ان يوصل ما يريد بلا لغة .

هذه المسرحية تستند الى عنصر ميثولوجي يتمثل في وجود وحدة الانسان على الارض كما رسمتها الاساطير . ويستند الى عنصر ديني حمله القرآن باشارات متعددة حول خلق الانسان من ماء وتراب . ومن صلصال كالفخار . ومن ان الحياة برمتها نبت من الماء . ولا نستطيع ان ننسب هذا العمل الى المسرح الایمائي الذي عرفته مسارح اوروبا

لفترة قريبة . لكنه جمع بين العناصر الدينية والعناصر الميثولوجية والعناصر الایمانية . ليظهر عملا فريدا – لو لا بعض الحركات المجانية – التي نراها في كثير من الاعمال المسرحية التجسدية على المنشة في مسارحنا . وأبشعها الضحك المفتعل الذي نحس بثقله . وأنه يخرجنا من الانسجام التام بالعمل لنسأل عن جدوى حركة أو ضحكة لا لزوم لها في مسار المسرحية .

قصة ابراهيم :

كما رواها القرآن قدمها الإيرانيون نصا مسرحيا مشبعا بفنية عناصر التوصيل من لغة . وأضاءة . وموسيقى . وديكور . وحركة . وعرضت تحت اسم « تبر برسين » أي فأس برسين . الذي كسر أصنام مدينة اور مدينة ابراهيم كما تقول الآثار . ليبدأ ابراهيم رحلته بعد تحطيم الأصنام ناثراً اسم الله وديانة التوحيد والذي حفل القرآن الكريم بقصته مع أهله وقومه وزواجه وأولاده وديانته التي كانت أساساً أولاً للديانات التوحيد خاصة الإسلام . والقرآن يعتبر ابراهيم أول المسلمين .

المسرحية من تأليف وإخراج : سيد أشرف طباطبائي .

تبني أحداث المسرحية مع طفولة ابراهيم . وهيمنة الطاغية نمرود على مقدرات البلد عن طريق الكهنة الذين يوحون للناس باستمرار حكايات عن قدرة الاوثان على اهلاك الحياة . ومع تقدم ابراهيم في الزمن وبلغه مرحلة الشباب . يخوض معركة مع ذاته هي معركة الشك بكل ما يراه وبما لا يراه . هو الشك الواعي الذي يوصله إلى الإيمان المطلق بوجود الله . فيقوم بخوض أول معركة مع قومه ، بتحطيم الأصنام ليكشف الاعيوب الكهنة . وسلطانهم الزائف . ويقضي الناس على نمرود الطاغية بعد أن تنكشف لهم لعنته مع الكهنة .

قد يكون هذا النص الذي يتميز بحضور أنسه في ذهن المشاهد بسيطاً وساذجاً . لكن متلقيه يستطيع أن يحمله بعدها سياسياً . فالنص حول معركة ابراهيم من معركة مهاجر عن قومه إلى معركة عائد إلى قومه ينشر بينهم الهدایة والتوحید . كما ينشر أضاليل الكهنة التي رسخت سلطان الطاغية . ليكون هذا الطفيان قدرًا لا يستطيع الإنسان مقاومته أو تحويله أو الخلاص منه .

وتميزت المسرحية بالديكور المبهر الفني الذي أضاف إلى النص بعداً نظرياً جديداً . كما تميزت بتصميم الملابس .

هذا نموذجان من التراث الديني . الذي يتذوق باستمرار نحو الفعل المسرحي . ومع وجود كل جيل جديد للمسرح . تكتشف في هذا التراث أبعاد مسرحية جديدة . يلتحقها الإيرانيون . للافادة منها فنياً . بقدر افادتهم منها على المستوى الديني والأخلاقي .

ولا بد من الوقوف طويلاً أمام المسرحية التي حملت اسم : « قصة يزدجرد » التي كتبها المسرحي الكاتب : بهرام بيضائي . وعندما قدمت على المنصة أخرجتها الفنانة جلاب أدينا . ومعنى جلاب : ماء الورد .

تححدث المسرحية عن مقتل يزدجرد الثالث . وهو أحد الاباطرة الفرس الذين خرجوا من القيد التاريخي إلى الفسحة الاسطورية . وحفل به وبالحديث عن مأساته الشبيهة بمساة أوديب . وأفرد له فصلاً كاملاً في الشاهنامة أبو القاسم الفردوسي .. وعالج هذه الحكاية التاريخية الاسطورية أكثر من كاتب ايراني .

يزدجرد قتل على يد صاحب طاحونة في قصة طريفة . لكن الكاتب بهرام بيضائي . صنع من هذه الحكاية مسرحية كبيرة تعج بالحركة والحوادث الشعرية الجميل . وتتابعت فيها المفاجآت الدرامية المتطورة

□ عن المسرح في إيران □

والمتلازمة وتالقت المخرجة « ماء الورد » بتوظيف قدراتها الابراجية لاغناء النص الذي تحول بين يديها الى تراجيديا حقيقة لافجوات فيها ولا خلخلة ولا بطء في ايقاعها . ولعب أدوار المسرحية ثماني فتيات أدينن أدوارهن برشاقة محببة . كما قام الديكور بوظيفة المساعدة الاساس في توصيل أحداث المسرحية . الى جانب الاضاءة المدروسة والموسيقى المعبرة .

لو قرأتنا هذه القصة في الشاهنامة – كتراث كبير – يعتد به كل الايرانيين على اختلاف مذاهبهم الادبية وتياراتهم الفنية . حتى وجد من يطلق في ايران على الشاهنامة : « قرآن العجم » لتبيين لنا كيف يستطيع الكاتب المسرح المتمكن ان يتحول الحالة السردية الى حالة مشهدية آسرة تقف أمام النقد المسرحي زمنا طويلاً.

رستم وسهراب :

أحد النصوص المسرحية المأخوذة عن الشاهنامة كنص شعري ملحمي أخرجها الى المنصة محمد جواد بخشي زاده . وخلاصة هذه القصة – كما جاءت في الشاهنامة – ان البطل الاسطوري الفارسي رسنم يتزوج احدى بنات ملوك الفرس ليلة واحدة ويرحل عنها لظروف اضطرره الى الرحيل . وقبل ان يرحل يزین لها عضدها بتعويذة تشبه السوار خاصة به . وتحمل هذه الزوجة وتنجب طفلاً تسميه « سهراب » . وعندما يشب عن الطوق ويتقن علوم عصره من فروسية وادب . تخبره امه قصة زواجهها بأبيه . وكيف تركها أبوه مضطراً ورحل . ولا يحب سهراب ان يعيش في حالة القلق التي تحتل وعيه وتصرفه عن ممارسة الحياة الطبيعية . فيجهز جيشاً للبحث عن أبيه الذي لا يعرف ان كان هذا الاب حياً أم ميتاً .

ويلتقي الفارسان بجيشهما بدون أن يعرف أحدهما الآخر . فيظن كلاهما أن الآخر خصم له جاء يحاربه . ويصطفع البطلان أمام جيشهما . فيصرع سهرا بآباء . ويحاول طعنه بخنجره بعد أن رماه على الأرض . فيصرخ رستم المتروع : إن شرف الفروسية وأخلاق البطولة تقضي أن لاتطعنني بخنجرك قبل أن نتصارع ثانية . يستجيب سهرا ب ويكتف عن رستم . ويتصارعان ثانية . وفي هذه المرة تنقلب الآية ويصرع الآب رستم ابنه سهرا ثم يعاجله بطعنة من خنجره . فيقول الشاب المحتضر : لو تحولت إلى طير في السماء . أو سمكة في البحر . أو نجمة في الأفق الاعلى . فإن أبي سيبحث عنك ويثار لي ويقتلك . فيقول رستم لوالده المحتضر : ومن هو أبوك ليفعل ذلك ؟ يجيبه الشاب وهو يلفظ أنفاسه : أبي هو البطل العظيم رستم . ويلمح رستم التوعيدة المربوطة بعضه سهرا . فيعرف أنه قتل ابنه .

هذه الحكاية كجزء شعري من ملحمة الفردوسي هي التي عالجها المخرج المأذل محمد جواد بخشي زاده . وقدرها في عرض مسرحي متشر ترک في نفوس المتلقين اثنين . أثرا هو في ذاكرته من خلال قراءتها في الشاهنامة . وأثرا جديدا هو رويتها تحدث أمامه بإخراج حي . ولا يستطيع مشاهد هذا العرض إلا أن يتذكره لفترة طويلة من الزمن .

صحيح أن المخرج لم يضف شيئاً إلى الحدث . لكنه لم ينقص شيئاً من الحدث . لكنه أغناه برؤية اخراجية حديثة ضمن وسائل المسرح الأخرى من الحركة والديكور والملابس والموسيقى . وقام الممثلون بتادية أدوارهم كما لو كانوا الأشخاص الحقيقيين لهذه الحكاية الاسطورية .

* * *

□ عن المسرح في إيوان □

أما مسرح الحياة المعاصرة بعيد عن التراث بكامل فروعه الدينية والتاريخية والاسطورية . فله تياراته وهواجسه وله كتابه الباحثون عن مشافل الناس اليومية . لتحويلها الى لوحات مسرحية . وتطول الاشارات الى هذا اللون المسرحي المميز باحتكاكه بالحياة المعاصرة واقترابه من شؤون وشجون الناس . نذكر من هذه النماذج :

طفل الصيف :

من تأليف واخراج حسن حامد . والتي تدور حول طفل هو فتى في العاشرة من عمره . يجلس على مقعد حجري في حديقة . ويبحض بأحلامه البريئة وخياله الطفولي الى حياة مليئة بالافراح والمسرات . تخرجه من حياته الفقيرة المعدمة . يدخل الى الحديقة رجل بائس هارب من ثقل الهموم والواقع . فيتعرف الى الطفل ويشاركه تخيلاته وأحلامه . وعندما يعجز الحالمان الطفل والشيخ على اختراق حدود الواقع لتحقيق الطموحات والاحلام . يعودان الى الواقع المعيش . ويبداآن حياة طبيعية تخضع لصرامة الواقع وثقله .

والمصح الأزرق :

عرض مسرحي من تأليف واخراج عبد الخالق مصدق . تتلخص قصة هذه المسرحية في ان شابا يبحث عن اخته الضائعة . وبعد أن أعياه السؤال والتجوال يصل الى الولايات المتحدة الامريكية . ولا يعرف اي مصادفة او صلة الى مصح للامراض النفسية . ليرى اشخاصا من منابت مختلفة . وهم مصابون بعاهاتهم النفسية نتيجة نمط او انماط الحياة الامريكية . ويصاب بدهشة مثيرة عندما يرى اخته الضائعة بين هؤلاء المرضى التي يجمعها بهم تأثيرها بنمط الحياة الامريكية .

□ عن المسرح في إيران □

وكانها أصبت بما هي فيه نتيجة لحياتها في أمريكا . ويقابل هذه القصة قصة مشابهة تماماً تدور حول فتاة تبحث عن أخيها الضائع . وتعثر عليه في المصح نفسه .

ولأن القائمين على المصح يضجرون من مرضاهم ويسمون من عاهات هؤلاء المرضى . يقومون . باطلاق رصاصة الرحمة عليهم ليكون من ضحايا هذا المصح . الاخ الذي يبحث عن اخته وليس مريضاً . وتكون الضحية الثانية الاخت التي تبحث عن أخيها وليس مريضة كذلك .

واراد مؤلف النص ومخرجيه ان يفضح الحياة المادية والخواء الروحي في أمريكا . لكنه فشل في توصيل فكرته . وظل العرض المسرحي بعيد عن الواقع . جميلاً في وسائل المسرح الأخرى . من ديكور فاخر وملابس فيها كثير من البذخ . وموسيقى عذبة .

والرحيل :

واحدة من النصوص التي تعالج مسألة الرحيل والهجرة لكنها تتركز حول زوجين من البدو الرحل في احدى مناطق ايران . امام نبع ماء قريباً من طريق القوافل . فهما في هذا المكان ينتظران قافلة يرحلان معها الى مكان جديد . وخلال فترة الانتظار يعودان بالذاكرة الى الوراء . ويتخيلان العشاق الشباب بحوار جميل قريب من لغة الشعر . ولكن النص يظل أسير الذكريات . حتى تمر القافلة . وهي تعج بقرع الاجراس .

هذا النص نقل جانباً من تراث البيئة التي تخلق فيها من لهجة الحوار . وبعض العادات والتقاليد . التي رأيناها في طقوس الحياة . الى جانب الملابس والديكور . وقد اقتصرت المسرحية على زوج وزوجة

□ عن المسرح في إيران □

لآخر قاما باداء دورهما . ومؤلف المسرحية ومخرجها هو عزة الله مهر اوران . وهو نفسه الذي قام بدور الزوج .

والذين يزورون ايران يشاهدون بعض النصوص الاجنبية التي ترجمت الى الفارسية . ولها عشاقها ومربيوها بالطبع كلون من حب الاطلاع على الفعل المسرحي في العالم . فتجد باستمرار عروضاً مترجمة لبعض كتاب المسرح العالميين الذين أصبحوا مألفين في المسرح وعلى المنصة في ايران . من هذه النصوص مسرحية :

« مصباح الفاز » لباتريك هاملتون . والتي يقف المتلقي مشدوها أمام الفرقـة التي قدمـت هذا النص . بدون ان يشعر ان الممثلـين يمثـلون . بل يقنـعـكـ الـديـكورـ والـحرـكةـ والـحوـارـ بـطـبـيـعـةـ الاـشـيـاءـ وـانـ هـذـاـ الـذـيـ يـجـريـ اـمـامـكـ . يـحدـثـ فيـ الحـيـاةـ وـلـيـسـ عـلـىـ المـسـرـحـ .

وفي أي مكتبة في طهران - مثلا - يمكنك ان تجد ماتهواه من الالوان المسرحية المنشورة في كتب سواء اكانت من تأليف الكتاب الايرانيين او من ترجمة المختصين بالعلوم المسرحية .

والمعنيون بالمسرح حريصون على نقل كافة المذاهب والتيارات المسرحية في العالم . عن طريق نقل النصوص الى اللغة الفارسية . وعن طريق ترجمة الدراسات النقدية المسرحية عن الانكليزية والفرنسية والالمانية والروسية والاسبانية والعربية .

* * *

دور العرض في ايران كثيرة الى حد استيعاب الفعل المسرحي الذي تحركه تطويرا . حوالي خمسين ألف فرقة مسرحية . كما قلنا . ولا بد من اشارة الى الجانب الآخر الذي يعني بالمسرح اولا وهو الجمهور . قلما تجد دارا للعرض فارغة من روادها . وكان المسرح فعلا في ايران

جزء من الحياة . يعكس لك الصورة المشرقة التي تتوهج خطوطها وتتلون أضواؤها . ومشاهدة المسرح في إيران طقس حياتي يشبه الضرورة . وليس ترفاً تمارسه في أوقات الفراغ .

وإذا كان المسرح يتقلص في كثير من بلدان العالم أمام زحف الفيديو والمسلسل التلفزيوني . وحيرة بعض المسرحيين العالميين حول الطريقة التي يمكن لها إعادة أمجاد المسرح كما كان في العصور الكلاسيكية . فان الايرانيين مطمئنون الى مكانة المسرح كضرورة في حياتهم .

يبقى ان نشير الى عاهة - هكذا نراها - تلائق او ترافق الفعل المسرحي في إيران . هي أن جانباً كبيراً من المخرجين يرون أن بقدرتهم ايجاد النص المسرحي من خلال الرواية الابراجية . وهذا وهم كبير يقع فيه بعض المخرجين .

فالذى نعرفه ان بعض المؤلفين المسرحيين في أوروبا وأمريكا اتقنوا لغبة الابراج المسرحي وقاموا باخراج نصوصهم للمسرح . وبعض النقاد يرون ضرورة وجود الكاتب المسرحي لصدق المسرح . لكن أحداً من النقاد لا يمنع المخرج المسرحي حق تأليف النص مالم يكن مؤلفاً مسرحياً أولاً .

ونستطيع ان نرى النصوص الضعيفة على النصات في إيران وهي كثيرة الى جانب النصوص الجيدة . لأن مخرجيها هم الذين كتبوا هذه النصوص ليتحول المخرج الى مخرج مؤلف .

قلنا ان ذلك ليس عيباً . لكن العيب هو اصرار المخرج الذي يفتقر الى موهبة الابداع . على كتابة نص او اخراج عمل بلا نص .

* * *

مقابلة مع الشاعر الايراني علي موسوي كرمرودي

بطاقة شخصية :

— ولد الشاعر الايراني المعاصر علي موسوي كرمرودي في مدينة (قم) ، ويبلغ من العمر الان ٤٥ عاما ، وأصله من قرية (كرمرود) وهي احدى القرى التابعة لمدينة قزوين حيث هاجر والده الى قم طلبا للعلم والمعرفة وكان من أساتذة العلوم الاسلامية لاسيما علما الكلام والفلسفة .

— بدأ رحلة التعلم الطويلة عنده والده وهو في سن الستادسة ، حيث اتقن القراءة والكتابة فضلا عن مقدمات علوم القرآن الكريم والادب العربي والفارسي ، استمرت هذه المرحلة حوالي أربعة اعوام قبل ان يدخل المدرسة الابتدائية ابتداء من الصف الثالث ، ثم مالبث ان انهى المرحلتين الابتدائية والثانوية بتتفوق قبل ان ينتقل الى مدينة مشهد في سن الثامنة عشرة ليدرس الادب العربي لمدة اربعة اعوام عند الاستاذ الاديب الكبير النيشابوري .

□ مقابلة مع الشاعر الإيراني □

— في عام ١٩٦٦ دخل كلية الحقوق في جامعة طهران وتخرج منها بتفوق عام ١٩٧٠ .. وابتداً موهبه الأدبية والشعرية تنموا وتتفجر في الجامعة حيث فاز بالجائزة الأولى في المسابقة الشعرية الكبرى التي أقامتها جامعة طهران عام ١٩٦٩ .

— اعتقل الشاعر الكرماني عدة مرات قبل انتصار الثورة الإسلامية، وبعد الانتصار تقلد عدة مناصب ثقافية ونكرية في الجمهورية الإسلامية وهو يصدر حالياً في طهران المجلة الأدبية (كل جرخ) وله عنده دواوين شعرية وينظم الشعر الحر على الأغلب ويتميز شعره بالواقعية والحيوية وتفاعله مع هموم الجماهير الشعبية الكادحة .

* * *

س : هل يوجد تعريف محدد للشعر وكيف تعرّفونه ؟

الشاعر الكرماني :

انفق مع أغلب الأدباء والشعراء في أن الشعر لا يتقبل أصلاً أي تعريف ، أي أنني لا أرى أن هناك تعريفاً جاماً للشعر .

إلاً أن محاولات عديدة بذلت عبر التاريخ لتعريف الشعر ، ولكن يشار هنا سؤالان أساسيان هما : الأول لماذا سعى البعض لتعريف الشعر أصلاً ، والثاني لماذا لم يتوصل الأدباء إلى تعريف قاطع للشعر حيث لاتزال المحاولات مستمرة منذ القدم للعثور على تعريف محدد للشعر . فيما يخص السؤال الأول أقول : إن البشر كانوا دوماً يبحثون عن أجوبة للنقاط المهمة في حياتهم وسعواً حثيثاً لفك رموز حياتهم والاستفادة من بعض المبادئ المعلومة .. ولكن لأن الفكر البشري غير مصان من الخطأ لذا فقد سعى لوضع قواعد تنظم التفكير السليم .

□ مقابلة مع الشاعر الإيراني □

ومن هنا فقد وضعت عدة شروط لابد ان توفر في تعريف الشعر منها :

أولاً : ان يكون تعريفا جاما - أي ان يكون التعريف شاملا لجميع المفردات الواردة في المفهوم ، فمثلاً عرف شمس قيس الرازي الشعر بهذه العبارة :

(الشعر كلام موزون ، مقفى ، متساوي ومتكدر) .

ولكن نقول : هل ان هذا التعريف يشمل الشعر الحر وأشعار نيماء !؟

المؤكد انه لا يشملها ، اذن فهو تعريف غير جامع.

ثانياً: التعريف لابد ان يكون مانعا - أي لا تضمر المفردات او الافراد مفهوما آخر ، فمثلاً عرف أرسسطو الشعر قائلاً :

(الشعر كلام مشير للخيال) .

لا اعتقد ان هذا التعريف يعتبر مانعا ، لأن هناك الكثير من العبارات المشيرة للخيال ولكنها ليست شعراء .

ثالثاً : التعريف ينبغي ان يكون معرفة بيّنة للمفهوم .. فمثلا لو قلنا في تعريف الشعر انه شعر او في تعريف الانسان قلنا انه ابن آدم ، فان هذين التعريفين رغم ان كلاً منهما جامع ومانع الا انه لا يعرف المفهوم بل اشبه ما يكون بمن (يعرف الماء بعد الجهد بالماء) .

بعد ارسسطو بذل العديد من الادباء جهودا كبيرة لتعريف الشعر استناداً للشروط المنطقية للتعريف ، منهم الاديب الكبير (مير سيد شريف جرجاني) الذي ألف كتاباً باللغة العربية باسم (التعريفات) ضمنه تعريف للعديد من مصطلحات النوع المختلفة مثل الفلسفة والكلام والقواعد والنحو والعلوم الادبية الأخرى .

وفيما يخص السؤال الذي اثارناه والمتعلق بعدم الاتفاق على تعريف قاطع للشعر عبر التاريخ وان الجهد لازالت مستمرة للتوصل) الى تعريف شامل للشعر .

□ مقابلة مع الشاعر الإيراني □

فأقول : ان هذه الحقيقة التي يتضمنها هذا السؤال تؤيد وجهة نظري التي أشرت إليها في بداية الإجابة على سؤالكم وهي أن الشعر لا يقبل التعريف ، واعتقد ان سبب ذلك يعود إلى ان الشعر لا يتحكم به أي أحد وهو ليس اكتسابيا او سهل المنال حتى نتمكن ان نحيط به وحصره في إطار تعريف معين .. بينما الذين يفترضون تعريف الشعر فانهم في الحقيقة ينظرون الى الجزء الخارجي من الشعر الذي يعتبر تحت تصرف الشاعر وهو يعتبر سهل المنال واكتسابي ، والجزء الداخلي من الشعر هو الذي يؤطر الشاعر داخله وهو يمثل الجزء الرئيسي في الشعر او نسميه جوهر الشعر او الجزء الفوار والحيوي من الشعر وهو ليس تحت تصرف الشاعر ابدا ، وما يbedo من الشعر مثل اللغة والبيان والوزن يعتبر الجزء الخارجي من الشعر .

اعتقد اني اجبت على سؤالكم بشأن عدم العثور الى الان على تعريف جامع وشامل ومانع للشعر .

س : كيف تنظرون الى تفاوت دور الكلمة في الشعر والنشر
والخطابة ؟

الشاعر الكرمادودي :

اعتقد ان هناك تفاوتا بين دور الكلمة في الشعر من جهة والنشر والخطابة من جهة أخرى .. لأن النشر يعتبر الصورة المصححة والمنقحة للخطابة .. ولكنها تختلف مع لغة الشعر .

وانا أشتراك في الرأي مع من يرى ان هناك تفاوتا بين استخدام الكلمة في الشعر والنشر .. لانه صحيح ان الكلمة تعتبر الوسيلة في الشعر والنشر والخطابة على حد سواء الا انها في الخطابة والنشر تعتبر وسيلة الارتباط بينما في الشعر تعتبر الكلمة وسيلة الانتقال .

□ مقابلة مع الشاعر الإبراني □

حيث ان هناك وجوداً للمخاطب في النثر والخطابة اين ان الاديب او الخطيب يقصده في كلامه حتى يقيم ارتباطاً معه وعلى الاغلب ينتظر منه جواباً ، بينما في الشعر ليس الهدف هو المخاطب بل ان الكلمة تستخدم في الشعر كوسيلة للانتقام وليس للارتباط ، حيث ان الكلمة هي التي تصرف بالشاعر وليس العكس ولا السلطة للشاعر عليها . وبنفس هذه الدرجة في التفاوت بين الشعر والنثر والخطابة نعتقد ان هناك تفاوتاً بين الشاعر من جهة والخطيب او الناشر من جهة أخرى .

س : ولكن الا يوجد بين الشعراء الماضين حالة استثنائية جمع الشاعر في شخصيته وشعره درجتي الشعر والنثر او الخطابة ؟

الشاعر الكرمرودي :

لا ظن ان هناك شاعراً جمع بين الحالتين في شعره عدا الشاعر الكبير حافظ الشيرازي الذي تتضمن ثلثا اشعاره ان لم أقل جميعها حالة الجمع هذه ، اي ان اشعاره كانت تجمع صفات الشعر والخطابة والنثر .. وكان الشعر يحبه في نفس الوقت الذي كان فيه يحب الشعر.

س : افترضتم في كلامكم ان للشعر جزئين احدهما خارجي والآخر داخلي ، كيف كان الشعراء والقادميين ينظرون الى الشعر بجزئيه الخارجي والداخلي ؟

الكرمرودي :

أجل ان الشعراء والقادميين كانوا ينظرون اكثر الى الجزء الخارجي اي يهتمون بالجوانب الصورية والظاهرة للشعر ويففلون عن المعاني والمفاهيم والافكار التي تتضمنها الاشعار ، وهذا يعني ان القادمي كانوا ينقدون ظواهر الابيات الشعرية لأنهم كانوا عاجزين عن نيل الجزء الداخلي من الشعر الذي كان خارجاً حتى عن تصرف الشاعر نفسه .

□ مقابلة مع الشاعر الإيراني □

وكذلك الامر بالنسبة للشعراء ، حيث أنهم عندما كانوا يتحدثون عن الشعر فانهم كانوا يقصدون الجانب الظاهري او الجزء الخارجي منه .

س : كيف يمكن للانسان ان يفهم الشعر وهل ان الشعر يمكن ان يترجم من لغة لآخرى ؟

الشاعر الكرمرودي :

كان القدماء يستخدمون مصطلح (الملكة) للتعبير عن مدى قابلية الانسان على فهم العلوم والاحاطة بها ، وكانوا يقولون ان هذه (الملكة) تظهر عند الانسان في اي علم او فن نتيجة لمطالعاته ومتابعاته المستمرة في ذلك العلم او الفن .

وهكذا فان قراءة وفهم الشعر تعتبر فنا خاصا بحد ذاته ، فمن يمتلك (الملكة) الشعرية يمكنه ان يفهم الشعر ويميز بين الشعر الجيد وغيره . كما ان فهم الشعر يستلزم توفر مقدمات كثيرة ، فمثلا يتوجب على قارئ الشعر ان يكون مطليعا على مفاهيم الكلمات ومعانيها ومتبحرا بالادب والقواعد حتى يتمكن ان يفهم الشعر الذي يقرأه .

وكذا الامر بالنسبة لترجمة الشعر ، فانا اعتقد ان الشعر لا يقبل الترجمة ولا يمكن للمترجم ان ينقل الشعر من لغة لآخرى مع الحفاظ بشكل كامل على المعاني والمفاهيم الكامنة فيه ، بل ان المترجم مهما يكن بارعا ومتقنا للفتي المبدأ واللغة التي يريد ان يترجم اليها فانه لا يستطيع ان ينقل مشاعر الشاعر الواردة في اشعاره ، ولكن هذا لا يعني ان نغلق باب الترجمة ونحرم الشعوب الاخرى من التعرف على معاني اشعار غيرهم ، بل أدعو المترجمين الى التريث والتمعن والتدبر والاتقان اللفوبي قبل الإقدام على الترجمة .

* * *

بانوراما الصحافة الأدبية في إيران

سمير أرشادي
أستاذ الأدب الفارسي في جامعة دمشق

في خضم استعراضنا المقتضب للادب الفارسي كان لا بد لنا من دراسة سريعة للصحافة الادبية والثقافية في ايران باعتبارها النبض الذي يمكن من خلاله ان نتحسس مدى فاعليه ونمو الحركة الفنية والادبية القائمة في هذا البلد .

تبين احدث احصائية صادرة في هذا المجال أن هناك ٥٧٤ مجلة وصحيفة تصدر في ايران يطبع منها سنوياً ٤٨٠ مليون نسخة .

المقصود من المجلة هي النشرة الدورية التي لايزيد صدورها عن مرتين اسبوعياً ولا يقل عن مرتين سنوياً . أما الصحف فهي الدوريات الاعلامية والخبرية المسجلة رسمياً في وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي .

تحتل المجالات الرياضية الحيز الاكبر من هذه الحصة حيث يطبع منها ١٥ مليون نسخة شهرياً .

تليها مجالات الاطفال التي تطبع مليون نسخة شهرياً .

وهناك ٣٦ مجلة تصدر باللغتين الفارسية والانجليزية و ٤ مجلات تصدر بالانجليزية الى جانب ٤ صحف يومية ، ومجلتان باللغة الفرنسية ٧ مجلات باللغة العربية و ٨ صحف يومية واسبوعية تصدر بالعربية ، ٣ مجلات وصحيفتان باللغة الكردية (بثلاث لهجات كردية) ، مجلتان بلغة الاوردو ، ومجلتان و ٥ صحف بالتركية ومجلة باللغة السواحلية الشرقية .

الصحف الإيرانية :

يعود تاريخ انتشار أول صحيفة ايرانية الى قبل قرن ونصف من الان وباسم (وقائع اتفاقية) حيث صدرت ابان حكومة (امير كبير) وأغلب نسخها محفوظة الان في المكتبة الوطنية بطهران .

وهناك اكثر من مائة صحيفة تصدر في ارجاء ايران تقتصر على تعريف اهمها بأيجاز :

١ - صحيفة اطلاعات :

بدأت انتشارها قبل ٧٠ سنة وهي صحيفة مسائية مستقلة ، ثقافية اجتماعية سياسية تصدر في ١٦ صفحة يومياً ويطبع منها ٢٥٠ الف نسخة يرأس تحريرها السيد محمود دعائي .

٢ - صحيفة كيهان (العالم) :

تصدرها مؤسسة كيهان للطباعة والنشر منذ ٥٢ عاماً وهي صحيفة مسائية خبرية ثقافية وسياسية تصدر في ٢٠ صفحة حجم ٤٣ × ٦٢ سم .

يرأس تحريرها الدكتور محمد اصفری .

وتصدر عن هذه المؤسسة صحف باللغة العربية والتركية والانجليزية والاردية .

□ باتوراما الصحافة الأدبية □

٣ - جمهوري الإسلامي :

صحيفة سياسية اجتماعية فكرية صباحية مستقلة تصدر منذ ١٤ عاماً في ١٢ صفحة .

يرأس تحريرها الاستاذ الشيخ مسیح مهاجري ويطبع منها يومياً ١٠٠ الف نسخة .

ولكل من هذه الصحف مطبع عصرية متقدمة تساهم في طبع الكتب والمجلات الأخرى فضلاً عن طبع الصحيفة .

٤ - صحيفة رسالة :

وهي ثقافية اقتصادية وسياسية مسائية يديرها سيد مرتضى نبوی ، تصدر باثنتي عشرة صفحة بحجم ٤٠ × ٧٥ سم وبلغ عمرها ٩ سنوات .

٥ - ابرار :

صحيفة صباحية اقتصادية ثقافية سياسية يديرها السيد غفور كرشناسيبي وتصدر باثنتي عشرة صفحة .

٦ - هم شهري (المواطن) :

أحدث صحيفة صباحية ملونة تصدر في ٣٦ صفحة يرأس تحريرها السيد محمد حسين كرباسجي أمين العاصمة طهران وتهتم بتنقيف المواطن اجتماعياً وبيئياً وتقدم الدراسات العلمية حول الكثافة السكانية والنقل والاتصالات علاوة على رصد النشاطات الأدبية والفنية .

اما أهم المجلات الثقافية والأدبية الصادرة في ايران فهي :

١ - بیام کتاب خانه (رسالة المكتبات) :

وهي مجلة تصدر مرة كل شهرين عن مجلس امناء المكتبات العامة للدولة وتهتم بالشؤون الثقافية والأدبية ولا سيما علم المكتبات الحديث وأسلوب تطوير المكتبات وتعريف المكتبات العالمية .

□ بانوراما الصحافة الأدبية □

ومن أهم معارضه اعدادها الاخيرة :

دراسة ميدانية للمكتبات الجامعية في طهران - نظام المعلومات ودوره في التبادل الثقافي - تقرير عن معرض الكتاب السادس في طهران - زيارة للمكتبة المركزية في شانغهاي - تاريخ مكتبة الاسكندرية - اساليب المطالعة السريعة - حقوق المؤلف .

٢ - شعر :

مجلة أدبية شهرية تصدرها مؤسسة الاعلام الإسلامي ، رئيس تحريرها السيد هادي سعیدي .

أهم معارضها : - الشاعر يخترق جدار الزمن :

حوار مع الشاعر اليمني عبد الله البردوني - دراسة عن نازك الملائكة للادبية نرجس كنجي - قصائد للشاعر الارجنتيني المعاصر بتينا خرالدي - قصائر لشعراء من افغانستان وجنوب افريقيا وطاجكستان - التمازج الثقافي بين الادب الفرنسي والادب الايراني - تعريف بديوان الشاعر السوري أدونيس - قصيدة أخبار الساعة الثانية عشرة للشاعرة الاميركية اليزابيث بيشاب ترجمة الادبية مهوش غلامي .

- دراسة لدبوان الشاعرة السورية امل الجراح بعنوان امرأة من شمع وشمس وقمر .

٣ - كتاب :

مجلة فصلية معلوماتية تصدر عن المكتبة الوطنية مديرها المسؤول السيد محمد رجبى . وتهتم بدراسة دور المكتبات في الحياة الادبية والثقافية ونقل التجارب وتبادل الخبرات مع بقية الدول وتنشر مقالات وبحوث حول مكافحة الامية وتعليم الكبار .

٤ - ادبستان (دنيا الادب) :

مجلة ادبية ثقافية فنية تصدر شهريا عن مؤسسة اطلاعات، رئيس تحريرها السيد احمد سام . صدر أخيرا عندها السادس والاربعون.

من جملة موضوعاتها :

اسلوب التصدي لل فهو الثقافي الاعلامي المرئي والمسموع ، تقرير عن بنيالي الرسم في ايران ، برشت رائد المسرح الالماني المعاصر ، نماذج ومقطعات من الشعر الايراني المعاصر .

٥ - الادب القصصي (أدبيات داستاني) :

مجلة شهرية ، أدبية ، ثقافية ، فنية تصدر عن مؤسسة الاعلام الاسلامي وأمضت عامها الاول ترأس تحريرها السيدة زهراء زواريان.

من أهم محاورها اجراء مقابلات مع نخبة من الروائيين الايرانيين والعالميين حول مواصفات الادب القصصي ومشخصاته مع درج مجموعة قصص قصيرة لأدباء ايران ومنهم داود غفار زادكان ، جمشيد بربز كر سادات اخوي ، مجتبى رحمان دوست ، وترجمة قصص لفسان كتفاني وغابرييل غارسيا ماركيز ورومان رولان وكذلك نقد ودراسة عن قصص صادق هنایت وتقرير عن ندوة : القصص الحربية في ايران والعالم .

٦ - سروش :

مجلة اسبوعية ، ثقافية ، فنية تصدر عن مؤسسة الاذاعة والتلفزيون باللغة الفارسية والعربية والانجليزية ، رئيس تحريرها المهندس مهدي فiroزان ، وتقضى الان عامها الخامس عشر .

تنشر المجلة دراسات اكاديمية حول التلفزيون والاذاعة منها :
- ازمة الفيديو في العقد الاخير ، الاقمار الصناعية وضجيج الاعلام ،

هجوم العنف في الشاشة الفضية، الكمبيوتر لخدمة السينما والتلفزيون دراسة حول المسرحيات الإذاعية .

٧ - نهاية :

مجلة شهرية تصدر باللغتين الفارسية والإنجليزية وترصد كافة المجالات والكتب والصحف الصادرة في إيران وتصنفها حسب المواضيع والمقابلات ودور النشر في فهرسة شاملة لكل الكتب الصادرة خلال شهر، كما تصنف هذه المواضيع والبحوث في اشرطة كومبيوتر تباع للجامعات ومؤسسات البحث العلمي وفقاً لأنظمة معلوماتية متقدمة .

٨ - كيهان فرهنكي (عالم الثقافة) :

مجلة أدبية ، ثقافية، شهرية احتفت مؤخراً بصدور عددها المائة. رئيس تحريرها الشاعر محمود أسعدي .

ترصد المجلة أهم الأحداث الثقافية والأدبية في إيران والعالم وتنشر دراسات اجتماعية حول دور الأدب في المدارس والجامعات نقرأ في عددها الأخير المواضيع التالية :

طبع ديوان قصائد الإمام الخميني (طاب ثراه) ، الأدب الحماسي عند الشيخ عز الدين القسام ، المؤتمر الدولي الأول للكاريكاتير ، مقابلة مع الدكتور شميسا تحت عنوان « الوزن » في دم الشاعر ، الرمزية في شعر جلال الدين الرومي ، القاموس في اللغة العربية ، حوار حول تقييم الأدب في إيران مع الدكتور حداد عادل ، الدكتور صادق آينة وند ، الشاعر محمود شاهرخي ، الدكتور جليل تجييل ، الدكتور علي شريعتمداري ...

مع لفيف من أخبار ونشاطات المؤسسات الثقافية والمسابقات الأدبية في إيران والعالم .

صحافة الاطفال :

برزت صحافة الاطفال في ايران بأصولها الخاصة وسماتها المميزة في كيفية التعامل مع الجيل الجديد ومخاطبته ، حيث يرعى عدد من أدباء الاطفال الذين استطاعوا أن يتغللوا إلى قلوب قرائهم الصغيرة التي تتحقق بالأمل والتفاؤل .

مجلة الهدى تصدر باللغة العربية وتمر بستتها السابعة ، رئيس تحريرها الشاعر جواد جميل ، عدد صفحاتها ٣٦ صفحة من الحجم الكبير والورق الصقيل ، والمجلة منوعة تطرق عدة أبواب منها (القصص الدينية والتاريخية ونبذة عن حياة عظماء الاسلام وزاوية (نحن نقص عليك أحسن القصص) تضم قصة مختارة من القرآن الكريم ، ثم مختارات من الاخبار العلمية المبسطة في صفحة الصحفي الصغير، وهناك قستان .. أحدهما مسلسلة والأخرى كاملة ، حروف المجلة كبيرة وصورها ملونة ، مع زاوية للفكاهة والتسلية والمسابقات واختبار الذكاء وقوة الملاحظة .

كما تهتم المجلة بنتاج الاطفال الفني والثقافي ، ولوحات بريشة أصدقاء المجلة وركن لبريد القراء ولصورهم وتصويرهم ومع أن معدل طبع ونشر كتب الاطفال لازال دون المستوى المطلوب ، الا ان مسامين وعنوانين هذه المجالات والكتب تأتي في الدرجة الثالثة عالميا وبعد الصين واسبانيا .

٢ - مجلة كيهان بجهه ها (عالم الاطفال) :

تصدر بالحجم الصغير وبشكل اسبوعي منذ ٣٧ عاما ، رئيس تحريرها الاديب امير حسين فردي وتضم كوكبة من الرسامين وأدباء الاطفال الكبار في ايران .

تبدأ المجلة بافتتاحية لرئيس التحرير على غرار مجلات الكبار ، ثم قطعة شعرية للأطفال ، أهم الاخبار الثقافية والعلمية ، تقرير عن معرض ارسوم الأطفال بمناسبة عيد الام ، نقد قصة او كتاب ، عالم الرياضة ، بريدها الاحباء ، حوار علمي ، ركن للتعارف والصور ، زوايا للرسم والالوان والألعاب ، ركن للمعلومات الجغرافية والبيئة ، حكايات من التراث الاسلامي ، قصص مصورة مؤلفة او مترجمة .

٣ - صحيفة (رتين كمان) للأطفال - قوس قزح :

وهي أول صحيفة يومية للأطفال تصدر في أربع صفحات ملونة ، وتعد تجربة فريدة ورائدة محفوفة بالصعوبات ، نظراً لأهمية مخاطبته عقل الطفل ووجوده ، حيث ان الكتابة اليومية للأطفال بحاجة الى موهبة وحساسية مرهفة وخبرات ممتدة .

انهت الصحيفة عامها الاول بنجاح ، تصدرها مؤسسة (همشهری) التابعة لبلدية طهران .

الكتاب في ايران :

ان دراسة الوضع الذي يعيشه الكتاب في اي دولة يعد مؤشراً هاماً على الحالة الصحية التي تمر بها الثقافة .

في الجمهورية الاسلامية الايرانية يطبع سنوياً بين ثمانية وعشرة آلاف عنوان وبمقدار ٦٦ مليون نسخة ، وحوالي ٥٠٠ من هذه العنوانين الجديدة تختص بكتب الأطفال .

اما عدد المكتبات العامة في ارجاء البلاد فيصل الى ٥٨٣ مكتبة تابعة لوزارة الارشاد حيث تم تزويدها بـ ٧٠ مليون وسبعمائة الف كتاب جديد خلال هذا العام ومن المؤمل ان يصل عدد المكتبات خلال السنوات الخمسة المقبلة الى ١٤٣٠ مكتبة لتشمل كل المناطق النائية والمحرومة ،اما عدد رواد المكتبات فقد بلغ ١٣ مليون شخص خلال العام الحالي .

□ بانوراما الصحافة الادبية □

وتحتفل ايران كل عام باسبوع الكتاب الذي يقام في شهر كانون الاول حيث يجري اقامة ٣٠ معرضًا واسعًا في المدن الكبرى وداخل الجامعات لبيع الكتب بأسعار مخفضة .

وقد تم مؤخرًا قبول عضوية ايران في بنك الكتاب المعلوماتي الدولي تحت رقم ٩٦٤ وهذا الانجاز بفتح ابواب امام حضور الكتاب الايرانيين على الصعيد الدولي ، كما يجري تسجيل جميع عنوانين الكتب الجديدة الصادرة في ايران على النطاق العالمي .

ولا يفوتنا ان نذكر بأن عند الكتب المطبوعة لا يشمل القرآن الكريم حيث يطبع سنويًا ٣٠٠ ألف نسخة بخطوط وزخارف متعددة .

اما البرامج التلفزيونية فقد بلغ مجموع انتاجها خلال ٤ سنوات ١٨ ألف ساعة ومجموع البث التلفزيوني ٣٣ ألف ساعة والانتاج الاذاعي ١٢٥ ألف ساعة ومجموع بث البرامج الاذاعية المحلية والدولية (١٧ لغة أجنبية) بلغ ٢٣٥ ألف ساعة .

والبرامج التلفزيونية تغطي ٨٨٪ من السكان والاذاعية يسمعها ٩٧٪ من سكان الجمهورية الاسلامية الإيرانية .

وتنتج السينما الإيرانية ٥٥ الى ٦٥ فيلماً سينمائياً خلال العام ينال الكثير منها جوائز في المهرجانات العالمية، حيث حصد الفيلم الإيراني (ماء ، تراب ، هواء) للمخرج مسعود كيمائي على الجائزة البرونزية في مهرجان دمشق السينمائي السابع ونال المخرج حسين حقيقى الجائزة الفضية في مهرجان دمشق الثامن عن فيلمه (سمفونية الصحراء) ، كما حصل فيلم (الصديق) على الجائزة الفضية للأفلام القصيرة .

* * *

جَلَالُ الدِّينِ الرُّومِيُّ

الدُّكْتُور عَلَى حَسَنَ

هو العارف الرباني الكبير محمد بن جلال الدين البلخي الملقب بـ «مولانا» أو «مولوي» ، وربما يعد أعظم شعراء الفارسية من كتبوا عن العرقان ، وواحد من كبار مفكري الاسلام حتى وقتنا الحاضر ، ومن أعظم الرواقد المبدعة في تاريخ الإنسانية الفنى والفكري على الأطلاق.

ولد جلال الدين الرومي في مدينة «بلغ» التاريخية العريقة شمال شرق افغانستان الحالية ، الى جوار مدينة «مزار شريف» ، الواقعة في السهول الخصبة المروية من أحد روافد نهر جيحون . وتاريخ ولادته الحقيقي مختلف فيه ، الا انه يقع على الارجح في السنوات القليلة الاولى من القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي .

كان والده «محمد بن الحسين الخطيب» المدعو «بهاء الدين ولد» مرجعاً معتبراً في امور الفتوى الاسلامية في بلده ، ومدرساً معروفاً ، وواعظاً ، احتشد الناس حوله لتلقى دروسه وسماع موعظاته . وعلى راسهم خوارزم شاه والعالم المفسر الكبير «فخر الدين الرازي» .

□ جلال الدين الرومي □

وعندما تمكن بعض الشيوخ من زرع بدور الكراهية بين والد جلال الدين وحاكم البلد ، قرر « بهاء الدين » الهجرة . إلا أن العامل الأهم في حدوث الهجرة الجماهيرية الواسعة من تلك البلاد ، كان خطر اقتراب السيل المفولي الجارف الزاحف من الشرق ، وهو يحرق المدن ويذمر القرى ، ويقضي على كل مظاهر الحياة والعاش .

وفعلاً ، بدأت أسرة « جلال الدين » الطفل الصغير ، رحلة طويلة باتجاه الغرب وتوقفت أثناء طريقها في بعض المحطات من حواضر العالم الإسلامي ، مثل « نيسابور » حيث اللقاء بين الطفل جلال الدين ووالده ، والشاعر العرفاني الكبير « فريد الدين العطار » . ومن ثم تنبأ العطار بالمستقبل الروحي العظيم لهذا الطفل . وبعد توقف في بغداد والكونية ومكة المكرمة والمدينة المنورة والقدس ودمشق ، استقرت الأسرة في قونية عاصمة دولة السلجوقية الروم في ذلك الحين .

كان عمر « مولانا » ٢١ سنة (!) ، عندما وطأت قدماه أرض « قونية » ثم بعد سنتين توفي والده ، فأحس بالغرابة واكتنفه الحزن وخيبة الامل ، لكن شخصية كانت قد قدمت للتو من بلخ ملأ هذا التراغ وسللت عن نفس « مولانا » ، وكانت تلك شخصية صديقاً قديماً لوالده ، العالم « برهان الدين المحقق » !الترمذى ، وأحد مربييه في مدينة بلخ . فتتلمس « جلال الدين » على يديه لبعض سنين ، ثم سافر بناء على نصيحته إلى « حلب » و« دمشق » وقام سنوات في دمشق ، وقد يكون التقى بالعالم والصوفي الاندلسي الكبير « ابن عربي » هناك وهو الأرجح .

وما أن غادر « برهان الدين المحقق » هذه الحياة العاجلة ، حتى كان قد جعل من « مولانا » عملاقاً لا يضاهى في العلوم العقلية والتجريبية ، لكن يد القدر اختارت « جلال الدين » لمجال آخر غير هذا الطريق ،

فبزغت شمس ساطعة في أفقه ، وكانت تلك الشمس ، الصوفي المعمور ، والدرويش الجوال « محمد بن علي بن ملك داد » المدعو « شمس الدين التبريري » .

ففي يوم ٢٥ تشرين الأول من عام ١٢٤٤ م الموافق لشهر جمادي الآخره من عام ٦٤٢ هـ ، بينما كان « مولانا » عائداً من المدرسة التي يدرس بها إلى داره ، ويحفّ به موكب من التلامذة والعلماء وجمع غفير من الناس ، تقدم هذا الدرويش التفريّب إلىراكب المحتفل به ومسك زمام بقله موقعاً إياه في قارعة الطريق ، وطرح عليه السؤال التالي : ما المقصود من الرياضيات والعلوم ؟ فقال جلال الدين : الإطلاع على آداب الشرع . قال « شمس » في هدوء وثقة : لا ، بل الوصول إلى المعلوم ، وانشد بيتاً للشاعر الصوفي الحكيم سنائي القزويني يقول :

« إن العلم إذا لم يجردك عن نفسك فالجمل خير منه » (٢)

بعد هذا اللقاء العارض ، بدأت المناقشات الفلسفية في دار « مولانا » بينه وبين « شمس » وسرعان ما أصبحا في تلازم دائم ، وانسحب « مولانا » من غمار المجتمع ومشكلاته ، وأغلق باب بيته بمفتاح الحب الإلهي ، ونأى عن الأصدقاء وتفرّغ لهذه الشخصية الفامضة التي اتسمت بالحماس الروحي العظيم ، فرأى فيها نور السعادة الأبدية ، واعتقد بها الكمال ، قال مرة بعد فراق شمس :

« إن الشمس التبريري ، هو الذي أراني طريق الحقيقة ، وهو الذي أدين له في إيماني ويقيني » وقال مرة أخرى هذا البيت الفارسي :

مولوى هركر نشد مولاي روم . . . تاغلام شمس تبريز نشد
هي : لم يصبح فقط مولانا مولى للروم ، إلى أن أصبح خادماً
لشمس تبريز .

وما هي إلا أشهر قليلة وينقدر شمس؟ من جراء حسد الأعداء وكثرة المقال والمقال، فتدهرت معنويات «مولانا»، لكنه عاد من دمشق بالحاج ورجاء من الوفد إلى أن أرسله مولانا إلى هناك. وبذات رحلة العودة إلى «قونية» شمس يركب حصان «سلطان ولد» ابن جلال الدين، الذي رافقه مشياً على الأقدام طيلة الطريق، وبقية الركب راكبون.

وفي ١٨ آيار من عام ١٢٤٧ م، كان مولانا يستقبل شمساً عند أطراف قونية، وبذات معه المناوشات من جديد، وقطع علاقاته مع من ضلعوا في مؤامرة إبعاد شمس، لكن بإعادة نهائياً لشمس لم يلبث أن تتحقق من جراء مكيدة، وقتل عام ١٢٤٧ م، في ٥ كانون أول الموافق لعام ٦٤٥ هـ، فارتدى مولانا جبة رمادية اللون ولف نفسه بعباءة سوداء، وكرّس حياته للسماع والرقص الصوفي واستفرق في الوجود.

لقد ذهب «مولانا» إلى دمشق، عليه يجد شمساً هناك، لكنه لم يوجده، بل وجده في نفسه، وحاول إعادة اكتشافه في قلبه، وصار يدور في مدرسته وهو هيeman، ويثن مرسلًا زفراً الحرارة ويقول الشعر الرقيق، وقال مرة:

إيها الباحث عنه، إن تراه أو تراني، فكلا الأمرين سواء
فأنا يا إيهـا الباحث هو

وقال مرة هائفاً من أعماق قلبه، عندما كثرت الأقوال التي تشير إلى مكان وجوده:

قدمت عباءتي وعمامتي من أجل كذبة
لكن روحي أقدمها من أجل الحقيقة (٣)

وكتب ابنه عنه أنه وجده شمساً في أعماق قلبه، في ذاته يشع كالقمر.

وتواترت الأيام ، وبمرورها خفت وطأة الآسى عن قلب « مولانا » ، إلا أنه لم يترك وحيداً هذه المرة أيضاً ، فبزغت شمس جديدة في أفقه ، وكانت تلك الشمس هي الشخصية التي تجنت كأنها كنز روحي عظيم لجلال الدين في دكان ذلك الصائغ « صلاح الدين زرقوب » . لكن الكنز الذي تجلى لهذا الصائغ في وجه مولانا ، كان أعظم من الذهب الذي في متجره ؛ فترك كل شيء وتجرد لمولانا لكن الحزن لم يلبث أن استولى على قلب جلال الدين بعد وفاة هذا الصائغ ، وفاض الحزن الماء وبكاءً وغزلاً رقيقاً .

ولم تترك يد القدر « جلال الدين » هذه آنفة وحيداً ، بل هيأت له بزوغ شمس جديدة ، شخصية « حسام الدين » بن محمد توركالي ، فتوّلّ به كثيراً ، وكان له عوناً في إظهار انتاجه الضخم « المثنوي » إلى حيز الوجود .

كان الشمس التبريزي هو الذي وضع « مولانا » في أعلى قمم الحب الإلهي ، وكان صلاح الدين من طور هذا الحب وحمله إلى النضج ، أما حسام الدين فهو الذي ركز جوهر هذا الحب في ستة مجلدات ضخمة ، فلعب دوراً هاماً في انتاجه الشعري العظيم « المثنوي » ذلك الاصهام الضخم في مجال الأدب والعرفان .

لم يكن اختيار « جلال الدين » لهؤلاء الرجال ليتم إلا للمجازة بين الخواطر والأرواح . وهو الذي قال مرة :

إن الحب الذي يقوم على المجاجسة ، لا يعقبه ندامة في الدنيا ولا في الآخرة ، فهذه المجاجسة ، هي التي أوجدت الإيمان عند الصحابة ، وجذبت النفوس إلى الرسول الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وإليها يرجع الفضل في إيمان كثير من السابقين الأولين .

كان «البريري» «الحقيقة الفعالة في التحول الروحي عند «جلال الدين» ، وكان كالشراة التي أضاءت مصباحه كما يذكر «كولبناري». لقد كانت زجاجة المصباح صقيقة ونظيفة ، وزينته يضيء ولو لم تمسسه نار ، ذبالتها جديدة ، ولا ينقصه سوى الإشعاع ، وهذا ما تم بالفعل ، وأشعله شمس الدين .

هذه الحرارة التي بعثها ذلك الدرويش الغريب في روح مولانا ، ارتفت به بسرعة البرق إلى القم العالية ، وهي كانت ضرورية ، بعد ما قام «برهان الدين» بوضع النقاط على الحروف ، فهياً لمجده «شمس» فأرسى الأساس ، وصنف أذكيت ، ومقل الزجاجة ، وجاء «شمس» فأشعل الشراة . وبعدها توهج المصباح ، انبعاث شمس من نوره ، وطاف حوله حتى احرق نفسه .

إن ظاهرة الانسجام القوي بين الرومي والبريري مثلت أعمق الروابط بين تلميذ وأستاذ . مرید مثقف لكنه رأى الإنسان الكامل في شخص أستاذ البسيط ، فانتقل فجأة من التدريس إلى الشعر ، وتوقفت قريحته ، حيث نظم بعد وفاة أستاذة ديواناً فارسياً ضخماً هو ديوان شمس تبريز .

كان «جلال الدين» إنساناً دافع عن كرامته الإنسان ، ومع أن الإنسان أفضل من الملائكة ، إلا أنه حسب رأيه ، رئيس ملوك رُكتب على ذنب حمار ، هو المركز في عملية الخلق وبين الخلق ، خلق من رشفة الخمرة الإلهية الأولى التي سقطت على التراب ، في حين خلق جبريل من الرشفة التي هبطت في السموات (٤) . الإنسان هو الخليفة في الأرض ، والمخلوق الأكثر أهمية في الكون ، اكتسب هذه الرتبة من قبوله حمل الأمانة ، فتفجرت أمامه آلاف المعارف من كل علم وفن ، تلك المعارف التي هي أوسع من العلوم الظاهرة ، وأعمق من البحروف المكتوبة ،

وعندما هبط الإنسان على هذه الأرض نسي الميثاق القديم بابتعاده عن الوطن الأصلي ، ولا وسيلة للالهتداء إلى ذلك الوطن من جديد سوى بالبكاء المستمر (٥) . والانسان في هذا السجن الأرضي ، سجن العناصر المادية شرارة تختفي في الحنبيل ، والمادة تحجبه عن إدراك الحقيقة . يقول :

إنك سليل البط ، مع أن طائراً أليفاً ، أظلك بجناحيه ورباك
لقد كانت أمك من بط البحار ، وأما مربيك ، فكان ترابياً يعشق
الجفاف .

فذلك الميل للبحار الكامن في قلبك ، ليس سوى طبيعة . بروحك
قبستها من أمك .

واما ميلك للجفاف ، فهو من مربيك ، فندعك من هذا المربي ، فإنه
سيء الرأي (٦) .

وهكذا كانت دعوة جلال الدين لتحرير ارادة الإنسان ، وتخليصه
من الجبرية ، دعوة له للرجوع إلى أصله حتى لا تحجبه المادة عن ادراك
الحقيقة .

كان « مولانا » عارقاً ، القلب عنده مرئ المعرفة ومحل الإيمان
والتنوير ، لهذا عليه الخلاص من تأثير العقلالجزئي وحجاب الهوى
والشهوة ، الا أنه ركز على أهمية العقل الذي دعاه بالكلي ، وفرق بينه
 وبين الجزئي الفقير إلى الحواس . كما أورد أنواعاً مختلفة للعقل مثل
العقل الإيماني والمكتسب ، وصور فكرة الالهام والوحى والكشف، وعدها
الوسيلة الوحيدة للمعرفة اليقينية .

ولم يكن العارف الرومي متنسقاً ، بل داعياً للعمل والكسب ، قدّم
رسالته للجنس البشري بأكمله ، وأشار إلى الحب باعتباره المرشد
الاعظم للطريق الروحي الصوفي ، فالحب هو طريق النبي ص ولا حياة
بلا حب ، وإن تحب يعني أن تحيا . لقد ذاب شخصياً كما يذوب السكر

□ جلال الدين الرومي □

في الماء ماء محيط الوجود الالهي ، وعد نفسيه روحًا تحرق حتى الجمر
في أتون نشوة ذلك الحب الالهي ، واحتفر ذلك الهيام الروحي ثلما
عميقا في قلبه .

كان الحب ، المحور الاساسي في عرفانه ، وهو الحب الذي يتوجه
لذات الله فقط واليه وحده . يقول :

« ان كل ما في العالم من مال وبنين ولباس ، مطلوب لغيره لا لذاته
... لكن المطلوب لذاته لا لغيره ، هو الحق جل جلاله ... وعندهما تصل
إليه ، تصل لكل مانطلب ، ولو تمضي من هناك ثانية . »

ونظر جلال الدين الى الوجود نظرة المارفين ، فما هذا العالم الا
حلم ، اكدا ذلك الحديث النبوى الشريف « الناس نيا ماتوا انتبهوا ».
ويقول :

الدنيا لاشيء ، ونحن لاشيء
خيال ونوم ونحن حيارى

والحياة عنده مثل التجوال في الحلم ، أما الوجود المطلق ، فهو
يتخذ مظهر العدم الفاني عندما يتجلى بهذه الظلالة الزائلة . والخلق أبدعه
الله سبحانه من العدم ، والعدم كالخزانة دعا الله الخلق ليخرجوا منها ،
كل حسب زمانه ومكانه المقدر له بداعي الحب منه من الله وفضلاً(٧) .

وادخل « جلال الدين » السماع كوسيلة لاستدعاء الحضور الالهي
في حلقات الرقص الصوفي ، او بكلمة ادق ، احساس الانسان بعدوته
الشعورية الى اصله ، تلك العودة التي تبدو واضحة في افتتاحية المنشاوي
او انشودة الناي ، وبالسماع تذكر الانسان يوم الميشاق . وحالته
السماوية السابقة . ويرى ان السماع هو الترياق لكل علة ، وينصح
الراحة للخلق والسكينة للروح باستعمالها الى تجربة نوع من الحرية ،
واطلاقها من سجن الماء والطين ، واستمعوا اليه وهو يقول :

استمع للناري وهو يقص حكايته
 إنه يشكو آلام الفراق
 فإني منذ قطعت من منبت الغاب
 والناس رجالاً ونساءً ي يكون
 فإني أنشد صدراً مزقه الفراق
 حتى أشرح له الم الاشتياق
 فكل إنسان أقام بعيداً عن أصله
 يظل يبحث عن زمان وصله^(٨)

والأخذ السماع فيما بعد ، ركنا في الجانب الموسيقي من الشعائر المولوية ، ومن هنا نجد ان اعظم الملحنين الاتراك فيما بعد ، كتبوا مقطوعاتهم الموسيقية وهم يتأثرون بالسماع والرقص المولوي . ذلك الرقص المعبر رمزاً عن حركة الوجود وتلقي الالهامات الالهية وبثها بين الناس . فكل حركة في الكون هي رقص، وتمثل حركة الرقص الدورانية المحورية حركة الحياة . وعندما يبذل الصوفي وهو في حالة الرقص نفسه ، فإنه يكون مندمجاً في الحياة الالهية ، مصدر كل حركة في الوجود^(٩) .

ويستند التطور الفكري عنده على ثلاث عناصر في علم الجمال ، هي العشق والموسيقى والسماع . ويعتمد اعتماداً كبيراً على الموسيقى في مناجاته الواردة في ديوان شمس تبريز ، فكانت طبيعته شبّهة بطبعية الشعراء أمثال « هومر » و « رودكي » وغيرهما ، ممن تميزت أشعارهم بالموسيقى ، فنهضت من قالب الشعر الذي ينطلق به اللسان ويقول ابنه « سلطان ولد » ان الرباب تنسب لمولانا ، وأنه قلبه قد ارتبط بها^(١٠) .

ونقد « جلال الدين » الفلسفة وعلم الكلام وتصدى للبدع ، وفند آراء المعتزلة والمشبهة ، ورد على مبطلي التكاليف وذم الجبرية ونبذ التواكل وحث على العمل ودعا للجهاد ، ووجه سهام نقهه للمتكبرين

□ جلال الدين الرومي □

والمفرورين والمقلدين . وقف من الجبر والاختيار في مركز الوسط أو مال قليلاً إلى الاختيار . ونقد العلماء المزيفين وقال أن علومهم محدودة رغم تبحرهم ، وأورد قصصاً عديدة لاتيات رأيه مثل قصة النحوي والملاح . كذلك حذر من اتباع المشعوذين والمجانين من أدعية الكرامات ، وبين حال الصوفي الحقيقي الذي كثيراً ما يغيب عن شهوده معظم الناس ، وأن أولئك الفقراء من الصوفية ذوي النطف والأنفاس الطيبة هم الذين نزلت بهم أمثالهم سورة « عبس » . كما وقف ضد الملحدين وأصحاب الفلسفات القديمة من دهريين وسوفسطائيين موقف المعارض القوي . كذلك أصحاب الفوضوية الشعبية الذين دعا إلى عدم اتباعهم .

اعتقد « مولانا » بضرورة التخلص من المتع الدنيوي الزائل ، والجشع والشهرة والشهوات والشرور والنفاق ، فالكيس الغطى بأمكانه بلوغ حقيقة الحق والجمال ، والعنور على سلام العقل الحقيقي ، وبلوغ هذا السلام العقلي » يقتضي ضمناً عنه ، ارساء قواعد من الحب الالهي باعتباره أقصى الغايات الروحية لدى الانسان ، عن طريق المرشد الروحي ، فينضج المريد ألغطن ويتفتح كما تتفتح الزهرة من بين أكمامها . كما رأى ضرورة التخلص عن مهلكات النفس من شح وبخل وحقد وحسد ، ودعا إلى الصفات الكريمة المقابلة .

ومرت الأيام مسرعة . ولم تثبت أن غابت هذه الشمس العرفانية عندما توارت الشمس في يوم من أيام شتاء عام ٦٧٢ هـ الموافق ١٢٧٣ م خلف جبال تا قالى غربي قونية . وبغروبها ، غادر ذلك النور العرفاني هذه العاجلة ليشرق من جديد في حياة الابد الآخرية . وكانت ليلة وفاته كما كان ينتظراها ويصفها بأنها ليلة زفافه ليلة الاتحاد ، عندما حقق كيانه المادي الاتحاد مع الكيان الكوني واندمج في الحياة السرمدية . فكان موته إعادة لميلاده الروحي الذي طالما انتظره وطلبه طيلة حياته . وبينما كان في حالة النزع الأخير وابنه « سلطان ولد » يقف إلى جانبه قال :

إذهب وارح نفسك واتركني وحيدا
 اترك هذا انقى يحترق
 البائس الطائف طيلة الليل حتى الصباح
 نحن نجاهد كي نسبح فوق امواج السعادة (١١)

كما قال أيضاً :

إن كنت مؤمناً حبوا
 طاب الموت ، وكان الموت مؤمناً
 وإن كنت كافراً أو مراً
 كان موتاً كافراً ومراً

وقال :

لاتبحث عن قبرنا في التراب
 إن قبرنا في قلوب العلماء

هذه الشخصية العظيمة ، جلال الدين الرومي ، هي نتاج الفكر
 الاسلامي والحضارة الاسلامية ، فكانت منبر هداية وشعلة ايمان في
 ذلك المهد المبتلى بالمصائب والذي خيم الظلم فوقه ، كان من اعظم
 مشاهير رجال الفكر والادب ، ليس في العالم الاسلامي فقط ، بل حتى
 في بلاد الغرب . ان اشعاره فاضت معبرة عن قيمة الوجود الانساني ،
 وأهمية الحرية الشخصية وحرية التعبير كما يبدو واضحاً في اعماله .
 لقد رأى الانسان خيراً حقيقياً وعد كافة ابناء البشر جديرين بالحب
 والتسامح والاحترام ، اذ الحب الالهي كاف لابطال معظم الشرور ومنه
 ذيوع شهرته العالمية ، لاعتبار رسالته عالمية ولجميع البشر ، وهو الذي
 يقول :

عد إلى ، عد إلى مهما تكن ،
 تعال ، سواء كنت وثنياً أم زرادشتياً غير مسلم
 فمنزلنا ليس منزل اليأس
 تعال ولو حنثت بتوبتك ألف مرة

كما ورد عنه قوله :
إني مزيع أثني وسبعين ملة
الاثنتان والسبعين يسمعون حقائقهم مني .

قال « سبه سالار » المعاصر له والمقرب منه : لا أعلم أنني شاهدته في لباس النوم ، وما وجدته ينام على فراش ، او يستند على وسادة ، وربما غلب عليه النوم وهو جالس .

كما ذكر عنه في موضع آخر فقال : لقد شاهدته بعيني رأسي مرارا ، يبدأ الصلاة بعد العشاء ، فلا يتم ركعتين الا وقد أطلت اشراقة الفجر . ولربما حدث في برد الشتاء القارس ان ابتلت لحيته من كثرة بكائه ، وصارت دموعه جليدا على وجهه (١٢) .

وبوفاته حل العيد الذي كان ينتظره ، عيد انفصال نفسه عن جسده . وقد كتب عند مدخل مقبرته الكلمات التالية :

هذا القير ، هذه المحطة ، هي مقصد الدراويش القاصدين كعبته ، ان من يدخل الفقر يترك الكل .

رحم الله مولانا وادخله فسيح جنانه .

والاعمال التي خلفها لنا بعضها نثري ومعظمها شعرى . والنشر يتتألف من :

المجالس السبعة : وهي مواعظ وخطب ، كتبها في فترة حياته الاولى ، غنية بالقصص ، بعضها شعرى ومعظمها نثري .

الرسائل او المكتوبات : وكتبها الى اصدقائه ، وتتألف من ١٤٧ رسالة ، وجه بعضها الى المسؤولين ، وتعد مصادر تاريخية .

فيه ماقيله : وهو يشتمل احاديثه ومواعظه التي كان يلقاها على تلامذته ، وهي نثر فارسي كسابقيتها (١٤) .

اما الجانب الهام من اعماله فهو كتابيه التاليين :

ديوان شمس تبريز :

وهو سهل غزير من العشق يتذوق وقد غمره زيف كثيف ، انشده مولانا في حالة من الهيام لفرقان « شمس » موضوعه الحب الابدي في نشوة متجسدة ، وقد هام فيه هماما لا يعرف الحدود ، يحتوي على غزلات صوفية فارسية في معظمها ، اضافة الى ملحمات عربية وتركية ويونانية، وقصائد وترجيعات، ويزيد مجموعه عن أربعين ألف بيت من الشعر(١٥)، ورباعيات عدده أبياتها ٣٣١٨ حسب احصاء « فروز انفر » .

الثنوى :

وهو ست مجلدات باللغة الفارسية ، يبحث موضوعات التصور الاسلامي عن الله والانسان والكون والحياة . سماه الايرانيون « قرآن بهلوى» أي قرآن الفارسية لعظمة موضوعاته . وعدد أبياته حوالي ٢٥ الف بيت فيه أكثر من ٢٥٠ قصة ، كثير منها على لسان الحيوان، استخدمها لتوضيح آرائه ، ويحتوي على تفسير لبعض الآيات القرآنية الكريمة ، والاحاديث النبوية الشريفة، والملاحظ عليه عدم التسلسل في موضوعاته امتاز من الناحية الفنية بروعة الصور انبينانية التي عبر بها عن أفكاره، والمقدرة الفائقة في الحوار والموسيقى والحكم والامثال . كما ملاحظ اسلوب التهمم المستخدم أحيانا لتحقيق أهداف تربوية وفنية(١٦) .

أثر « جلال الدين » على العديد من الشعراء ورجال الفكر والدعوة في العالم الاسلامي وخارجيه . وكان مصدر الهمام لأجيال المستقبل . ولا تزال طريقة المولوية ، تستهوي أفتدة الكثير من الناس . ونجد تأثيره الواضح على العديد من الكتاب في الماضي وفي الحاضر ونذكر منهم « سبه سالار » و « صدر الدين القوني » من معاصريه ، ثم نجد في معظم البلدان أناساً ممن تأثروا به .

ففي بلاد الاناضول نذكر : يونس امره ، اسماعيل حقي بورسالي ، ناحفي ، من الشعراء ، وأخيرا عبد الباقي كولبناري ، ومن ايران نذكر: الشعراء العرفانيون : سعدي الشيرازي ، عبد الرحمن جسامي ، نظام الدين محمد دايه . وكذلك من المفكرين : خواجه محمد بن برس ، حسين واعظ الكاشفي ، هادي السبزواري ، ثم فروز انفر . أما في شبه القارة

الهندية الباكستانية فهناك : أبو علي القلندرى ، نظام الدين أولياء ، جراغي الدهلوى ، قاضي أكرم حسين (١٧) . وأخيراً الشاعر والمفكر المسلم محمد اقبال ، الذي يعد أعظم من تأثر به ، وكن له الاحترام العظيم ، وقد قال :

قد آذنت في الحرم كالرومى وتعلمت منه أسرار النفس
هو كان في عصر الفتنة القديمة و كنت في عصر فتنة النفوس
وصهر الرومى اقبال ، ونم يسوق له أثراً أو كياناً ، قال اقبال :
صيّر الرومى طيني جوهراً سُنْ غباري شاد كونا آخرًا
كذلك يبدو أثره الواضح عليه في منظومة اقبال عن المرشد الرومي
والمرشد الهندي .

وفي بلاد العرب ، كانت تأثيراته قليلة لاختلاف اللغة ، الا ان الصوفي المصري الشهير عبد الوهاب الشعراي ذكره في طبقاته باسم « جلال الدين البلخي » ، كما عرف في اوساط ابناء الطريقة المولوية من العرب ، وشرح يوسف بن احمد المولوي المشتوى باللغة العربية ، وأخيراً عبد السلام كفافي .

اما في بلاد الغرب ، فقد عرفت أوروبا « جلال الدين » منذ اكثر من قرنين ، عرفه بعض سفرائها لدى الدولة العثمانية ، ومنهم المفكرين والمستشرقين ننتقي منهم أسماء كل من « فون هامر بورغشتال » الفرنسي ، و « فردرريك روكرت » الالماني (١٨) ، والشاعر فولفجانج غوته الشهير ، وكثير من المستشرقين نذكر منهم وعلى رأسهم « نيكولسون » الانكليزي و « آربري » وأخيراً المستشرقة الالمانية المعاصرة « آنا ماري شيميل » .

وأخيراً ، فهذا هو جلال الدين الرومي ، يحتاج التعريف به والتعرف على فكره لمجلدات من الكتب وما هذه الصفحات القليلة سوى لمحات بسيطة لفت انتظار القارئ العربي ، الى هذا الكنز الثمين ، واستشارة لهم الباحثين كي يدرسوا أفكاره لأن فيها الخير الكثير .

المراجع

- ١ - انظر Mevlana and Konya P : 26 Mehmet Önder
- ٢ - رجال الفكر والدعوة في الاسلام : تاليف أبي الحسن التدوي .
Mevlana and Konya P : 31
- ٣ - انظر ديوان شمس تبريز رقم ٢٧٨ .
- ٤ - مشنوي جلال الدين ، المجلدات ٤، ٣، ١ .
- ٥ - المصدق السابق . مجلد (٢) ص ٣٧٤ ترجمة عبد السلام كفافي .
- ٦ - Anna Marie Schemiel The Triumphal Sun P : 332 - ٧
- ٧ - مشنوي جلال الدين . مجلد (١) ص ٧٣ .
- ٨ - Mevlana and Mevlana Museum - ٩
- ٩ - مولانا جلال الدين . عبد الباقى كولينارلى ، بالفارسية .
Mevlana and Mevlana Museum P : 21 - ١١
- ١٠ - Mevlun . Fayzi Halici - ١٢
- ١١ - الاعلام الخمسة في الشعر الاسلامي . محمد حسن الاعظمي - الصاوي علي شعلان .
Mevlana and Konya P : 36 - ١٤
- ١٢ - المصدق السابق .
- ١٣ - مشنوي جلال الدين . مجلد (١) ص ١٥ وما بعدها .
The Triumphal Sun. - ١٧
- ١٤ - المصدق السابق .

سعدی الشیرازی

الیاس سعد غالی

أنبياء الادب الفارسي ثلاثة في نظر بعض المؤرخين ، وهم الفردوسي مؤلف اول ملحمة في فارس « الشاهنامة » ، والانوری ، الذي هو دون جلال الدين الرومي والمعطار وحافظ الشیرازی حسب قول بدیع جمیع ، والثالث سعدی الشیرازی ، واسمہ الكامل : شرف الدین (او مشرف الدین) - الكستان ترجمة محمد الفراتی صفحة ٣١١) بن مصلح الدین بن عبد الله السعدي الشیرازی . ولد في شیراز وتضاربت الآراء حول تاريخ ولادته وأقربه ٥٨٠ هـ = ١١٨٤ مـ وأبعده ٦٠٦ هـ = ١٢٠٩ مـ وهذا التاريخ الاخير غير مقبول لأن سعدی نفسه ذكر انه كان سنة ١٢١٠ مـ في كشف ، وحول تاريخ وفاته أيضاً وأقربه ٦٩٠ هـ = ١٢٩٠ مـ وأبعده ٦٩٤ هـ = ١٣٩٤ مـ ، وقد ناهز أو جاوز المائة .

كان والده عبد الله يعمل في بلاط أمير فارس أتابک سعد بن زنکی ، فسمى ابنه « سعدی » تيمناً باسم مولاد أتابک سعد . ومات الوالد سعدی في سن المراهقة :

أراني بیوس الیتمسی خبراً ! بی مات عنی طفلاً صغيراً^(١)

□ سعدى الشيرازى □

فتولى اتابك الاشراف عليه وتنشئته وأرسله الى بغداد عاصمة العباسيين المزدهرة بالعلم وأن كانت قد أخذت تتقهقر سياسياً ، ليتعلم في المدرسة النظامية في الشرق التي أنشئت ببغداد أيام الوزير نظام الملك وأصبحت أعظم مؤسسة تعليمية .

وأقام سعدى في بغداد عشر سنين وتلهمذ لأبي المحاسن ابن العلامة ابو الفرج بن الجوزي وشهاب الدين السهروردي أشهر الصوفيين في زمانه (١٢٠) . وقد كلف وهو مازال صغيراً نسبياً باعادة دروس في الحديث .

قام سعدى بعدة رحلات، عدا رحلته الى بغداد، فكان سنة ١٢١م في كشغر بآسيا الوسطى ، وقد سبقه اليها صيته الادبي ، وذهب الى اصفهان ليزور صديقاً له هناك في زمن بدء الفزو المفولي في الشرق والحروب التي نشببت في الغرب فيما بين الامراء المحليين . وذكر سعدى ان من الاسباب التي جعلته يهجر وطنه « ضفت الاراك والاضطراب والفووضى والقلق » ، فتنقل في آسيا من مكان الى آخر متخدلاً زي الدرويش ، وهو في بحبوحة من العيش أحياناً ، وأحياناً أخرى كان يسر حافي القدمين جائعاً وعطشاناً ويقاسي خشونة رجال القواقل الذين كانوا يوقظون المسافرين عند الفجر بضربيهم بالسياط . وجاء الى الشام وأقام فترة بدمشق لكنه غادرها لما ابتليت بالقطط والفلاء والجراد وجفاف عيون الماء والانهار فبكاهما اخر بكاء ورثاها ببلغ رباع (٢) :

على دمشق اتي قحط لشدته
قد أذهل الصب عن ذكرى الاحباء

ضنت على الارض بالغيث السماء فما
بلت صدى كرمة او حلق عجفاء
وما جرى فيض عين بالسقوح وقد
جادت عيون ايتامى عنه بالماء

□ سعدى الشيرازى □

فكم تثير الشجا آهات أرملة
اذا يشور دخان عند رعناء
وقد تعرت من الاوراق زاهية
أغصانها كسلیب وسط بيداء
اما الجراد فلم يترك بربوتها
ولا نفوطتها آثار خضراء

وهام سعدى في بادية القدس ووقع في أسر الفرنج ، وعمل في سور طرابلس . وقيض الله له ان يلتقي احد رؤساء حلب وكان بينهما سابق معرفة ، وكان ثريا فافتداه بعشر قطع ذهبية واصطحبه معه الى حلب واعطاه مئة قطعة ذهبية وزوجه ابنته .

لكن سعدى لم يسعد بهذا الزواج لأن زوجته كانت وقحة سيئة الطبع مجبولة على العناد مخلوقة العنان سليطة اللسان . قالت له مرة: ألسنت أنت ذاك الذي اشتراك أبي فأعتقك من قيد الفرنجة بعشرة دنانير؟ فقال : بلى ، هو الذي اشتراكي بذلك المقدار ولكنه أوقعني بأسر يديك بمئة دينار (كلستان ، ترجمة محمد الفراتي ، ص ١١٥) وما لبث سعدى ان تخلص من عبوديتها الامر من عبودية الاسر .

حج سعدى الى مكة ، وروى بعض مؤرخيه انه زارها ثلاث عشرة مرّة ، وتجلول في الجزيرة العربية كلها حتى وصل الى اليمن وتزوج هناك ورزق ولدا مات طفلا فرثاه ، ولم يعرف له من ذريته غيره ، وسافر الى الحبشة ومصر والمغرب وعرج على مدن آسيا الصغرى والتقى نحو عام ١٢٥٠ م في قونية (بتركيا) جلال الدين الرومي ومر في طريق عودته الى شيراز بأرمينيا وأذربيجان . والتقى سعدى في رحلاته عددا كبيرا من المفكرين وذوي الفضل وآنوارا في العالم الاسلامي ، واطلع على امور لم يكن في استطاعته ان يطلع عليها في شيراز فاكتسب خبرة كبيرة

□ سعدى الشيرازي □

واحکمت نهاد السنون . وأخبرنا انه « جاء كثیرا من الاقالیم وانفق الايام في صحبة كثیرین وجنى المنفعة في كل دکن وقطف السنابل من كل حصاد » : (١) :

طوقت في اقطار هذا العالم
وحيت أقصى خبرة في العالم
قد خالط العرب وعاشر العجم
حتى جئي ثمار عرفان الامم
تعلم العلوم في اسفاره
وعشرة الاخبار في تسیاره (٤)

وعاد سعدی الى موطن راسه شیراز فاستقبله ابو بکر ابن سیده الامیر سعد استقبلا حسنا وخصه بمقر هادی منعزل قریب من المدینة وسط بستان يرویه نهر رکبات الذي تغنى به شعراء شیراز ومنهم سعدی نفسه . فالتحق سعدی بخدمة هذا الامیر وحظي برعاية اکبر وزراء العاھل المفویل الاخوین علاء الدین وشمس الدین فوجد في ذلك المهد البسطة في الرزق والامان في الحياة والاستقرار والفراغ الكافی من الوقت لينصرف بكلیته الى التأمل والتفكير والتألیف وتنقیح ما كان الفهی في رحلاته .

روى احدا مورخی سعدی دولة شاه انه قضی ثلاثة عاما في التعليم ، وثلاثين سنة في رحلاته ، وثلاثين أخرى في التأمل والتألیف يروض نفسه بالمجاهدة والعبادة ووعظ الامراء والرعيۃ وبالشفاعة عند الحكم والاعیان الذين كانوا يوفرون له .

وعاش سعدی نقبة عمره في شیراز حيث توفي ودفن شرقی المدینة في زاوية جميلة محاطة بالأشجار والورد . يعتبر قبره مزارا ومن معالم السیاحة البارزة فيها .

□ سعدى الشسراوي □

لقد احسن تأديب سعدى اخلاقياً اذ ان اسرة أبيه كأسرة أمه من شيوخ الدين والعلم فنشأ مثلهم ، وتعلم دروسه الاولى على يد أبيه وأمثاله من شيوخ شيراز ، واكتسب فيما بعد ثقافة أدبية واسعة وممتازة . فالذكريات التي رواها في مؤلفاته دليل على ما أحاطه به أبوه من عناية ورعاية ، فمنها ومن حوادث حياته اليومية كان يستخلص العبر المفيدة . وبفضل تهذيبه وثقيفه أصبح أكبر أخلاقي في إيران . غير أن اهتماماته الجدية لم تحل دون تمتعه بالملذات المتوفرة في بغداد ، وهو بعيد عن كل سلطة عائلية ، وقد عرف ، كما قال ، أساليب الحب وآدابه :

كما قطفت كل انواع الشمر (٥) ولم تفتني متعة في مستقر

يمثل سعدى الشخصية الفارسية المترنة التي تعنى بالدين والدنيا في وقت واحد . فكان ينحو نحو الحكمة الدنيوية دون التصوفية او الدينية المتشددة ؛ حتى أن أستاذته المتشددين في الدين عابوا عليه ميله الشديد إلى الموسيقى لهذا الفن الديني .

لقد كان سعدى اخلاقياً متسامحاً بل عد شاعر الاخلاق الاول في إيران ، ويطلق عليه دائماً لقب شاعر الانسانية اذ كان يحس بأحساس الناس عامة ، ويتكلم عمما يعالج جميع الطبقات من وجدان وشعور ، قال شعراً هازلاً وما جنا وانتج شعراً صوفياً رائعاً ومتدلاً، وأكثر من الحديث عن المشايخ والدراوיש ولا سيما في كتابيه «البستان» و«الكلستان» اي انه أخذ من كل اتجاه بقدر ، فلم يجنب نحو التصوف الكامل والعزلة التامة مثل العطار والرومي . واعتبره الصوفي الكبير «جامى» من كبار المتصوفة وأولاه منزلة كبيرة واحتراماً زائداً . وهو ان مدح الامراء فمن أجل لقمة العيش والحياة المستقرة ، وان اهدى كتابه «الكلستان» الى الاتابك أبي بكر بن سعد فان ذلك كان اعترافاً منه بفضل من احسن

الى والى أسرته . لقد قال صراحة في مقدمة بستانه : « مع رغبتي عن مدح الملوك دونت هذا الكتاب باسم ملك خاص لعل الاتقيناء يقولون : سعدى الذي فاق غيره في البلاغة قد عاش في عهد أبي بكر بن سعده، وأنا فخور بعهده كما فخر النبي بمولده في عهد أنوشروان العادل »(١) .

ما عمل سعدى قط لإنقاذ روحه وحده بل عمل على إنقاذ أرواح الآخرين وما وجد غبطة للمرء أكبر من سعادته بسعاد الفير . وهو صاحب الكلمة التي اتخذتها عصبة الأمم شعارا لها بعد الحرب العالمية الاولى : « بنو آدم جسد واحد من عنصر واحد ، فإذا تالم عضوا أرقت له سائر الأعضاء ، ومن لا يؤلمه ألم غيره فليس جديرا بأن ينسب إلى آدم »(٢) .

ام يكن اسلام سعدى عقبة في طريقه الى هذه العقيدة الانسانية الحيوية الكونية بل كان عونا له لأن الاسلام دين رب العالمين الى الناس كافة ... ولم يقف عند حدود مذهب الشيعي الذي نشأ عليه في وطنه ايران .

سعدى صوفي عملي انساني . لباب الدين عنده العمل الصالح مع نية الخير ... فالاحسان ، في نظره أفضل من الصلاة والصوم مع الطمع والشح والعدوان . فالاحسان آية الصلاح الانساني وثمرته، وهو حق لكل الاحياء من الناس والحيوان ، وهو أوجب لمن هو أحوج اليه ولا سيما طالبوه ومنهم اليتامي والفقراء والعجزة والمدينون وابناء السبيل وعامة الجيران وهم أقرب . « كيف تطيب لك قبلات ولدك واليتيم بجانبك يبكي ولا من يحتضنه او يجفف دموعه؟! ان جنبات العرش لتهتز لبكائه ! وكيف تسعد بنعمتك وأصحاب الحاجات حولك يتلذّتون من الشقاء؟! ينبغي الا تقبض يد الاحسان عن احد لعصيانه الله او كفره به فالله يحتمل في ملکوته العصاة والكافار . وللحيوان حقه ، فلا يضره ولا

□ سعدى الشعائى □

يتخلّى عن نجده الا قاسٍ ظلوماً ... والاحسان أقوى داع الى تأليف
القلوب » بن هـ مستعبدها كما قال شاعر عربـي:
احسن الى الناس تستعبد قلوبهم
فطالما استعبد الانسان احسان

والفضيلة مطلب سعدى الاول . وهو يرى أن السعادة ليست في
الجاه او السلطة او المال ونحوه من متاع الدنيا بل في الفضيلة ، التي هي
عنه صلاح انساني كوني لا قومي ولا وطني ولا عرقي ولا معاشي .
فالانسان قائم في وطنه الذي هو العالم كلـه والـذي هو مظـهر كمال الله
وجمالـه وملـكـوـته ، هذا الوطن او المـملـكة الله صـاحـبـها وـهـوـ مدـبـرـها ، فـكـلـ
الـاشـيـاءـ منـ اللهـ وـالـهـ . والـانـسـانـ فـردـ فيـ رـعـيـتـهـ اوـلـاـ ثمـ هوـ فـردـ بـيـنـ
الـنـاسـ فـيـ اـمـةـ اوـ جـمـاعـةـ اوـ اـسـرـةـ ... لـهـ فـيـ كـلـ وـجـهـ مـنـ الـوجـوهـ حـقـوقـ
وـعـلـيـهـ وـاجـبـاتـ (١) .

اظهرت اخلاق سعدى التسامح كما اظهرت مواهب فكره سعة
النظر والاستقلال بالرأي ... فاحتضن كل المتصارعين بعطف الاخوة
الانسانية وأخوة الاحياء . ان سماحة سعدى تشمل كل شيء حتى
الشيطان ... وهو يرى ان للشيطان نصيبا في مائدة كرم الله .

وكانت نفس سعدى وافرة الحظ من ملكة الفكاهة وكانت النكتة
عنه عصا المربى الحكيم يتوكل عليها ... والمأثور من نكته يدل على
فطنته وانفته وبره وحلوه روحه مع عارفيه وجاهليه معا .

لقد تفوق سعدى في انشـرـ والـشـعـرـ الفـارـسيـ ، وـعـدـ نـشـرـ وـنـظمـهـ
احـسـنـ مـثـالـ فيـ السـلاـسـةـ وـالـبـلـاغـةـ ، وـقـدـ كـانـ أـصـحـابـ الـلـسـانـينـ الفـارـسيـ
وـالـعـرـبـيـ فـنـظـمـ أـشـعـارـاـ غـرـبـيـةـ جـمـيلـةـ جـدـاـ فيـ دـيـوـانـهـ وـفـيـ ثـنـايـاـ حـكـاـيـاتـ
الـكـلـسـتـانـ ، لـكـنـ أـدـبـاءـ الـعـرـبـيـةـ يـعـتـبـرـونـهاـ مـتـوـسـطـةـ اوـ دـوـنـ الـمـتوـسـطـةـ .

من مؤلفات سعدى كتابه «صاحب نامه» و «الملامعات=الشرارات» تتعاقب فيه أبيات فارسية وأخرى عربية ، وله «المقطعات والرباعيات والخيثيات » ، ورسائل نثرية وأخرى شعرية بالفارسية والعربية عرفت باسم «الديوان » ، وله أيضاً أربع مجموعات غزلية « الطيبات والبدائع والخواتيم والفالزيات القديمة وقد ذكر له ول دبورانت في قصة الحضارة قصيدة غزلية بعنوان عبودية الحب :

لقد قدر علي الا اضم حبيبتي الى صدري

والا انسى بعدى الطويل في قبلة اطبعها على شفتيها الملوتين
ساختلس منها ذلك الشراك الذي تقتنصل به ضحاياها في طول
البلاد وعرضها حتى استطيع ان أغريها بالمجيء الى جانبي .
ولكنني لن أجسر على ان امس شعرها بيف مسرفة في الجراة

فكم في هذا الشعر من قلوب المحبين حبيسة احتجاس الطيور
في الاقفاص .

انا عبد لهذا القد المياس الذي يبدو في نظري كأنما فصلت الرشاقة
تفصيلاً عليه كما يفصل الخياط الثوب .

ياشجرة السرو يا اطرافا من لجين ، ان لونك ورائحتك قد فاقا
رائحة الاس ونمرة الورد البري
احكمي بناظريك وضععي قدمك فوق كل حر وجميل
وامشي في الياسمين والازهار

ولا تعجبني اذا ايقظت في زمان الربيع من الحسد ما يجعل السحب
تبكي بينما الازهار الصغيرة تتبتسم ، وكل هذا ياحبيبتي من اجلك
واذا ما وطئت جسم ميت بقدميك الجميلتين الخفيفتين ، فلا عجب
اذا سمعت صوتا يخرج من طيات اكفانه .

لم يبق مكان للحيرة في بلدنا هذا ، ايام حكم مولانا المليك سوى
انني جنتت بحبك وجن الناس بفنائي في حبك (٢) .

٢- سعدى الشيرازى □

أن أهم مؤلفات سعدى «البستان»^(٨) ، وهو كتاب شعري رسم فيه سعدى المثل الاعلى لكل ما ينافسه وهو يشتمل على قصص شعرى غایة في الإبداع في عشرة أبواب . انتهى من تأليفه عام ٦٥٥ هـ = ١٢٥٧ م (يسار رقمي خمسة ضع ستة تجد بتاريخ الكتاب بهجة - ترجمة الفراتي ص ١٨) ، والثانى كتاب «الكلستان» وقد أنجزه عام ٦٥٦ هـ = ١٢٥٨ م .

روى سعدى لصاحبہ في كتابه الكلستان قوله لحكماء : كل شيء ليس له ثبات لا يليق بالقلب ان يتعلق به . فقال (لي صاحبی) : ما العمل اذن ؟ قلت ؟ لاجل نزهة الخواطر وارتياح الخواطر باستطاعتي ان أصنف كتاب (كلستان) الروضة الذي لا تستطيع عواصف الخريف ان تمد يدها الى اوراقه ولا تقدر زعزع الدهر بطيش الخريف ان تقدر صفو ربیعه وشیابه ... وقال :

الورد عمره قصير الامد وروضتي تزهو لآخری الابد !^(٩)
(ترجمة محمد الفراتي ص ١٩ و ٣٠٧)

لقد حاز سعدى بكتابيه البستان والكلستان مكانة كبيرة وشهرة واسعة ما فاز بمثلهما اديب او شاعر فارسي آخر حتى اليوم بفضل اسلوبه الصافي النسجم الذي يعبر بلغة رقيقة مذهلة ، تغلب فيها روح الفكاهة ، عن عاطفة انسان ذاق جميع ملذات الحياة وعانى من الفشل الشيء الكثير . من خلاله يمكن الحكم على مقدراته في مجال النثر والشعر بالإضافة الى اخلاقيته وانسانيته اذ لم يخل بباب من أبواب البستان العشرة وأبواب الكلستان الثمانية خاصة ولا حكاية من حكاياتهما من حكمة وعظة . فهو يتحنى في البستان عن عدل الملوك والاحسان واللح والتواضع والرضا والقناعة والتربية والعافية والتوبة والمناجاة . وكتابه روضة الورد يمثل اعتدال سعدى في الجمع بين الدين والدنيا ، وفيه

□ سعدى الشمرى □

يتحدث عن التصوف ، والتصوفين واحوال الشيوخ وعن ملذات الحياة البريئة وكيفية توفير السعادة في هذا العالم . وقد ضمن الباب الثامن اثنين وثمانين حكمة في سمو الاخلاق . . .

وفي نظره ان « العالم الذي لا يعمل كنحلة لاتعمل » ، وقال سعدى في المقدمة انه اراد ان يضع كتابا يتضمن اتفع المبادئ للسلوك في الحياة وهو ينشر فيه ازاهير ثقافته اللطيفة وقد أشبع فنه بفلسفة هادئة مما جعل له شهرة استثنائية وقد قسمه الى مقدمة وثمانية أبواب .

جاء في البستان(١) :

« خلقك الله طاهرا فعش طاهرا حتى لا تموت ملوثا بالذنوب .
لحظة تنفق في حكمة خير من عمر في حماقة
العبادة بجوهرها لا بشعائرها .
الاعمال بالنيات .

لاتظن ان تضرعاتنا ترتد خائبة امام باب الرحمة المفتوح أبدا(٦١)

وفي مايلي بعض أجمل مناجاة في كتابه « كلستان » :

الباب الاول في سيرة الملوك :

وما خلدت قارون يوما كنوزه
وذكر أنوشروان باق على الدهر
وطار أنوشروان بالخير صيته
وإن لم يكن يلقى له بیننا جسم
فشعبك صالحه ومن خصمك استرح
فكل مليك عادل جنده الشعب

□ سعدى الشيرازى □

الباب الثاني في أخلاق الدراوיש :

من عدّ عيّب الناس عندك فهو عن
إحصاء عيّب عندم لا يحجم
الزهد في ترك هوى النفوس
ولم يكن بالزهد في اللبوس
برء المساكين إما كنت ذا سعة
فجبن خاطرهم ينجى من العطب

الباب الثالث في الفضيلة والقناعة :

دعوتك يا كنز القناعة فاغتنني
أيا بلسما ما مثله لكليـم
دع عنك ذا الحرص في الدنيا تعش ملـكا
ولا تكن طامعا تصعد الى الرتب

الباب الرابع في فوائد السكوت :

خذ انت درسا من سكوت البهائم
مادمت لم تنطق فلست مطالبا
ومتى نطقت فالدليل تطالب

الباب الخامس في العشق والشباب :

متى بعين السخط أبصر مبصر
رأى يوسف الحسن في غاية القبح
وان ير في عين الرضى وجه قردة
رأى وجه ملك لاح في وضع الصبح
فاياك من ربط الفؤاد برغبة
فتعجز ان تطلب لعقدتها حلا

□ سعدى الشيرازي □

الباب السادس في الضعف والشيخوخة :

ما ذا الصبا والشيب غير لتي
وكفى بتفير الزمان نذيرا
انقض يديك من الشباب فقد مضى
ودع الظرافة للوليد العابث
اسفا على زمن الشباب فقد مضى
ولكم بقلبي قد أضاء وأومض

الباب السابع في تأثير التربية :

اذا جوهر التلميذ قد كان صافيا
سيبدى متى ربته خير آثار
حمار يسوع لو مضى نحو مكة
وعاد فهل تلفيه غير حمار
اذا لم تصب كبد الحقيقة لاتقل
وجانب جوابا لا تراه جميلا
على عالم إما تكبر جاهل
غنى فقل : هذا حمار محمل
غير أن اللئيم مهما تربى
فمحال ان يستحيى نبيلا

الباب الثامن في آداب الصحبة :

ولا تصل على من لم يغدو أحدا
والعمر ضيعه في جمع ما تركه
ان رمت تنعم بالشمار فلا تدع
منشار منتك الرهيب يردها
وهل يهد عالما بين البشر
اذا من الكتب حمار قد وقر

الا انما الجمال ترفع صوتها
بغير حياء في النوادي لكي تعلو
ومن يمزح وان ينطق بصدق
فدعواه تعد من المحال
ومن كان فول الكذب ديننه وان
يفه صادقا لا يحفلون به أصلا
إياك ان تؤلم قلب عاجز
فتبتلى بجور طاغ فارحم
لو عاش في نعمتك ذو اللوم دهره
عليك لأنني هفوة يعلن الحربا

لقد وضع كل من حافظ الشيرازي وعبد الرحمن الجامي ، سعدي
موضع التقدير والاعجاب وأحلاه محل الفضل والاجلال . وقال أمير
الشعراء بهار في تعريفه بكتاب « كلستان » : « ان شخصية سعدي
واستاذيته وفنه موجودة كلها في « كلستان » . هذا الكتاب الصغير
الحجم الكبير القيمة لولاه لانعدم ثلثا قيمة سعدي وشخصيته وعظمته .
اذ ما ظهر ولن يظهر كتاب شبيه بكلستان سعدي . اسلوبه فيه شبيه
بأساليب الجاحظ في اللغة العربية من حيث التشويق والابداع وعدم
قدرة الآخرين على محاكاته وتقليله (١٠) .

ان اهم ميزات اسلوب سعدي في كلستان كما حددها بهار تمثل
في ما يلي :

- ١ - الترتيب والتناسب والتنوع .
- ٢ - ترجيح ما هو ضروري على ما هو غير ضروري .
- ٣ - مراعاة حال القاريء يكتب له ، مثاله في ذلك مثال الجاحظ .
- ٤ - مراعاة المناسبة التي يكتب فيها .
- ٥ - مراعاة النغم في كل كلمة . ولعله مبدع في ذلك حيث غفل
السابقون عن اتباع هذا الاسلوب في كتاباتهم .

□ سعدى الشهرازي □

- ٦ - مراعاة الالفاظ من حيث الفصاحة والتخلی عن الالفاظ المبتذلة وعن التراكيب المعقدة .
- ٧ - مراعاة الاختصار والابيحاز .
- ٨ - مراعاة الجمال والادب .

فسعدي أحد أكبر الشعراء الشعبين في ايران وأشهرهم في العالم وأكثرهم تنوعاً وانسانية ، واحلاقيته المتسامحة قاعدة سلوك لتهوين تجربة الوجود ، لكنه لا ينصح بتناسي الاهانات بل يدعو الى تسديد الضربة الاولى دون التعرض للخطر : « دق رأس الافعى بيد العدو اذا لا يخلو الحال من احدى الحسنتين فإذا غلبها امنت شرها وإذا غلبته نجوت من شره (كلستان ص ٢٦٨) . » ومهما يكن من أمر فانه يعتبر حسن العشر ويعبّر عن أفكاره بلغة صافية كثيرة الانسجام ، تصعب مقاومة اغراءاته . ولذكرياته الشخصية ، التي يزين بها مؤلفاته سحر جذاب .

جمع علي بن محمد ابي بكر مؤلفات سعدي في سنة ١٣٢٥ م اي بعد نحو خمسين سنة من وفاته .

وكان لكتاب سعدي « كلستان » تأثير عظيم في ايران وتركيا والهند وأوروبا ، وشهرة واسعة لقيمة الشعرية ، ولهذا كله تريشنا عنده أكثر من غيره . ففي سنة ١٦٣٤ م عرف كتاب سعدي « الكلستان » في أوروبا لأول مرة اذ قام A. du RYER بترجمته الى الفرنسية في باريس ولحقه جينيوس فترجمه الى اللاتينية وطبع الترجمة في امستردام سنة ١٦٥١ م ، ثم ترجمه الى الالمانية اوليليوس سنة ١٦٥٤ ، وكانت ترجمته أحد مصادر « الديوان الشرقي والعربي » لفوته ، وتلتها ترجمات عديدة في أوروبا في القرنين الثامن والتاسع عشر . ومن أفضل الترجمات ترجمة ديفريمي ، باريس سنة ١٨٥٨ ، وظهرت ترجمة أخرى سنة ١٩٣٠ ، كما ظهرت في باريس أيضاً الطبعة السابعة عشرة لفرانز توسان سنة ١٩٤٢ . وقام بترجمة هذا الكتاب الى العربية الاستاذ الشاعر محمد الغراتي ، طبعة دار طلاس بن دمشق ، ولكن ليس فيه ما يدل على تاريخ هذه الترجمة .

ربيع سعدى الأخير
للشاعر الارمني اويديك اسهاقيان
ترجمة الياس سعد غالى

في فصل ،
من فصول الربيع التي تجمل الارض ولا تحصى
وفد عاش سعدى شاعر السعادة والاسى مائة منها ،
استيقظ سعدى ذات صباح باكرا
ونزل الى الحديقة المزهرة عند صفتى نهر ركتبات
ليسمع مرة اخرى تفريد البلبل
ويتمتع الطرف مرة اخرى باعجوبة الربيع .

فاللتفت الى حقوق شيراز
المزينة بجمالات طفولية وكل شيء وردي اللون
وهي غافية اغفاءة الصباح ، تلفها ستربىضاء معطرة
فجلس على بساط اصفهانى تحت ياسمينة مزهرة
وامسك بأصابعه نمر تعشه برم وردة متفتحا رطبا
وتمتم هامسا :
« الفتاة التي تبتسم لحبيها عندما يلامسها
كوردة تفتح شفتيها لنسميم الصباح » .

لقد هرم سعدى ، ومع ذلك ظلت روحه تدرك وتسمع جمال
الاشكال وغناء الآفاق المتلاشية وصمتها بعيون حالمه وأذان واهمه ، لأن
روح الشعر الفاتنة والucusfor الزمردي الذي بنى عشه الابدي على قمة
جبل « قاف » في النجوم ، ما برح تخاطبه .

□ سعدى الشاعر الذي □

فالبلابل ذات العيون البراقة والريش الرمادي، ثملة بحرقة الحب،
كانت تدندن رباعياتها الساحرة ، وكانت أيضاً تفرد في قلب سعدى .

والنسيم اللطيف بنفحته العذراء كان يسر في اذن الورود كلمات
رقيقة كان اقتطفها من ورود بعيدة عاشقة . وكان سعدى يقرأ بطاقات
الحب تلك في روحه .

« والقلب العاشق يسمع دائماً ما تهمس به الاشياء .
الكون مملوء نغمـاً رنانـاً . الكون يرتعش ثـلـاماً عـاشـقاً وغـيرـ مـتـنـادـ » .
قال سعدى هذا وهو يتذكر أشعاره القديمة .

كل شيء كان يصبح لتفريده البلابل ، ورأس سعدى الاشيب تغمره
ورود حمراء ، فتنشق عطر اللذة ، فسـكـرـ ، وأغمض عينيه ورأـيـ الكـونـ
في نفسه مثل حـلـمـ في حـلـمـ .

عندئـذـ رأـيـ سـوـاقـيـ الـهـنـدـ الـهـادـئـ مـوـشـاـةـ بـأـزـاهـيرـ النـيلـوـفـرـ المـقـدـسـ
ورـأـيـ الفـيـلـةـ الـوـدـيـعـةـ فـيـ الـادـغـالـ الدـكـنـاءـ تـتأـمـلـ

ورـأـيـ الفتـيـاتـ الـمـلـيـحـاتـ فـيـ قـصـورـ دـلـهـيـ الـذـهـبـيـ يـزـينـ شـعـورـهـنـ
الـسـوـدـ نـيـلـوـفـرـ أحـمـرـ

ورـأـيـ أـرـاضـيـ طـورـانـ الـكـثـيرـ الـعـواـصـفـ ، وـالـقـراـصـنـةـ الـمـتـمـرـدـينـ
مـتـقـلـدـيـنـ سـيـوـفـهـمـ الـلـامـعـةـ

ورـأـيـ أـيـضاـ القـفـرـ الـقـائـظـ وـسـرـعـةـ خـيـولـ الـبـدـوـ وـهـمـ يـطـرـدـونـ الـاسـوـدـ
عـلـىـ مـرـأـيـ مـنـ النـسـورـ الـتـيـ كـانـتـ تـحـومـ فـيـ الـهـوـاءـ .

ورـأـيـ قـوـافـلـ الـحـجـاجـ الـاتـقـيـاءـ الـتـيـ لـيـسـ لـهـ آـخـرـ ، وـرـكـعـاتـهـ الـتـيـ
تـرـافـقـهـ صـلـوـاتـ وـأـنـاشـيدـ عـنـدـ أـبـوـابـ مـكـةـ .

ورـأـيـ عـجـائبـ مـصـرـ الـقـدـيمـةـ وـبـلـورـ الـبـحـورـ الـزـرـقـاءـ الطـافـيـ، وـالـفـتـيـاتـ
الـدـمـشـقـيـاتـ النـاعـمـاتـ ، الـبـضـاتـ الـإـبـدـانـ الـشـبـيـهـ أـيـادـيـهـنـ الـطـوـيـلـةـ
الـجـمـيـلـةـ بـأـطـوـاقـ حـولـ عـنـقـ الشـابـ سـعـدىـ . . .

□ سعدى الشيرازى □

فتنهد سعدى وهو يفتح عينيه .

واسفاه ، سني المائة تقضت مثل حلم في ليلة . لقد مضت في غفلة في دقيقة ، لأنك ايتها البلايل والقصص والورود ، وانت ايتها الفتيات المليحات أخوات الورود قد صحبتنى دائماً .

برغت الشمس من حدائق السماء المتعددة الالوان ، عندئذ حميت كل توبيخية وكل حجر وتلعة لأن الليل در عليها الماساً .

أقى سعدى حواليه نظرة غريبة وعميقة وتأمل في قبة السماء الزرقاء المختلطة بالفجر ، والعصافير تطير في مثل الذهب .

لقد نظرت متعجباً ومفتوناً

ـ أجل ، هذا الكون أujeوبة ، قصة رائعة جداً ومدهشة جداً .
اني اراقب الكون كل يوم وأشعر بأنني ازداد دهشة يوماً بعد يوم كما لو كنت اراه اول مرة . هذا الكون مألف ولكن عجيب دائماً ، هذا الكون قديم لكنه حديث دائماً يجذبنا بسحر ابدى ومحمول ...

ونظر سعدى ملياً الى الكون مرة اخرى ، والى تحرك العناصر العديدة المدهش ، واذا به يلمع زوجي يمام ارجلهما حمراء ، وهما يخطران فوق العشب الاخضر ويسبحان بحنان . فقال سعدى في قلبه مرة اخرى :

جنية خفية سارت الكون وجмиيع عناصره بفتنتها وبعصاها السحرية . يبدو ان مرد جمييع العناصر الى قصة .

الكون يجري عمودياً وينحل وتتغير الاشكال . ولكن من ذا الذي يعيد بأujeوبة تركيبه وتشكيله ثانية ، وينشر حولنا هذه الاجبة وهذه القصة ؟ .

من ألم الوردة الوعلة العطشى بأن تتسلق الصخور الصعبة المرتفعه وتنظر الحجارة فتحطم قرنها ، وتسمع عاليًا بفهامها العشقى في الاجام ؟

من ألم الوردة بان تفتق اكمامها الزمردية وتبقع عطرها المسكر ؟

□ سعدى الشيرازى [٣]

من اجبر الانسان على الظهور من المجهول مزودا بجسنه وروح كي
يتامل ويتألم ويشعر بنار الهوى التي تفنيه ، وبالرغبة في ان يعيش
مخلداً .

أيها الحب ، الضرورة التي لا تقلب ، والاجبار الرفيق ، معرفتي
بك قديمة ولكنني مازلت عاجزا عن سبر عمقك وسرك! ..
وشعر سعدى بروحه العرافية بأنه يعيش ربيعه الاخير .
الربيع الاخير !

وانفتح باب الحديقة الصغير .

ودخلت نازيات ، الفتاة الشيرازية العزيزة جدا على الشاعر
العجز ، متلتفعة بازارها النقي الذي كان الهواء يعبث به، لتزور الشاعر
العجز كعادتها .

شفتا نازيات الخمرىتا المذاق ، وبضاضة ذراعيها العاريتين
وحرارتهما طالما نورت ليالي سعدى البيضاء ، الذي عمر مائة عام .
كان سعدى يحبها من كل قلبه الفتى أبدا فنقش صورتها بأحرف
مذهبة في كتابه الحالد « كلستان = روضة الورد » (١١) .
ودنت نازيات من الشاعر حاملة بين ذراعيها طاقة من الورد وحيته
بصوت معطر بالورد .

وكان سعدى حزينًا وارتعشت شفتاه الكمدتان بالتنهد .
— لماذا انت حزين يا أسعد الناس؟ لماذا انت حزين؟

وظل سعدى صامتا .

— أحب حزنك يا سعدى ، لأنك في حزنك حكيم ، وقد قلت بلغتك
الالهية :

ان اللؤلؤة تولد من جرح ، وان البخور بالاحتراق يتضوع
شذاء (١٢) .

□ سعدى الشيرازي □

ونظر سعدى الى نازيات مبتسمًا ابتسامة خفيفة.

— هذه الورود لك ، ورود مخملية من حديقتي .

وجللت نازيات الشاعر العجوز بالورود ، ولمست بأصابعها الناعمة
جبهته المتجممة .

— ان هذه الورود التي قدمتها لي يا ابنة الجنة لأجمل الورود
فما ذلت قط .

قالت نازيات : اجل ياسعدى ، وأخذت تردد بصوتها الفضي
المرنان ابياتا قنديمة للشاعر : « عندما تشم الوردة لماذا تفكر بأن جمالها
زائل ؟ احتفظ بذكرى عطرها عندئذ يسهل عليك ان تنسى ان الوردة قد
ذوت » .

ولما جئت الفتاة نازيات بالقرب من الشاعر سعدى لامست شعورها
التي كان يحلم بها ، وجهه ، وعندئذ ، في الحديقة ، حرمت ريح لطيفة
اجنحتها الكثيرة الالوان فوق رأس العجوز : تلك كانت اجنحة الطير
الزمردي العجيبة التي خفقت بينما كانت يد سعدى المرتعشة تداعب
شعور نازيات التي كان يحلم بها .

عندئذ ومن أعماق نفسه نظر سعدى الى الكون الاعجوبة مشتعلًا
حوله والفتاة الصغيرة مبتسمة فتانية ، فشعر بدمعة ساخنة في قلبه
الهرم ، فامسك بيده نازيات الصغيرة وقبلها ووضعها على قلبه الباكى :
— بأناملك الزنبقية أضيفي في آخر صفحة من كتاب « روضة
الورد » .

كلماتي الاخيرة : « نأتي الى العالم مكرهين ، ونعيش فيه مذهولين
ونفادره دون ان نرتوي ... » (١٣) .

البندقية ١٩٢٣

موتریال ١٩٧٥

ترجمة اراكس الى الفرنسية

الحواشبي :

- ١ - محمد خليفة التونسي : البستان لسعدي الشيرازي ، تراث الانسانية ٢م ص ٨٣٤ - ٨٤٨ .
- ٢ - جاء في المجم المنجد في الاعلام ان سعدياً كان من مریدي عبد القادر الجيلاني مؤسس الطريقة القادرية . وكلمة مرید ، حسب المجم « السبیل » تعنى التابع او من كان على مذهب ... Adepte فيصح استعمالها هنا بهذا المعنى لأن الجيلاني توفي سنة ١١٦٦ م اي قبل مولد سعدي سنة ١١٨٤ م . ولكنها تعنى ايضاً التلميذ Disciple فلا يصح استعمالها هنا بهذا المعنى . قد يكون وقع التباس بين عبد القادر الجيلاني والصوفى الفارسي الكبير جلال الدين الرومى الذى التقاه سعدي في حرم الكعبة (سعدي : « كلستان » ترجمة الفراتي ص ٨٥) والتقاه مرة أخرى في قونية سنة ١٢٥٠ م .
- ٣ - قحط في دمشق - سعدي : البستان ترجمة محمد الفراتي ص ٩٠ .
- ٤ - سعدي البستان ترجمة محمد الفراتي ص ١٦ و ٤٦ .
- ٥ - سعدي البستان ترجمة محمد الفراتي ص ١٦ .
- ٦ - محمد خليفة التونسي : تراث الانسانية ٢م ص ٨٣٨ و ٨٣٩ و ٨٤٦ (من مقدمة الباب الثامن في الشكر) . والبستان ترجمة محمد الفراتي ص ٢٠ .
- ٧ - قصيدة غزلية لسعدي ذكرها ول دبورانت في قصة الحضارة ج ٢م - ١٣ ط ٢ الترجمة لمحمد بدران .
- ٨ - سعدي الشيرازي : البستان نقل هذه الكلمة : « البوستان » بعض الادباء الى العربية .
 (المنجد في الاعلام وروضة الورد (كلستان) لمحمد الفراتي ص ٣١١ و ٣١٣) ومن روائع الادب الفارسي لمبدع جمعة ١٩٧٨ ص ١٤١ .
- ٩ - لقد قال ما يقرب من هذا المعنى بيندار وهوراس وأوفيد والاخطل الصغير ، يرجع الى مقالنا : « هوراس » النشور في العدد ١٩٩٠/٦٢ من مجلة الاداب الاجنبية ، دمشق ، ص ٤٩ - ٧٢ .

□ سعدي الشيرازي □

- ١٠ - بدیع محمد جمّة : من روانع الأدب الفارسي ص ١٣٩ .
- ١١ - لم أجد في روضة الورد ترجمة محمد الفراتي ذكر لنماذج .
- ١٢ - العود لا عرف به لكنه إن يلق بالنار يفتح كالعنبر .
(سعدي : روضة الورد ص ٥٨) .
- ١٣ - أبو العلاء : اللزوميات ج ١ ص ٤٣٩ :
ما باختياري ميلادي ولا هرمي
ولا حياتي فهل لي بعد تخبيء ؟

المراجع والمصادر :

- سعدي الشيرازي : البستان ترجمة محمد الفراتي ، منشورات وزارة الثقافة ١٩٦٨.
- سعدي الشيرازي : روضة الورد « كلستان » ترجمة الفراتي ط . دار طلاس دمشق
- سعدي الشيرازي : روضة الورد ترجمة فرانز توسان بالفرنسية باريس ط ١٧٥٨، ١٩٥٨
- ول دبورانت : قصة الحضارة (ترجمة محمد بدران) ١٢ - ١٤ / ١٤
- بدیع محمد جمّة : من روانع الأدب الفارسي ، دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٨
- نور الدين آل علي : الصلات الثقافية بين إيران والعرب ، القاهرة ١٩٧٥
- بحبی الششاب : التقى الحضارتين العربية والفارسية القاهرة ١٩٧٠
- محمد خليفة التونسي : تراث الإنسانية ٢ م ص ٨٢٢ ، القاهرة
- التجدد في الإعلام : دار الشرق بيروت ، ط ١٩٧٣/٧
- لافون بومبيانی : معجم المؤلفين ج ٢ ص ٤٧٩ ، باريس ١٩٥٨
- لافون بومبيانی : معجم المؤلفات ج ٤ ص ٣٣٣ ، باريس ١٩٥٥
- معجم لاروس الكبير الموسوعي ج ٩ ص ٤٦٩ ، باريس ١٩٦٤

الأخلاق الإسلامية

في ملحمة الفردوسى الشعرية «الشاهدان»

الدكتور حميد فرزام

«بسم الله الرحمن الرحيم» ،

(ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار آيات لاولي الالباب . الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتذكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلأ سبحانك فقنا عذاب النار) (سورة آل عمران / ١٩٠ - ١٩١) .

ينظر الى الشاعر الكبير (أبو القاسم الفردوسي) الذي عاش خلال الفترة (٣٢٩ - ٤١١ ، أو ٤١٦ هجرية) كأبرز شعراء الفارسية في نظم الملاحم الشعرية الحماسية .. بل انه يعتبر من المع شعراء الملاحم البطولية والاساطير التراثية والتاريخية على المستوى العالمي .

تميز الفردوسي بنبوغ وكفاءة وموهبة إلهية في نظم الشعر ونسج الخيال الشعري .. بل ويشار اليه كآية كبرى في فنه ، وسيبقى اسمه لاماً ومتالقاً في تاريخ الأدب والثقافة في ايران .

□ الأخلاق الإسلامية □

حيث ان ملحمة الشاعرية (الشاهنامه) ، التي لاظهر لها في التاريخ، تتضمن القصص والاساطير الوطنية وتسجيلا للأحداث التاريخية التي عصفت بایران منذ بداية الحضارة الإيرانية القديمة ، وحتى اضمحلال السلالة الساسانية .

ان ملحمة الفردوسي الشعرية (الشاهنامه) تضم كما هو معروف روائع الابيات الشعرية التي تسجل الملاحم التاريخية والادبية العريقة والتقاليد والسنن والمقائد الإيرانية القديمة ، اي أنها تتضمن الثقافة القديمة والخالدة للشعب الإيراني خلال قرون متتمادية وعهود طويلة .. وكذلك فهي تتضمن العديد من الموضوعات والجوانب الاخلاقية والدينية والاجتماعية الملائمة بالعبر والدروس التربوية لبني الانسان : وهذا مما يضاعف من قيمتها المعنوية و يجعلها موردا رضا الناس ، ويمكننا اعتبار اقسام لاباس بها من الملحمة مشبعة بالدروس والحكم الاخلاقية المربيّة والمفيّدة نهذيب الاخلاق وتنقية الاذهان وتوسيعه العقول وينقذ الافكار ، ولا سيما بالنسبة للشباب الذين يجهلون احداث التاريخ وواقع الدهر والايام .

تتميز الموضوعات الاخلاقية الموجودة في (الشاهنامه) بانها على نوعين :

النوع الاول : تشمل المواقف والحكم العديدة التي يوردها الفردوسي في بداية ونهاية كل مقطوعة شعرية تسجل الحوادث والواقع التي تؤول الى هزيمة السلاطين والفرسان واقراصهم : وهو بذلك يطبق ما تعلمه عليه ميوله الفطرية والباطنية ، ويهدف من ذلك الى الدعوة الى الاعاظ والاعتبار والنصيحة .

النوع الثاني : تشمل المواقف والحكم والوصايا والنصائح التي يوردها الفردوسي في اشعاره بلسان السلاطين والوزراء والفرسان ابطال

الملحمة : مثل مواعظ وارشادات الاردشير الى شاهبور ، ومواعظ هرمز الى نجله بهرام ، والحديث المشبع بالحكم الذي تبودل بين بوزرجمهر وانوشيروان ، فضلا عن مواعظ بوزرجمهر نفسه وغيرها .. وهي تعبر بما يكفي الفردوسي في قلبه وأحساسه ، رغم انه ينسبها لأبطال ملحنته.

وهكذا فان الشاعر الفردوسي ، عندما يؤكد على مثل هذه الحكم والمواعظ بنوعيها في ملامحه الشعرية ، فإنه يثبت في الواقع تعلقه القلبي بالمبادئ والأسس الأخلاقية .. وهي تذكرنا بما قاله الفيلسوف الالماني الشهير (عمانوئيل كانط المتوفى عام ١٨٠٤ م) : ان هناك شيئين يأخذان بالزوح الى درجة الاعجاب ، وكلما يفكر المرء بهما ويتأمل اكثر فان اعجابه واحترامه لهما يزداد تبعاً لذلك ، الاول : في السماء المليئة بالنجوم التي نراها فوق رؤوسنا ليلا ، والثاني : القانون الأخلاقي الكامن في قلوبنا .

أجل ، ان هذا القانون الأخلاقي كان مترسخاً في قلب الفردوسي وممتزجاً مع روحه وفكره الى حد بحيث نراه جلياً واضحاً في اغلب اشعار الشاهنامة .

قبل الغوص في أعماق هذا الموضوع المهم (الأخلاق الإسلامية في ملحمة الفردوسي الشعرية) لابد ان نلتفت الانظار الى ملاحظة وهي : ان المواعظ والحكم الواردة في فصول (الشاهنامة) ، والتي يعتبرها أرباب البصيرة منبعثة من عقل ومعرفة قائلها ، قد تطفى أحياناً على الموضوع الرئيسي للشاعر بحيث يؤدي ذلك بالقارئ او المستمع الى الشك في الهدف الاصلي للشاعر ، هل هو التأكيد على المبادئ الأخلاقية ، ام تسجيل الحوادث التاريخية والاساطير القديمة ؟ ! .

□ الأخلاق الإسلامية □

باتتأكيد فان استشهاد الفردوسي المتكرر في اشعاره بمثل هذه المفاهيم الاخلاقية والانسانية السامية قد اكسب (الشاهنامه) امتيازاً فريداً ، قلما نجد مثيله في الملحم الشعرية لشعراء آخرين ، وهي بحد ذاتها : « ... فن معرفة العالم » ، الذي يقول عنه تولستوي : « بأنه ذو ملاك ثابت ومحب ، وان هذا الملاك المتمثل بالمعرفة الدينية والروحانية هو الذي ي ملي الافكار والعقائد .. وهو من النقاط المشتركة بين كافة أمم الدنيا في جميع الاعصار والازمان » .

ان هذه المعرفة الدينية والروحانية تعتبر في الواقع أساس المكارم الاخلاقية وقاعدتها .. ومن الشخصيات التاريخية التي تميزت بمثل هذه الفضائل السامية والاخلاق العالية في القرون المنصرمة والقرن الحالي نذكر : كانط وتولستوي وعدد من علماء التعليم والتربية في أوروبا وأميركا مثل : الدكتور كارل ، واناتول فرانس ، واشبينجر ، وكيرلسن وجان ديوي .

بالطبع فان مثل هذه الاشارات الى الفضائل والمكارم الاخلاقية والتأكيد عليها ، نراها جلية في الاحاديث والروايات المنقوله عن رسول الاسلام الاعظم محمد ﷺ ، وكذلك في الآيات القرآنية المباركة .. كما جاء في الحديث الشريف الذي نقله مالك في (الموطأ) : (إنما بعثت لاتتم مكارم الاخلاق) .. وكذلك في الآية الشريفة .. (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) . (سورة الجمعة / ٣) .

كما توضّح الآية المباركة ، فان القرآن الكريم يؤكد على تزكية النفوس قبل التعليم .. حيث ان الهدف الأساسي من بعثة الانبياء والرسل لاسيمما نبي الإسلام الاعظم ﷺ ، وهو تتميم مكارم الاخلاق وتهذيب النفوس الإنسانية .

□ الأخلاق الإسلامية □

ولأن الشاعر الفردوسي كان من الاتباع الحقيقيين للنبي الراحل ﷺ ومن المؤمنين بالاسلام والعارفين بالقرآن والاحاديث الشريفة ويمباديء الاخلاق الاسلامية ، التي يقول عنها علماء الاخلاق انها ذات منشأ عقلاني ، و تستند الى الايمان بالمبنا و المعد ، لذا فانه اتخذ من الاخلاق الاسلامية والمكارم والفضائل الاخلاقية منطلقا لعمله ، ومطلعا لاكثر مقطوعاته الشعرية ، كما يبدو ذلك في هذه الابيات الرائعة التي افتح بها ملحمته الشعرية (الشاهنامه) :

بنام خداوند جان و خرد
کزین برترن اندیشه بر نکندرد
خداوند نام و خداوند جای
خداوند روزی ده رهنماي
خداوند کیهان و کردان سپهر
فروزنده ماه و ناهید و مهر
زنام و نشان و کمان بر تراست
نکارنده برشده کو هراست
سخن هر جه زین کو هران بکندرد
نیابد بلو راه جان و خرد
شنودن نداندکس او را چو هست
میان بندکی بیایدت بست

وهي تعني :

[باسم الله خالق الحياة والعقل ، الله الذي يرزق ويهدي ، الله رب الكون ، والنور الأزلی ، واعلى من التصور في الخيال ، ولا بد للانسان ان يعبد الله لانه أهل للعبادة] .



وفي مكان آخر من الملحمة ، وفي إثباته للتوحيد وعبادة الواحد
الواحد، ورفضه لاحتجاجات الماديين من أدعياء الحكمة والفلسفة، وبأسلوب
بسيط وجريء نراه يقول :

ایا فلسفة دان بسیار کوی
نپویم به راهی که کویی بپوی

سخن هیچ بهتر ز توحید نیست
به ناکفتن و کفتن ایزد یکیست
ترا هرچه بر جسم بربکنرد
بکنجد همی در دلت با خرد



□ الأخلاق الإسلامية □

چنان دان که یزدان نیکی دهش
جزانست وزین بر مکردان منش
توکر سخته ای راه سنجیده پوی
نیاید به بن هرگز این کفتکوی

وهي تعني :

[أيها المتكلف الشرئار ، لن أسلك طريقك الذي توصي بي .
لأنه لا عقيدة أفضل من التوحيد ، حيث أن الله واحد شئت أم بيت ،
إنك تقبل شيء الذي تراه ، واعلم أن الله هو غير الذي تفكر به أنت ،
حيث الله الأحد ، وإن عقيدة التوحيد هي الاصالة دون غيرها] .

يبينو ان الفردوسي كان قد اقتبس تلك المعاني في وصف هذه
الزمرة من الناس من القرآن الكريم ، حيث جاء في الآية السابعة من
سورة الروم : (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم
غافلون) .

الشاعر الفردوسي في مطلع ملحنته (الشاهنامة) وبعد حمد الله
جلّ وعلا ، هكذا يقول ان مكانة العقل

خرد افسر شهر یاران بود
خرد زبور نامداران بود
خرد زنده جاودانی شناس
خرد مایه زندگانی شناس
ازویی به هردو سرا ارجمند
کسته خرد پای دارد به بند
همیشه خردا تو دستور دار
بدو جانت از ناسزا دور دار

وهي تعني :

[لابد ان يرافق العقل اعمال الملوك والسلطين ، حيث ان العقل زينة الابرار . اعلم ايها الانسان ان العقل يعني الخلود في الحياة والعقل هو اصل الحياة ، حيث ان منزلة الانسان في الدارين ترتبط بالعقل فاتخذ من العقل مرشدًا في طريقك ، لانه يصونك من الضلال] .

بعد ذلك يقول الفردوسي على لزوم الانتهاج بنهج النبي ﷺ ووصية علي (ع) كما يبدو ذلك في هذه الابيات :

جو خواهی که با بی‌زهرا بدرها
سراندر نیاری به دام بلا
به کفتار بیغمبرت راه جوی
دل از تیرکیها بدین اب شوی
اکرچشم داری به دیکر سرای
به ترد نبی ووصی کیرجای

وهي تعني :

[او أردت ان تنجو من اي انحراف ولا تقع في البلايا ، فاتخذ من كلام الرسول دليلا لك في الحياة ، ولو اردت السعادة في الآخرة فتمسك بالنبي ووصية المرتضى] .

وبهذا المعنى قال الفردوسي ، وهو يهجو السلطان محمود الفرزنوی :

مرا غمز کردند کان پرسخن
به مهر نبی وعلی شد کهن
اکر مهرشان من حکایت کنم
چو محمود را صد حمایت کنم

□ الأخلاق الإسلامية □

وهي تعني :

[أسلوا القول بشاني ، لأنني أحب النبي وعلي ولهم ما مكانة كبيرة في قلبي ، وليعلموا أن حبى للنبي وعلي أكثر بعشرة مرات من حبى لمحمود] .

وفي مكان آخر من الملحمه يقول كذلك الفردوسي على إيمانه بما جاء في القرآن الكريم حول تكريم الإنسان ك الخليفة لله في الأرض ، كما جاء في الآية المباركة : (وإنما أنا ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ...) (سورة البقرة ٢٩) .

والآية الأخرى : (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) (سورة الإسراء ٧٣) .

حيث أن الشاعر الفردوسي جمع هذه المضامين الرائعة في بيتين مليئين بالحكمة والوعظة ، وهو يخاطب الإنسان بالقول :

ترالاز دوكتيسي بر اورده اند
به چندین میانجی بپروردہ اند
نخستین فطرت پسین شمار
توبی خویشتن را بیازی مدار

وهي تعني :

[أنت أيها الإنسان خليط من المادة والروح ، وقد سخرت كل إمكانات الدنيا من أجلك ، فلا تحط من قيمتك ، وأعراف قدر نفسك] .

ومن هذه النظرة الحكيمه يدعى الشاعر الفردوسي الإنسان إلى تزكية نفسه ، ويحثه على التعلم والتفكير ، ويحذره من ادعاء الكمال الذي يعتبره سبباً للخسران حيث يقول :

میاسای از اموختن یکی زمان
زادانش میفکن دل اندر کمان
چو کویی که وام خرد تو ختم
همه هر چه بایستم امو ختم

یکی نفر بازی کند روز کار
 که بنشاند پیش اموز کار
 ندانی جو کویی که دانا شدم
 چنان دان که نادان ترین کس تویی
 چو کفتار داند کان نشنوی . . .

وهي تعني :

[لا تترك التعلم ابدا حتى للحظة ، متى ما ظننت انك امسكت عالما وتعرف كل شيء فهذا هو الجهل بعينه . اعلم انك لو تركت التعليم والتعلم ، ولم تصغ لكلام العلماء والحكماء فانك اجهل بني [الانسان]] .
 وقد اقتبس الشاعر الفردوسي هذه المعاني مما ورد مرارا في القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة فيما يخص الحث على التعلم . . . وللاختصار فاننا نكتفي بالآية ١٣ من سورة (الزمر) .

(. . . قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكروا اولو الالباب) .

والحديث النبوي الشريف ، (اطلبوا العلم ولو بالصين ، فان طلب العلم فريضة على كل مسلم . وان الملائكة تصنع أحجتها لطالب العلم رضي بما يطلب) .

ومن الامراض الخطيرة التي تصيب طالب العلم الفرور والعجب ، فان أصيب طالب العلم بمثل هذه الآفة فسينطبق عليه حديث الامام امير المؤمنين (ع) : (إعجاب الرجل بنفسه برهان نفسه وعنوان ضعف عقله) .

ولأن الفردوسي كان ينظر للانسان كمظهر للكمال والجمال المطلق من الناحية المعنوية ومرأة لانعكاس الانوار الالهية ولكنكي لا يتأخر عن نيل السعادة الابدية ، فان الشاعر يحثه على كسب العلم والمعرفة ويحذرها دوما من الصفات البسيئة مثل :

حب الهوى والحرص والطمع والكذب والنفاق والكسل والاسوا من كل ذلك الظلم ..

□ الاخلاق الاسلامية □

ومن طريق اشعاره المليئة بالحكم والمواعظ ، كان شاعرنا يدعوا الانسان الى الخوف من العقاب الالهي والى الصبر والعمل الصالح والحسن والاعتدال في الحياة ومجالسة العلماء والفارقين ، والابتعاد عن الجهلة ، وأخذ العبر والدروس من وقائع الحياة ، فضلاً عن الكثير من الصفات الانسانية الاصيلة ..

وهكذا فإن ملحمة (الشاهنامه) ، فضلاً عن احتواها على الاشعار الحماسية والقتالية وسرد الملحم الطولية والاسطورية وتسجيلها للوقائع التاريخية ، فإنها كما قلنا آنفاً تعتبر خزانة نفيساً من الدرر والمجوهرات الثمينة والحكم ، المواعظ المشبعة بالاخلاق والخصل الحسنة .. وسنشير أدناه الى نماذج من الآيات الشعرية التي جاءت في الشاهنامه بشأن الخصال الأخلاقية التي ذكرناها آنفاً وهي كالتالي :

الهوى :

يقول الفردوسي :

اکر چیره کردد هو بر خرد
خرد مند از مردمان نشمر .
اکر بر خورد چیره کردد هو
نیابد ز جنکه هو اکس رها
خردمند کارد هو رابنیز
بود داستانش چوشیر دلیر ..

وهي تعني :

[لو تغلب الهوى عليك ، قان العقلاء لن يعاملوك كأنسان . ولا يمكن لأي أحد أن يفر من وساوس الأهواء .. ومن يتغلب على هواه فهو كالأسد المغوار] .

□ الاخلاق الاسلامية □

وكمما يقول الرسول الراكم ﷺ :

[اشجع الناس من غالب هواه] . ويقول أمير المؤمنين علي (ع) :
(لا يجتمع العقل والهوى) .

وقبل كل هذا ، جاء في القرآن الكريم :

(ومن أضل من اتبع هواه بغير هدى من الله) (سورة القصص / ٥١) .
(... ولا تتبع الهوى فيضلوك عن سبيل الله) سورة ص / ٢٦ .
(وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي
المأوى) (سورة النازعات / ٤١ و ٤٢) .

* * *

الحرص والطمع :

يقول الفردوسي :

برستنده ازوجویای کین
به کیتی زکس نشنود افرین
چو دانی که بر تو نماند چهان
چه رنجانی از از جان و روان ؟
بخور انچه داری و بیستی مجوى
که از از کاهله همی ابروی ..

وهي تعني :

[لا يحترم أي شخص في الدنيا الحريص والطماع . مادمت تعرف
أن الدنيا غير باقية ، اذن لم تتعذب بدنك وروحك بالطمع والحرص عليها .
اكتف بما عندك ولا تحاول الاستزادة منها ، لأن الحرث والطمع يقضيان
على سمعة الإنسان] .

ويقول الرسول الأكرم ﷺ :

- (يهرم ابن آدم ويشب منه اثنان : الحرص على المال والحرص على العمر) كما جاء الحديث نفسه بصورة أخرى :
 (يشيب ابن آدم وتشب فيه خصلتان : النعرص وطول الامل) .

ويقول الإمام علي (ع) :

- (الحرص لا يزيد في الرزق ولكن يذل القدر) .

* * *



□ الأخلاق الإسلامية □

الكذب والنفاق :

يقول الشاعر الفردوسي :
زبان چرب کویا ودل بر دروغ
برمرد دانا تکید فروغ
کسی کوتاید سر از راستی
کزی کیدش کاروهم کاستی
رخ مرد راتیره دارد دروغ
بلندیش هرگز تکید فروغ

وهي تعني :

[الكلام المسؤول والمزين والنفاق والكذب لا شأن له امام انظار العقلاء . ومن يتخلى عن عمل الخير فانه سينحرف ويضل عن السواء . الكذب يسود وجه الانسان ويتحول دون سموه] .

وبهذا الشأن يقول الرسول محمد ﷺ :

(أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان) .

ويقول الامام علي « ع » أيضا :

(إياك والنفاق فان ذا الوجهين لا يكون وجيهها عند الله) .

(أقبح الخلائق الكذب) .

وفي بيت شعري رائع آخر يقول الفردوسي :

چو کاهل بود مرد بر نابکار

ازو سیر کردد دل روزکار ..

وهو يعني :

[لو تقاعس الانسان في عمله ، فان الدنيا مستشبع من وجوده] .

* * *

□ الأخلاق الإسلامية □

الكسل :

يقول الشاعر الفردوسي
تن أسانی از کاهلی دور کن
بکوش وزرنج تنت سور کن
که اندر جهان سود بی رنج نیست
کسی را که کاهل بود کنج نیست
به رنج اندر است ای خرد مند کنج
نباید کسی کنج ابرده رنج

وهي تعني :

[تخل عن الكسل ، واسع وابذل جهدا حتى تقطف ثمار عملك .
ففي هذه الدنيا لا ثمار بلا تعب . فالكتنر يكمن في السعي وبذل الجهد ،
وبدونه لا ينال الإنسان ذلك الكتنر] .

الآياتان المباركتان ٤١ و ٤٢ من سورة النجم تتضمنان المعنى ذاته :
(وان ليس للإنسان الا ما سعى . وان سعيه سوف يرى) .

كما ورد عن الرسول القائد ﷺ :

(اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل . . .) .

* * *

الظلم والجور :

يقول الشاعر الفردوسي عن لسان انو شيروان :
چنین کفت نو شیروان قباد
که چون شاه رأس به بیچد زداد

□ الأخلاق الإسلامية □

کند چرخ منشور او راسیا
ستاره نخواند اورا نیز شاه
ستم ، نامه عزل شاهان بود
چو دود دل بیکنها ان بود ..

وهي تعني :

[هكذا قال أتو شيروان ، لو أن الملك ظلم الناس وهجر العدل
فانه سيخسر في الدنيا . فان الظلم يعني بداية زوال الجبارية والملوك] .

وقد أشارت الآيات المباركة الى الظلم في مواضع كثيرة :

(إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهدىهم طريقا
الا طريق جهنم خالدين فيها أبدا و كان ذلك على الله يسرا) (سورة
النساء / ١٦٨ - ١٦٧) .

كما جاء في الحديث النبوي الشريف :

(الظلم ظلمات يوم القيمة) .

وروى عن الإمام علي (ع) :

(لا تظلم كما لا تحب أن تظلم) .

ويقول الإمام علي بن الحسين «ع» في وصية لابنه الإمام محمد
الباقر «ع» :

(إياك والظلم من لا ناصر له عليك إلا الله) .

* * *

□ الأخلاق الإسلامية □

عدم إلحاد الأذى بالغير :

يقول الفردوسي بهذا الشأن :

میازار موری که دانه کش است
که جان دارد و جان شیرین خوش است
سیاه اندرون باشد و سنکدل
که خواهد که موری شود تنکدل
نبزد کهان و نبزد مهان
به ازار موری نبرزد جهان . . .

وهي تعني :

[لا تؤذي النملة التي تحمل حباتها ، لأنها حية وتحب حياتها . من يؤذى نملة ، فإنه أسود القلب وشديد القسوة . الكبار والصفار يعتقدون أن الدنيا تستحق أن تؤذى الآخرين فيها .

وفي هذا العصر الذي أطلقوا عليه عصر الذرة والسيطرة على الأفضاء ، نشهد أن المجتمعات قد تخلت عن الكلمات المعنوية والصفات الإنسانية الأصيلة ، مما أدى إلى نشوب الحروب وسفك الدماء وظلم الناس والحادي الأذى بالضعفاء منهم ، بل إن الظلم ، والارهاب ، والقتل ساد في عالم اليوم .. وإن وجود مثل هذه المضامين الأخلاقية والإسلامية السامية في النصوص الأدبية الفارسية القديمة يعتبر شرفاً وفخراً لبناء شعبنا ولكل الناطقين بالفارسية ، نأمل أن نطبقها في حياتنا اليومية . وبهذا المعنى جاء في الآية ٥٩ من سورة الأحزاب :

« والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبيينا » .

□ الأخلاق الإسلامية □

ويقول الرسول الـاكرم ﷺ :
« المسلم من سلم المسلمين من لسانه ويده » .

* * *



الجزاء والثواب :

يقول الشاعر الفردوسي :

توزین کرده فرجام کیفر بری
 زتخمی کجا کشته بی برخوری
 کنون روز بادا فره ایزدیست
 مکافات بدرا زایزد بدیست
 مکن بدکه بینی بفرجام بد
 زید کردد اندرجها نام بد ..
 هرانکه که امد به بد دسترس
 زیزدان بترس و مکن بدبه کس ..
 چو نیکی کنی نیکی اید برت
 بدی رابدی باشد اندرجها

وهي تعني :

[لو قمت بعمل سيء في الدنيا ، فان حسابك يكون في الآخرة .
 وستجني هناك ثمار ما زرعته في الدنيا .
 تذكر الله واخش منه متى ما عزمت على عمل السوء او حدثت
 نفسك بذلك .]

إن أحسنت فانك ستلقى الثواب .
 وإن أساءت فانك ستلقى العقاب [] .

وقد جاء في القرآن الكريم :

« يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم . فمن يعمل مثقال
 ذرة خيراً يره . ومن يفعل مثقال ذرة شرًا يره »
 (سورة الزلزال ٧-٩) .

* * *

□ الاخلاق الاسلامية □

العدل :

يقول الشاعر الفردوسي :

اکر داد ده باشی ای نامجوی
شوی برهمه ارزو کامجوی
زخود داد داد دادن بهرنیک وید
به از هرچه کویی بنزد خرد

وهي تعني :

[لو كنت عادلاً ايهما الباحث عن الشهرة ، ستحقق ما تصبوا اليه من امال ، التزم العدالة في العمل سواء خيراً أم شراً] .

وقد جاء في الآية ١٢ من سورة المائدة :

« ولا يجر منكم شنآن قوم على الا تعدلوا، اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون » .

كما يقول الامام علي (ع) :

« انصف الناس من نفسك واهلك وخاصتك ، ومن لك فيه هوى، واعدل في العدو والصديق » .

* * *

البر والإحسان :

يقول الشاعر الفردوسي :

توتا زنده بی سوی نیکی کرای
مکر کام یا بسی به دیگر سرای
دراز است دست فلک بر بدی
همه نیکو بی کن اکر بخر دی
که نیکیست اند رجھان یا دکار
نماز بکسی جاودان روزکار

□ الأخلاق الإسلامية □

وهي تعني :

[مادمت حيا ، فان عليك ان تعمل الخير ، حتى تفوز في الآخرة .
اعمل الخير في الدنيا لأن عقاب الأعمال السيئة تلقاء سريعاً في الدنيا .
الخير والاحسان هما اللذان يقيمان في الدنيا] .

وقد جاء في القرآن الكريم اشارات عديدة الى عمل الخير والبر
والاحسان منها الآية ٩٠ من سورة النحل : « ان الله يأمر بالعدل
والاحسان وإيتاء ذي القربى » .. وكذلك في الآية الثامنة من سورة
الاسراء : « إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لَا تَنْفَسُكُمْ وَإِنْ أَسْأَمْتُمْ فَلَهَا . . . » .

يقول الإمام علي « ع » :

(لا فضيلة أجل من الاحسان)

* * *

الحلم والصبر :

يقول الشاعر الفردوسي .

سرد برد باران نيايد به خشم
زنا بودنها بتايند جشم
وکر برد بارى زخد بکنرد
دولار کمانی به سستی برد

وهي تعني :

[الصابرون لا يغضبون أبداً ، ويبتعدون عن الأعمال المحطمة ،
ويحدرون من الواقع في التهلكة .. ولكن الصبر هو زاد عن حده فانه
سيؤدي إلى الكسل والضعف] .

وكما يلاحظ فان الشاعر الفردوسي لا يقبل بالحلم والصبر الذي
يزيد عن حده ، ويضرر فيه الضعف والانحلال .

وهناك حديث نبوي شريف بهذا المعنى : « خير الامور أو سلطها » .

■ الأخلاق الإسلامية ■

وكذلك : (أوتت جوامع الكلم) . . . وهذا الحديث يتميز بالعمومية والأخلاق ، وهو يدل على الاعتدال في جميع الصفات الإنسانية .

وكذلك يقول الرسول ﷺ :

« اللهم أغنني بالعلم وزيني بالعلم »

« العلم سيد في الدنيا وسيد في الآخرة » .

كما يقول أمير المؤمنين علي (ع) :

« العلم يطفئ نار الغضب » .

* * *

الاعتدال في الإنفاق :

يقول الشاعر الفردوسي :

هزينه مكن سيمت از به لاف

به بيهوده مپ را کن اندر کراف

میانه کرینی بمانی بجای

خردمند خوانده ترا ياك راي

وهي تعنى :

[لا تسرف في إنفاق الأموال عبثاً أو للظهور : اذا التزمت الاعتدال في الإنفاق فانك ستستمر في حياتك سعيداً ، والعقلاة يُؤيدون مثل هذا العمل] .

كما قال الرسول الكرم ﷺ بهذا الشأن :

« الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة » .

والآية المباركة ٢٢ من سورة الاسراء فيها تعليمات خالدة اني كافية بني البشر للالتزام بالاعتدال في الإنفاق على مر العصور والازمان :

« ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملومة محسوراً » .

* * *

الابعاد عن الجاهلين ومجالسة العقلاه :

يقول الفردوسي :

زنادان نیاپی جزا ز بدتری
نکر سوی بی دانشان ننکری
زنادان ببالد دل سنکد کوه
ازیرا ندارد برکس شکوه
نداند از اغاز آنجام را
نه از ننکن داند همی نام را ...

وهي تعني :

[ان جالست الجاهل فيسبب لك المتاعب ، وعليك ان تحذر من
مجالسة الجاهلين ، فان الصخور تئن من الجهلة ، لأن الجاهل لا يغير
أهمية لعاقبة اعماله ، ولا يفرق بين العز والذل] .

حيث ان الجاهل يغفل العز والذل ويجهل الفضائل ، وكما يقول
الامام علي (ع) : « الجهل بالفضائل من أقبح الرذائل » ، وهو سلام
الله عليه حذر الانسان مرارا من مجالسة الجاهل : (احذر مجالسة
الجاهل كما تأمن مصاحبة العاقل) .. ويقول الرسول ﷺ :
« إياك ومصاحبة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك » .

وحول لزوم مجالسة العقلاه يقول الشاعر الفردوسي :

ذكر باخر دمند مردم تشبن
که نادان نباشد برائین ودين
که دانا تورا دشمن جان بود
به از دوست مردی که نادان بود

وهي تعني :

[التزم مجالسة العقلاه ، لأن الجاهل لا إيمان له .. حيث ان
العدو العاقل افضل من الصديق الجاهل] .

* * *

الاتعاظ واخذ العبرة :

يقول الفردوسي :

زمین کرکشاده کند راز خویش
نماید سرانجام واغاز خویش
کنارش پر از تاجداران بود
برش پر ز خون سواران بود
پر از مرد دانا بود دامنش
پر از ماهرخ جیب پیراهنش
چه افسر نهی بر سرت بر چه تر که
برو بکندرد چنکه و دندان مرکه

وهي تعني :

[لو فصحت الارض عن اسرارها ومكامنها ، فانها ستخرج من
جوفها السلاطين ودماء الفرسان والعلماء وذوي الوجوه المنعمة .. . إذن
مهما يكن فان العاقبة هي الموت] .

ويقول في مكان آخر :

کجا ان سروتاج شاهنشاهان
کجا ان دلاور کرامی مهان ؟
کجا ان حکیمان و دانندگان
همان رنج بردار خوانندگان ؟ .
کجا انکه در کوه بودشن کنام
بریده ز ارام وزنام و کام ؟
کجا انکه سودی سرش را به ابر
کجا انکه بودی شکارش هزیر ؟
همه فال دارند بالین وخشت

ضنك انکه جز تخم نیکی نکشت
 ز خاکیم بایدشدن سوی خاک
 همه جای ترسی است و تیمار ویاک
 جهان سریسر حکمت و عبرت است
 جرا بهره ما همه غفلت است ؟

وهي تعنى :

[أين التيجان والملوك ، أين الابطال والفرسان ، أين العلماء والحكماء ، أين المتكبرين والشجعان ؟ ... لقد ماتوا جميعاً وتوسدوا التراب ، لم يفز بها سوی المحسنين .. نحن من التراب ، ولا بد ان نعود الى التراب .. فالعالم مليء بالحكم وال عبر ، لماذا إذن نفط في الفقلة ؟ ..]

وقد جاء في القرآن الكريم بهذا الشأن :

« فاعتبروا يا أولي الأبصار » (سورة الحشر ٣) .

« أينما تكونوا يدرككم الموت ولم كنتم في بروج مشيدة » (سورة النساء / ٨١) .

« قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل .. » (سورة الروم / ٤٢) .

وهناك قول مأثور عن الإمام علي (ع)
 (ما أكثر العبر وأقل الاعتبار) .

والفردوسي في مكان آخر من الملحمه يذكر بيتاً رائعاً مليئاً بالعبر والدروس :

چنینست کیهان ناپایدار
 تو دروی بجز تخم نیکی مکار

□ الأخلاق الإسلامية □

وهو يعني :

[ما دام الكون لا ولن يبقى الى الابد ، فلا تزرع سوى بذور الخير في هذه الدنيا] .

يبدو اننا أسلينا في الحديث نوعاً ما ، لأننا لو أردنا الاشارة الى جميع الموارع والحكم والآيات الشعرية الأخلاقية والمشبعة بالعبر والدروس التي نظمها حكيم طوس ، والتي يتجاوز عددها مئات الآيات وعلقنا عليها بالأسلوب الذي اتبعتناه آنفاً ، فاننا سنكون بحاجة الى صفحات أكثر من صفحات (*الشاهنامه*) نفسها !! .

لكن وتطبيقاً لقاعدة : ما لا يدرك كله لا يترك جله ... فقد اكتفينا بهذه المعاني السامية . وبدورنا ندعو المحققين والادباء الى مطالعة (*الشاهنامه*) ، او ملخصها الذي اعد قبل عدة سنوات والغور في اعماقها .. وحقاً ان من لا يقرأ (*الشاهنامه*) بدقة لا يمكنه ان يقدر عظمة ومكانة الشاعر الكبير الفردوسي في الادب الفارسي ، بالاخص الجانب الاخلاقي في الملحمه الذي أشرنا اليه آنفاً .

وفي مثل عالمنا المضطرب الذي تغلب عليه (الحضارة المادية) على حساب الجوانب المعنوية ، واتكاء المجتمعات الانسانية على الانانية وحب النفس والاستسلام للاهواء الحيوانية والميول النفسية المنحرفة فضلاً عن شيع الكذب والظلم ومقاصد الحروب وسفك الدماء .. وفي المقابل خفوت بريق الصفات الحسنة الاهادفة الى تهذيب النفوس واشاعة الفضائل الاخلاقية . نقول في مثل هذه الظروف ، فإن وجود هذه الآيات الشعرية المليئة بالقيم والفضائل الاخلاقية والانسانية السامية يمثل بارقة أمل وهدية تضيء الدروب امام البشرية ... وكما يقول عالم التربية الاميركي المعاصر (جان ديوبي) : « يتميز كل فرد من افراد البشر بامتلاكه لقوى ذاتية وكفاءات خاصة ، بحيث انه متى ما ربي هذه

□ الأخلاق الإسلامية □

الكفاءات والقوى ونماها بشكل سليم فانها ستعينه في هذا العالم المضطرب والشاق . لذا فان المهمة الرئيسية التي ينبغي أن يتلزم بها علماء التربية والتعليم هي تربية هذه القوى والكفاءات وتنميتها وتبدلها الى عادات أخلاقية ثابتة » .



□ الاخلاق الاسلامية □

في ح там هذه الدراسة ، يلزمنا ان نشير الى ان الفردوسي كان رجلاً وطنياً وغيوراً ومحباً لوطنه الى أبعد حد ، وأميناً في النقل .. . وتبدو هذه الخصال جلية في عدد من الآيات الشعرية الواردة في الشاهنامه ، مثل البيت الآتي الذي اقتبس معناه من الحديث الشريف : (حب الوطن من الإيمان) :

دریغ است ایران که ویران شود
کنام پلنکام وشیران شود .

وهو يعني :

[أسفًا أن تدمي إيران ، وأن تكون وطنًا للوحوش الكاسرة] .

والبيت الآخر الذي يدل على ما بلغه الشاعر الفردوسي من عزة النفس والرجولة ، وهو مقتبس أيضاً من قول مأثور عن سيد الشهداء الإمام الحسين (ع) : (إني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برمًا) ، حيث يقول :

مرا مرکه بهتر آزایین زندگی
که سalar باشم کنم بنده کی ..

وهو يعني :

[الموت لي أفضل من الحياة التي أكون فيها عبدًا رعم كوني زعيماً] .

والنقطة الأخرى التي وددت انثارتها هنا هي أنه أثناء مطالعتي للشاهنامه لفت نظري ملاحظات مهمة عدة لا باس من الاشارة إليها وهي :

الملاحظة الأولى :

ان الفردوسي عندما يريد ان يذكر النساء او يشير اليهن فيأشعاره فإنه يعبر عنهن بشكل مناسب ومحترم جداً ، مستلهماً بذلك من غيرته

□ الأخلاق الإسلامية

ورجولته ومن القيم والتعاليم الإسلامية الأصيلة التي يؤمن بها ، والتي تعلمها من الآيات القرآنية العديدة الواردة في هذا المجال مثل هذه الآية المباركة :

« وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مُتَاعًا فَاسْتَلوْهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ » (سورة الأحزاب / ٥٤) .

ويتبين ذلك في العديد من الآيات الشعرية ، ومنها هذين البيتين التي يصف فيها أحدي شخصيات قصص الملهمة وتدعى (منيزة) حيث يقول :

بِهِ بَرْدَهْ دَرُونَ رَفَتْ بُوشِيدَهْ رُوَى
بِجُوشِيدَهْ مَهْرَشْ بِجُوشِيدَهْ مُوَى

وهو يعني :

[دخلت إلى المحفل وهي محجبة ، تغطي شعرها وجهها] .

ويقول بلسان حالها :
منيزة منم دخت افراسياب
برهنه نديدي مرا آفتاب ..

وهو يعني :

[أنا منيزة بنت افراسياب ، حتى الشمس لم ترني بغير حجاب] .

الملاحظة الثانية :

ان الفردوسي مع ما كان يكنه للمرأة من احترام وتقدير ويصفها بالالتزام والحجاب ويدعوها الى ذلك ، الا انه كغيره من البشر كان محبًا للمرأة وداعياً الى لزوم الاقتران الشرعي بها والتمتع بذلك في الحياة وطيباتها ، وهو بذلك يجسد معاني الآيتين المباركتين:



«... كلوا من طيبات ما رزقناكم ...» (سورة البقرة/٥٥).
 «قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق»
 (سورة الاعراف/٣١).

■ الأخلاق الإسلامية ■

و كذلك الحديث النبوي الشريف :

« خيركم من لم يترك آخرته لدنياه ، ولا دنياه لآخرته ، ولم يكن
كلا على الناس » . . حيث يقول الشاعر الفردوسي :

اکرشاه دیدم وکرزیز دست
وکریاک دل مسد بزدان پرست
چنان دان که چاره نباشد زجفت
زیوشیدن و خورد و جای نهفت
بویزه که باشد به بالا بلند
فروهشته تابای مشکین کمند
خردمند و بادانش و رای و شرم
سخن کفتن خوب وا وای نرم . .
چوزن خوب رو باشد و بارمسا
مدا و را جهان کسی شناسد بها

وهي تعني :

[مهما تملك من منصب اجتماعي في الحياة ، وسواء كنت سلطاناً او عبداً . . فلا خيار أمامك سوى الزواج ، وتناول الطعام والتزام النوم وارتداء الملابس . .]

لو اخترت زوجة مؤمنة وجميلة ، فهل تعرف شيئاً لها في
العالم ؟ . . .]

وفي بيت آخر يضمنه ما جاء في الحديث الشريف : (من قرر
فقد استكمل نصف الإيمان ، فليتق الله في النصف الباقى) يقول :
چه کهتر چه مهتر چو شد جفت جوى
سوی دین و آینه نهاده است روی

وهو يعني :

[من يلزم على الزواج ، فإنه في الواقع يزيد العمل بدينه وآكمال
إيمانه] .

ويدعو في مكان آخر إلى عدم حمل هموم الدنيا وغمومها حيث يقول :

نبیتی که بکیتی پر از خواسته است
جهانی نجوبی بیاراسته است
کمی نیست در بختش دادگر
همی شادی آرای واندہ نخور
از وتو بجز شادمانی مجوى
بیاغ جهان برکه انه مبوی
پیوش و پیاش و نبوش و بخورد
ترا بهره اینست ازاین رهکذر.

وهي تعنى :

[انظر كيف خلق الله الدنيا جميلة وكاملة ، وعطاء الله ليس
محذداً أو ناقضاً .. اذن اخرج الى الدنيا ولا تحمل الفم .. لا تطلب
من الله سوى الخير والبر ، ولا تحزن ولا تكون مفهوماً من اجل الدنيا ..
اذن كل واشرب والبس ، لأن لا ثمار غيرها في هذه الدنيا] .

والملاحظة الثالثة :

ان الفردوسي في عنوان شبابه لم يكن بحاجة الى اي حد ، وكان
مكتفيا ذاتيا .. الا انه انفق كل ما كان يملك من مال في نظم ملحمته
الرائعة « الشاهنامه » ، ونتيجة لوشایة الحساد والمفرضين ، فقد
أساء له السلطان محمود الفزنوي ، مما ادى به آخر أيامه الى ان يعاني
من العوز والفقر المادي الشديد ، وقد اشار الى ذلك مرارا في ابيات
شعرية ، نظمها بهذا الشأن ، وفيها يشكو من الدهر وتقلب الايام ونواب
الزمان التي لا ترحم ابدا .. الا انه رغم ما عاناه وتحمله من صعاب ، فقد
كان يسلم امره الى الله ، مستلهمما معانى التوكل على الله والتسليم لهم
الآلية المباركة :

« إنما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ... » (سورة
يس / ٨٢) .

□ الأخلاق الإسلامية □

وبهذا الشأن نورد الآيات الآية المضمنة للمعنى الآفة الذكر :

الا ای بر اوژده چرخ بلند
 چه داری به پیری مرا مستمند
 چون بودم جوان برترم داشتی
 به پریدی مرا خوار بکذا شتی
 چنین داد پاسخ سپهر بلند
 که ای مرد کوئیده بی کزند
 چرابینی از من همی نیک وید
 چنین ناله از دانشت کی سزد ؟!
 تو از من به هر باره بی برتری
 روان را به دانش همی بروزی ..
 از ان جوی راهت که راه افرید
 شب و روز و خورشید و ماه افرید
 چو کوید بیاش آنجه کوید بدست
 کسی کو جز این داند او بیهدست
 به یزدان کرای و به یزدان پناه
 براندازه زو هر چه خواهی بخواه

وهذه الآيات تعني :

[يا دنيا .. لم كنت سعيدا في حباتي حينما كنت شابا ، و خارت
 قواي في كهولتي ..

أجابتـهـ الدـنيـاـ ، لم تـنـسبـ الجـيدـ والـسيـءـ لـيـ ، وهذا بـعـيدـ عنـ عـقـلـكـ
 وـحـكمـتـكـ .. لـابـدـ انـ تـاخـذـ معـالـمـ الطـرـيقـ منـ خـالـقـ الـكـوـنـ وـالـشـمـسـ
 وـالـقـمـرـ وـالـلـيـلـ وـالـنـهـارـ .. لـانـ اللـهـ انـ أـرـادـ شـيـئـاـ فـانـهـ يـقـولـ لـهـ كـنـ فـيـكـونـ ..
 وـلـوـ اـعـتـقـدـ الـإـنـسـانـ بـغـيرـ ذـلـكـ ، فـانـهـ يـفـكـرـ عـبـثـاـ ، فـاستـعـمـنـ بـالـلـهـ
 وـتـوـسـلـ بـهـ ، وـلـاـ تـطـالـبـ أـدـنـىـ شـيـئـاـ مـنـ سـوـاـهـ] .

وهكذا نرى أن هذا الإنسان المؤمن بالله وبمشيئته ، والمتوكل عليه والمستعين به ، فنه اقتدى في حياته بمولاه علي بن أبي طالب (ع) الذي يقول في « دعاء كميل » : « اللهم اجعلني بقسمك راضيا قانعا ، وفي جميع الاحوال متواضعا ». ونختتم جولتنا بهذه الآيات الشعرية الرائعة الملائقة بالحكم والمواعظ والعبر التي اقتبسناها من ملحمة الفردوسي الشعرية « الشاهنامه » .. وهي لما تحويه من معانٍ ومضامين معنوية وأيمانية أصيلة ، تعتبر بحق من مفاخر الشعب الإيراني ، وكل الناطقين بالفارسية :

بياناً جهان رأيه بـ سپریم
به کوشنس همه دست نیکی بریم
نباشد همی نیک وید بایدار
همان به که نیکی بود یاد کار
همان کنج دنیار و کاخ بلند
نخواهد بدن مرثرا سودمند
به نیکی کرای و میازار کسی
ره رستکاری هیمن است و بس

وهذه الآيات تعنى :

تعال لكي لا نودع الدنيا بالسيئات من الاعمال ،
ولنسع معا لتأدية الاعمال الصالحة ،
لان العمل الصالح والسيء لا يdomان ،
إذن لنترك من بعدهنا الصالح من الاعمال ،
فالكتوز والقصور لانجني منها اي ربح ،
إذن فلا بد ان تعمل صالحا ولا تؤذى احدا
وهذا هو طريق الفلاح الاوحد ..

* * *

العارف الفيلسوف

الشيخ احمد الغزالى

هادى عادل بور

هو شيخ المشايخ مجد الدين أبو الفتوح احمد بن محمد الغزالى الطوسي ، الاخ الاصغر لحجۃ الاسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالى الذي ولد عام ٤٥٠ هـ . ولم أجد في أي مصدر ذكرًا لسنة ولادته ، بل وجدت أنه كأخيه الاعظم محمد بدأ ، منذ سنينه الاولى ، دراسة العلوم الدينية ، ثم أصبح من علماء الشافعية ، وكان يميل الى الوعظ ويقول عنه ابن خلكان ، انه كان من أساتذة الوعظ .

وفي عام ٤٨٨ هـ . عندما قام أبو حامد الغزالى برحلته التي استغرقت عشر سنوات ترك أخاه احمد مكانه للتدریس في المدرسة النظامية ببغداد .

كان الشيخ احمد الغزالى يتبع طريقة أبي بكر النساج ، وقد تخرج على يده العدد الكبير من مشايخ التصوف والعرفان .

وعن وفاة الشيخ فأن ابن خلكان يذكر انه توفي عام ٥٢٠ هـ في قزوين .

□ المسارف الفيلسوف □

وذكر ابن الأثير في تاريخه لسنة ٥٢٠ هـ . (ج ١٠ ص ١٤٠ طبعة دار صادر - بيروت ١٩٧٩) ما يلي :

« وفيها توفي أبو الفتح احمد بن محمد الفزالي ، الواقف ، وهو أخو الامام أبي حامد محمد ، وقد ذمه أبو الفرج بن الجوزي بأشياء كثيرة منها روايته في وعظه بالاحاديث التي ليست له بصحيحة ، والعجب انه يقدح فيه بهذا ، وبتصانيفه وبأن وعظه محسوبه ، مملوء منه ، نسأل الله ان يعيذنا من الوقيعة في الناس ، ثم ياليت شعري أما كان للفزالي حسنة تذكر مع ما ذكر من المساوىء التي نسبها اليه لئلا ينسب الى الهوى الاغراض ؟ » .

واما الشاعر العارف عبد الرحمن الجامي فانه يذكر عام ٥١٧ هـ لوفاة الشيخ احمد الفزالي .

* * *

مؤلفاته : أهم تصانيف الشيخ احمد الفزالي هي :

- ١ - احياء الاحياء : ويسمى « لباب الاحياء » ، وهو مختصر كتاب « احياء علوم الدين » من تأليف أخيه محمد .
- ٢ - السوانح « في معانى العشق » : او « سوانح العشاق » ، وقد كتبه الشيخ لمزيده « عين القضاة الهمданى » ، وسنتحدث عن هذه الرسالة . . .
- ٣ - بحر الحقيقة .
- ٤ - بحر المحبة ، في شرح قصة النبي يوسف(٤) .
- ٥ - سوط السلوك .
- ٦ - الذخيرة في علم البصيرة .
- ٧ - الرسالة العشقية .
- ٨ - كتاب الحق والحقيقة .
- ٩ - كتاب المجالس ، او مجالس الشيخ احمد .
- ١٠ - المكاتيب .
- ١١ - اليمينية .

* * *

□ الفارف الفيلسوف □

لاشك ان «العشق» اهم موضوع في آداب الشعوب ، فرغم ان هذا المضمون كان يظهر من بين سطور التصانيف الادبية ، من نظم ونشر، الا ان كتابا مستقلة أيضا كتبت عنه في الثقافات واللغات المختلفة ، من النواحي الادبية والاجتماعية والفلسفية والعرفانية .

وأهم كتاب قديم ، في هذا المجال ، هو كتاب «المحاورات» لـ«فلاطون» المتوفى عام ٣٤٧ ق.م. ففي هذا الكتاب الادبي الفلسفي يعرف «فلاطون» المعاني المختلفة للعشق ، ويعتبر حقيقة العشق عشقا بالحسن والجمال .

وقد أثر هذا الكتاب في مؤلفات الكتاب الاوربيين فيما بعد ، ولم تبق المؤلفات الفلسفية الاسلامية بعيدة عن تأثيره .

واما في الثقافة الاسلامية ، فقد اهتم المسلمون بموضوع «العشق» منذ ان بدأوا يهتمون بالفلسفة والعلوم المختلفة ، وقد التفوا كتابا قيمة في هذا الباب .

ومن الكتب التي ألفت في القرن الثالث والرابع والخامس الهجري عن «العشق» يمكن الاشارة الى كتاب «الزهرة» لـ«ابي بكر محمد بن داود» ، المتوفى عام ٢٩٧ هـ .

وهناك رسالة «في ماهية العشق» لـ«اخوان الصفا» ، و «رسالة العشق» للشيخ الرئيس ابى علي بن سينا المتوفى عام ٤٢٨ هـ .

هذا بالإضافة الى كتب ورسالات اخرى ادبية اكثر منها فلسفية، او نظرية . من بينها ، «مصارع العشاق» لـ«ابي محمد جعفر بن احمد السراج القاري» المتوفى عام ٥٠٠ هـ ، وكتاب «طوق الحمام» لـ«ابن حزم الاندلسي» المتوفى عام ٤٥٦ هـ .

واما بين تصانيف الصوفية فاننا لانجد اثرا كاملا ، باستثناء رسالة لـ«حارث المحاسبي» «١٦٥ - ٢٤٣ هـ» تحت عنوان «فصل في المحبة» .

□ المارف الفيلسوف □

- راجع ج ١ ص ٧٨ من « حلية الاولياء » لأبي نعيم الاصفهاني -
ونقول ، ان التصنيف الكامل للصوفية عن « العشق » هو كتاب « عطف
الالف المألف على الكلام المعطوف » من تأليف أحد تلامذة أبي عبد الله
محمد بن خفيف الشيرازي ، واسمها أبو الحسن علي بن محمد الديلمي ،
والكتاب باللغة العربية ، ولا نعرف عنه أكثر من هذا .

اما كتاب « السوانح » فهو اول كتاب مستقل باللغة الفارسية عن
« العشق » ، ولكن قبل هذا الكتاب خصص « أبو الحسن علي بن
عثمان بن أبي علي الجلابي الفرزنوی الهجویری » قسماً من كتابه « كشف
المحظوب » للعشق ، وكذلك فعل اخو كاتبنا الشيخ أبي حامد محمد
الفزالي في كتابه « كيمياء سعادت » - أي كيمياء السعادة .

وعليه فاننا لانجد كتاباً مستقلاً عن « العشق » حتى ذلك التاريخ
ولذا يعتبر الشيخ احمد الفزالي اثرائد في هذا الباب .

رغم ان كتاب « سوانح » عرفاني وصوفي محض ، فهو تصنيف
ادبي ايضاً ، ويشبه الى حد ما الكتاب الفلسفى المنسوب الى « الفارابي »
والسمى « نصوص الحكم » ، الا ان لفته ، في الوقت نفسه ، نثر شاعري
وفصوله قصيرة تتخللها أبيات شعرية للكاتب نفسه ، او من الشعر الذى
كان متداولاً في زمان الكاتب .

في الواقع يمكن القول ، ان الشيخ احمد الفزالي قد ابتكر استلوباً
جديداً في الكتابة في الادب الفارسي ، اذ ظهرت بعده كتبًا مثل ، « لوائح »
لحميد الدين الناكوري « وهو منسوب أيضًا لعين القضاة الهمذاني » ،
و « ملئات » لفخر الدين العراقي ، و « لوائح » لعبد الرحمن الجامي .

* * *

كما قلنا فان كتاب « سوانح » هو كتاب صوفي عرفاني محض ،
ولم يسبقه كتاب باللغة الفارسية عن « العشق » .

□ الم Lair الفيلسوف □

وقد جاء في تعريف «العشق» في كتاب «شرح لمعات» لشاعر نعمت الله ولی : « انه علم ذوقی ينزل من عالم الانوار على القلب الانساني ... » .

وهذا يعني ان المعانی التي تأتي في قالب العبارات هي نتيجة التجربة المعنوية والعرفانية للكاتب حيث تمكّن الشیخ احمد الفزالي ، اثر السیر والسلوك ، وتحت تأثیر غلبات العشق ، من الوصول اليها عن طريق الذوق .

* * *

موضوع كتاب «سوانح» للشیخ احمد الفزالي هو «العشق» - كما قلنا - ولكن ليس العشق الانساني ، او حتى العشق الالهي ، وإنما «العشق» بصورة مطلقة ، او حقيقة «العشق» الذي يخرج من قوس النزول مع الروح من مرتبة الاطلاق الى مراتب «العشق» و «العشوق» ، ثم يدخل قوس الصعود ، ويختار هذه المراتب ليصل الى حقيقته التوحيدية . وضمن هذا السیر الصعודי يتحدث الشیخ احمد الفزالي بلغة شاعرية عن حالات العاشق ، والحرقة ، ونیم الفراق وحزن الهجر ، ليخلق اثراً نسبياً خالداً عن «العشق» .

ويجب القول ان كتاب «سوانح» ، ليس من حيث الصورة ، وإنما من الجانب المعنوي - قد أثر بصورة مباشرة ، او غير مباشرة ، في آثار كبار أدباء الصوفية ، أمثال عین القضاة الهمذاني ، وهو أبو المعالي عبد الله بن محمد بن علي الميانجي الهمذاني من تلامذة الشیخ احمد الفزالي و عمر الخیام ، المتوفى عام ٥٢٥ هـ .

ومن الذين تأثروا بالكتاب الشاعر والعارف فخر الدين ابراهيم الهمذاني العراقي صاحب «عساقنامه» - توفي عام ٦٨٠ هـ - . والشیخ نجم الدين الرازی المعروف باسم «دایه» صاحب كتاب «مرصاد العباد» - توفي عام ٦٤٥ هـ - .

□ المزارف الفيلسوف □

ومولانا جلال الدين محمد بن بهاء الدين محمد الولوي - الرومي،
المتوفى عام ٦٧٢ هـ صاحب السفر الجليل « مثنوي معنوي » والكثير
من المؤلفات النثرية والشعرية .

* * *

كتب الاستاذ نصر الله يور جوادي كتابا باسم « سلطان طريقت »
بالفارسية ، شرح فيه أصول تصوف الشيخ أحمد الفزالي ، وأهمية
كتاب « سوانح » في تاريخ التصوف في ايران ، وتناول أحوال أنسشيخ
بصورة مفصلة ، فمن أراد المزيد يمكنه مراجعة الكتاب المذكور .

* * *

كتاب « سوانح » صغير ، يقع في خمس وخمسين صفحة تضم
سبعين فصلا ، وقد يزيد الفصل عن الصفحة الواحدة ، وقد
لا يتجاوز بضعة أسطر .

وتسبق الفصول مقدمة حول ما يضم الكتاب من موضوع «العشق»
وان الشيخ قد أجاب طلب صديق عزيز عليه ، اسمه صاين الدين ، في
أن يكتب له شيئا في « معنى العشق » ، يقرؤه عندما يخلو إلى نفسه ،
ويقول الشيخ انه لبى طلب الصديق في ذكر حقائق العشق وأحواله
وأغراضه .

ثم يختتم المقدمة بهذه البیتين :

اذا ما ظئت الى ريقها
جعلت المدامۃ منه بدیلا
واین المدامۃ من ريقها
ولکن اعلل قلبا عليلا

وأما الفصل الاول من الكتاب فإنه يبدأ بهذه العبارة:
« قال الله تعالى : يحبهم ويحبونه » - الآية ٥ من سورة المائدة .

□ الفارف الفيلسوف □

ان ذكر هذه الكلمات القرآنية في بداية « سوانح » تدفع للتأمل .
ويمكن القول ان الشيخ الفزالي جعل من فصول كتابه هذا شرحا وتفسيرا
لهاتين الكلمتين القرآنيتين .

وبعد ذلك يأتي برباعيتي له هما :

باعشق روان شداز عدم مركب ما
روشن ر جراغ وصل دائم شب ما

زان می که حرام نیست در مذهب ما
تا باز عدم خشک نیابی لب ما

بالعشق ولندا وجئنا من العدم ..

وقد تنور لينا بمصباح الوصول ..

وليس الشراب حراما في مذهبنا ..

لاننا اذا متنا ستبقى شفاهنا مرطبة ..

عشق از عدم از بهر من آمد بوجود

من بودم عشق را ز عالم مقصد

از تو نبرم تا نبرد بوی ز عود ..

روز وشب وسال ومه على رغم حسود

لقد جاء العشق من العدم من اجلی

والعشق وجد في العالم من اجلی

ولا انقطع عنك حتى تنفصل الرائحة انزكية عن عود الندى ..

كل ذلك موجود رغم الحسود، ليلا ونهارا، وكل شهر وسنة ..

ويعقب الشيخ هاتين الرباعيتيين ببيت من الشعر العربي :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى

فصادر قلبا فارغا فتمكنا

□ المدارف الفيلسوف □

بعد ذلك يبدأ الكاتب الشاعر الفيلسوف العارف الشيخ أحمد الغزالي بشرح الموضوع الذي ورد في الأبيات الشعرية . ولكن الملاحظ أن ما يكتبه الشيخ ، في نفس الوقت ، يحتاج إلى شرح مطول أضعاف شرحه لأنها يأتي بالاصطلاحات العرفانية ، مثلا ، نجد أن كلمة « وقت » التي يذكرها بمعناها العرفاني يحتاج شرحها إلى صفحة كاملة، ونستطيع القول أنه يقصد بـ « الوقت » – حكم الوقت – وهو في نظره منشأ جميع هذه الأحكام ، أي المعانى الثلاثة : الوصل ، الذي يغلب على العبد مثل القبض والبسط أو الحزن والسرور ، وهو الأول ، ويسميه الكاشاني – المعنى العام – .

والثاني : هو الوقت المختص بالسلوك ، أي الحالة التي تقلب عليه ويسمى أحيانا ابن الوقت ، والثالث هو الوقت الذي بين الماضي والحاضر وهو ما يشير إليه القشيري ، وهذا الوقت ، بين أصحاب التمكين ، وقت دائم سرمدا .

* * *

وهذا نموذج آخر ، هو انفصل ٦٢ ، انتخبناه للاءمنة لما نقتطفه من نماذج ، وليس نموذجا لكل الكتاب ، فلكل فصل موضوعه ، وتناوله الخاص .

« اکر جه عاشق باعشق آشناست
با معشوق هیج آشناei ندارد . »
کر زلف توسلله است دیوانه منم
ورعشق توآتش است پروانه منم
پیمانه ترا بشرط پیمانه منم
با عشق تو خویش وازتو بیکانه منم

□ المزارف الفيلسوف □

عاشق مسکین درویش بغايت است ، جنانکه کنت :
در کوی خرابات یکی درویشم
ران خم زکات می بیاور بیشم
هر جند غریب وعاشق ودلریشم
جون می بخورم ز عالمی ننديشم
* * *

ترجمه هذا الفصل هي :
رغم أن العاشق له معرفة بالعشيق ، ولكنه لا يملك معرفة
بالعشوق .

- اذا كان زلفك سلسلة فانا الجنون
 - واذا كان عشقك نارا فانا الفراشة ..
 - ان المعهد الذي قطعته معك يشترط بالكأس ..
 - وفي العشق انا قريب منك، وفي نفس الوقت انا غريب عنك
- ان العاشق المسكين غايته ان يكون دروشا ، كما قال :
- اني في حارة الاطلال « خرابات » درویشن ..
 - فهات لي زکاة من شراب ذلك الزقاق ..
 - فمهما اكون غريبا ، عاشقا ، ممزق القلب
 - فانا ان تناولت شرابا فلن افكر في الدنيا .
- * * *

ونختتم حديثنا عن الشيخ العارف احمد الفزالي بنقل الفصل
السابع والسبعين من كتابه « سوانح » ، وهو خاتمة الكتاب :

« عقول را دیده بربسته اند از ادراك ماهیت وحقیقت روح ،
وروح صدف عشق است ، بس جون به صدف علم را راه نیست ،
به کوهر مکنون که در آن صدف است جکونه راه بود؟! »

□ المصارف الفيلسوف □

اما بر سبیل اجابت التماس این دوست عزیز ، اکرمه الله تعالیٰ،
این فصول وابیات اثبات افتاد ، اکرجه که : « کلامنا اشاره » از بیش
برپشت جزو اثبات کرده ایم تا اکر کسی فهم نکند معمتو ر بود ، وست
عبارت بر دامن معانی نرسا که معانی عشق بس بوشیده است :

عشق بوشیده است هر کز کس ندید ستش عیان
لافهای بیهده تاکی زند این . عاشقان
هر کس از بندار خود در عشق لافی می زند
عشق از پندار خالی وزچین و از چنان

وترجمة هذا الفصل هي :

لقد أغلقوا عيون العقول التي لا ترى الماهية وحقيقة الروح، والروح
صدف العشق ، بما أن العلم لا يصل إلى الصدق فكيف يمكنه أن يصل
إلى الجوهرة « التي هي الماهية » داخل الصدف!؟

ولكن اجابة السؤال هذا الصديق العزيز ، اکرمه الله تعالیٰ، فاننا
اثبتنا هذه الفصون والابيات ، رغم ان « کلامنا اشاره » ، وهذا ما
اثبتناه مقدما ، فان لم يفهم أحد فليغذرنا ، فان اليد لا تصل الى عمق
المعاني ، لأن معنى العشق خفي .

— العشق مستور لم يره أحد علنا ..

— فالى متى يجرف هؤلاء العشاق الذين يدعون معرفة معانی
لعشق ...

— كل واحد يقول شيئاً ممّا يتصوره في أفكاره .

— بينما « العشق » يختلف عن كل هذه الأفكار .

هادی عادلبور



المصادر

- ١ - تاريخ ادبیات درایران - الدكتور ذبیح الله صفا - ج ٢
- ٢ - حلیة الاولیاء - ابو نعیم الاصفهانی - ج ١
- ٣ - سوانح - الشیخ احمد الفزائی .
- ٤ - مقدمة كتاب (سوانح) - نصر الله بورجوادی .
- ٥ - اسرار نامه - الشیخ فرید الدین العطار - والمقدمة للدكتور سیده صادق کوهربن .
- ٦ - إلهي نامه - الشیخ فرید الدین العطار .
- ٧ - تذكرة الاولیاء - الشیخ فرید الدین العطار .
- ٨ - حدیقة الحقيقة وشیرعة الطریقة - السنانی .
- ٩ - دستور الاخوان - قاضی خان بدر محمد وهار .
- ١٠ - طبقات الصوفیة - الشیخ عبد الله الانصاری - تحقيق عبد الحی حبیبی .
- ١١ - عرفاء الاسلام - رینولد ان نیکلسون .
- ١٢ - الكامل في التاریخ - ابن الأثیر - ج ١٠
- ١٣ - وفيات الأعیان - ابن خلکان .
- ١٤ - نعمات الانس - عبد الرحمن الجامی .
- ١٥ - فرهنگ ادبیات فارسی دری - زهرای خانلری .
- ١٦ - رشف الالحاظ في کشف الالفاظ - شرف الدین حسین بن الفتن التبریزی (القرن الثامن) .
- ١٧ - سرحشمه تصویف درایران - سعید نفیسی .

بروين اعتمادي

صَوتُ الْمَرْأَةِ الْمَنَاضِلَةِ

د. عدنان محمد آل طعمة

ادت ولادة ایران الحديثة الى تغيير مسار الحياة كلها على الطراز الغربي وابعاد عصر جديد يعطي المرأة الايرانية حقوقا لم تألفها من قبل وهي المساواة في العلم والتعليم والحياة الاجتماعية ، والوقوف جنبا الى جنب مع الرجل في اعمال الدولة ووظائفها في مختلف شؤون الحياة العملية ، والمشاركة في جميع المرافق الخدمية ، وكذلك في اطار الادب والشعر والفن .

وظهرت بعض النساء الايرانيات اللاتي لم يكن حظهن اقل من سلفهن المعدودات في تاريخ الادب الايراني القديم ، وبروين اعتمادي هي واحدة من أشهر النساء الايرانيات في هذا العصر .

ولدت بروين اعتمادي في مدينة تبريز سنة ١٣٢٨ هـ - ١٩١٠ م فتحت عينيها على الحياة وقد فقدت والدتها صغيرة ونشأت اليتم معهما ورافقتها حتى اللحظة الاخيرة من حياتها ، وكان أبوها يوسف خان الانشیانی الملقب باعتماصم الملك « اعتمادي » قد انتقل بها الى طهران في وقت مبكر ، وفي هذه المدينة تعلمت بروين دروس اللغة العربية وآدابها

□ صوت المرأة المناهضة □

إلى جانب اللغة الفارسية والادب الايراني فاحتاطت علماً ومعرفة بكتاب الكتاب والأدباء وأعمالهم . كان والدها يرددناها باخر نتاجاته الأدبية التي يترجمها من اللغة العربية والفرنسية لبعض عمالقة الفكر والادب ، كما كان يشرف على مجلة ادبية اسمها - بهار - وقد نشرت بروين أول قصائدها في هذه المجلة فيما بعد .

ورغب الاب ان تكون ابنته اليتيمة بروين على خط وافر من التعليم وان تتمتع بحرية اوسع ، وتنهل في الثقافات الاجنبية فادخلها المدرسة الامريكية للبنات ، وتفرغت الفتاة لدراسة اللغة والادب الانكليزي وتعرفت على كبار الكتاب في انجلترا وأمريكا ، وأكملت دراستها على خير وجه . وقد حافظت بروين على شخصيتها كامرأة شرقية لها خصائصها الخاصة ، فكانت محافظة وزاهدة في الحياة ، كما أنها لم تشارك أصلًا في حركة تحرر المرأة الايرانية ، لأنها كانت تعتقد أنه من الأفضل لتحسين وضع المرأة في ايران ، ان تشتراك مجموعة أكبر من النساء من السن من طبقتها الاسرية بفاعلية وجدية أكثر وليس على طريقة الفرب ، او الله ملكه ! ! .

* وحينما بلغت الثامنة والعشرين من عمرها اقترنـت بابن عم والدها ، وكان عليها ان تذهب معه الى مدينة كرمانشاه ، لكن يبدو ان زواجهـا هذا لم يكلـل بالنجاح فبعد مضي شهرين ونصف تركـتـ بيت الزوجـية وعادـت الى طهرـان تعيشـ مع والدهـا وانفصلـت رسمـيا والـى الـابـد عن زوجـها بعد تسـعة شـهـور .

* عملـت بـروـين أمـينة لـكتـبة مـعـهد التـربية وـالـعلوم العـالـي بـطـهرـان ، وـالـذـي كانـ فيما بـعد نـواـة لـكـليـات التـربية وـالـعلوم وـالـانـسانـيات .

كـانـت بـروـين اـعـتصـامي منـ العـالـمـات البـاحـثـات وـعلـى مـعرـفة تـامـة بالـادـب الانـكـليـزـي وـقد سـعـى رـضا شـاه فيـ حـركـته التـجـديـدية الىـ انـ

يجعل منها امرأة عصرية بمفهومه الخاص لكنها رفضت عروضه ومغرياته،
 وامتنعت عن السير في هذا الاتجاه .

بدأت بروين نظم الشعر في سن مبكر ، وكان والدها يصحح لها
شعرها وينشره في مجلته - بهار - السالفة الذكر ، وحينما ظهر نجمها
في الأفق اعتقد كثير من القراء ان بروين اسم شاعر يرتدي ثوبا حريرا
ويتزينا بعباءة مخملية وأن شعرها عليه سمات الرجل وخصائصه ، لكنها
قطعت دابر الشك باليقين ، والمقطع التالي ترد فيه على أولئك الذين لم
يفهموا شعرها بعد :

يجب أن يصفو القلب
أن ينقى من غبار الفكر المنحرف
وليعلم الشيطان أن المرأة
ليست للعب .

* * *

من ظن بروين من بعض أهل الفضل
وحل اللفر أفضل ، نقول :
أن بروين ليست رجلا .

* نشرت بروين أول طعة لديوانها سنة ١٩٣٥ ، وكان يحتوي
على « ٥٠٠ » بيت مع مقنعة أدبية رائعة كتبها ملك الشعراء بهار، وقد
ضمن فيها رأيه في شاعرة العصر فجعلها في صفوف الشعراء الايرانيين
الأوائل ، ويكتفي قصيدها رحلة الدموع « سفرا شك » لأن تبرزها إلى
الصف الامامي ، وتجعلها من الدرجة الأولى : ويرى ملك الشعراء أن
شعر بروين يمكن مقارنته بشعر سالار الشيرازي في ملامحه الاخلاقية
والتربيوية وكذلك بشعر غير الانجليزي ، والشاعر الايراني القديم ابن

يمين م/ ٧٧٠ هـ وبعد وفاتها بشهور في سنة ١٩٤١ ، قام أخوها أبو الفضل اعتصامي باعادة نشر ديوانها مع اضافة ٥٨ قصيدة جديدة لم تنشر من قبل .

تنوعت الاشكال الشعرية عند بروين اعتصامي الى عدة انواع فقد ضمت قصائد ومقطوعات دوببيات وغيرها ، كما تضمنت معاني اخلاقية وتربيوية وتعلمية ومفاهيم اجتماعية، ورؤى واقعية ومن افضل قصائدها العناوين التالية :

الطفل اليتيم ، بوسنا من جور الاغنياء ، الكادح .
رحلة الدموع ، الذرة ، كعبة القلب ، لآلئ الدموع
اللؤلؤ والحسن ، لطف الحق ، نفمة الصباح ، وغير ذلك .

وشعر بروين يفيض بالاحاسيس الجياشة ، ويتمتع بجازبية مفرطة خاصة قصيدها الطفل اليتيم ، لأنها قد فقدت والدتها منذ نعومة اظفارها وعانت من الوحدة ، وكان شعرها يفيض بعشق الام التي حرمت من حنانها وحبها ، وشعرها هذا يتذبذب من قلبها المفعم بالحزن أيام الطفولة . وينشد لذلة الحرمان ، ويرقص على نغمات ناي ليل طويل ، أنها زفات صادرة من أعماق الطفلة التي لم تر نور وجه والدتها والابيات التالية تصور هذه الاحاسيس خير تصوير :

أشياء ، رأيتها ونم أحبتها
آه ياقلبي ، إنك قلب ولست حديدا
لم أر وجه أمي أبدا
والطفل اليتيم عيونه ليست فرحة
كم جميل نور وجه الأمهات
تكن لماذا لأرى نوراً أمامي

قرأت في الطالع

سعيد من له أم

قال وانا

انا الذي ليس له أم

قال الطفل لي : أين دارك

قلت : هناك حيث لا يوجد بيت

* * *

انا لم أذهب مع الاطفال ألعب

في الحدائق ، في الرياض

فحظ البائسين ليس السرور

* * *

فلك الزمان ، رماني بكل أحجاره

فم يبق في المقلاع أحجار آخر (*)

وتأسى بروين للقراء من جور الاغنياء ، فتحاول أن ترسم لوحتها
بألوان بنفسجية مزينة وتحدث عن ظلم الاغنياء للقراء بأحساس
رقيقة جدا ، وتصور مشاهد من بؤس القراء ووضعهم المزري في ظل
الطبقية البغيضة نتيجة الظلم وانحصار الذي يقع على الكادحين ، وفي
قصيدتها - الكادح - تصور شيخا مزارعا يوصي ولده ان يسير على
خطاه بعد موته في الحفاظ على الارض وزراعتها والاستمرار في العمل
للحصول على خبز يومه من عرق جبينه وكده يمينه . لكن الشاب يرفض
وصية والده ، ولا يرضى الا باخذ حقه من الاغنياء بالقوة والانتقام من

(*) اي لا توجد مصيبة الا ونزلت بي .

□ صوت المرأة الناصلة □

ظلمهم لأبيه ، وظاهر الاحسیس الفیاضة والعواطف الصادقة في هذه
القصيدة وكانتها تتکلم :

قال :

هكذا يا أبي ، يا صاحب الرأي الحسن
يؤوسنا من فعل ظلم الاغنياء

* * *

عند الاغنياء كل شيء ساكن ومريج
اما نصيبينا فهو فم وحزن وابتلاء

* * *

الجاه والاقبال والانعام والحكم لمديهم
ان كان هذا حقهم ، ياترى أين حق الفقراء

* * *

قوتنا من دمنا ، نأكل من أكبادنا
كل ما نعمل في أيامنا ، فهو في فم الثعبان(١)

* * *

غلة ماعندنا ، ذا البيشر أمامنا
حطب ما عندنا ، هذا الشتاء قد جاءنا

* * *

غلتنا يحملها الآخرون ، ويمضون بها
اما شقاونا ، أتعابنا
فلم اذا لم يطالب بها واحدنا

* * *

(١) اشارة الى اسطورة فارسية قديمة ..

شقاونا ، في الشجاع ، في الطين ، في السيل
تحت المطر . قامة الفلاح ياشيخنا
اصبحت نصفين في ارضنا

* * *

سفرتنا خالية ، لا خبز فيها لا مرق
ياشيخنا ، بطوننا جائعة
قريتنا جائعة . من فعل ظلم الاغنياء

* * *

ياشيخنا .. ان لم يكن في بيتنا زيت
وحبينا ، لم نجد نوراً ،
فمتى يكون بيتنا مضيئاً ، كل ليلة !

* * *

وقد تبلورت فكرة الدفاع عن حقوق القراء والكادحين والمناضلين
لدى بروين اعتصامي ، وطافت مشاعرها وأحساسها العميقه فياضة
تصور شقاء العمال وبوسهم وجرمانهم ، وهذه قصيدة من قصائدها
تصور فيها الصراع بين أرباب الثروة والعمل وبين العمال والكادحين
وعنوانها - الكادح - تقول فيها :

أيها الكادح ، حتم تحت الشمس ، تهلك روحك ؟
أيها الكادح أن ترمي - بنفسك - من أجل رغيف
الخبز أو شربة ماء !!

* * *

أيها الكادح ، من أجل هذا كله
انت ذليل وسحيق ، تحت الشمس

تشقى ، في الارض تشقى !!
في العواصف .

أيها الكادح ، خبرني ماذا ستجني ؟
غير شكراء ، وعتابا وبصعة كلمات ..

* * *

أيها الكادح سل عن حقوقك
لاتخف من جناب الخان أو ذلك
الجناب العالي .

* * *

لاتخش من ابليس ، فهو طماع حريص
خذه واحبسه - أنها الكادح -
كي تبدو صورة الشيطان حقيقة عارية

* * *

ذاك الذي يبدو نظيفا صافيا ، يقطر سما
يأكل لحمك شيئا - أنها الكادح - فهو غراب

* * *

لو نام أطفالك جوعا
لاتبال .. أنها الكادح
فالقطط يعلمه كبابا كل ليلة(1)
إن لم يسمح لك أن تضيء ماحولك
فلا تيأس أنها الكادح ،
فالبلدر سينير الليلة من حولك

* * *

(1) اشارة الى المثل : لو تركت القطط ليلا لنام .

□ صوت المرأة الناصلة □

العلم يليق بالخانات وأبنائهم
فبماذا تستفيد من كتابك ؟
أيها الكادح ، وبماذا ينفعك ؟

* * *

كل ما يلبس الخانات من ثياب
فهي جميلة
اما انت فكل ثيابك فيها الكادح ،
مرفة وبالية (١)

* * *

ثيابك رثة ، ووجهك كالح اللون
في الطين والتراب ،
انت من يجب ان تتحاشاه
أيها الكادح !!

كل ما يصدر من احكام في هذا المحضر جائز
لا خير يرجى من قرارات القضاة !

* * *

* وعقيدة بروتون في وظيفة المرأة ورسالتها مستعدة مما هو في
الغرب ، وقد تأثرت بالفكر الاوربي وما اطلعت عليه من حركات تحرر
المراة ، ولكنها كانت تجد في المرأة الشرقية ميزة مختلفة ، وكانت ترى ان
الرجل والمرأة متساويان في الحقوق والواجبات ووظائف الدولة وكذلك

(١) اي معزقة ومخاطة كبيرة .

الوظائف الاجتماعية ؛ ويجب ان يقفوا معاً جنباً الى جنب في تحمل مشاق الحياة :

يا ايها الحكيم المارف ! اخبرني عن وظيفة المرأة والرجل
قال : السفينه ، والسفان
فإن كان السفان عاقلاً ، وادارته محكمة
فلماذا الخوف من الامواج والطوفان
والانحراف الطاغي ..

* * *

في مواجهة حوادث الدهر
ومشكلات العصر واليوم
سنرى سعيهما معاً منها ومنه

* * *

دائماً ، فتاة اليوم هي أم الغد المشرق
فالام الوعية تصنع الرجال .

* * *

تعنى بروين اعتصامي من شعراء العصر الحديث في ايران من وجهة نظر الباحثين في الادب الايراني فقد اضافت شيئاً جديداً للادب الحديث وأدخلت في شعرها مضموناً جديداً وصاغته باسلوب سلس ، ولغة سهلة ومعانٍ جميلة وجذابة ، وأكثر شعرها يتناول مضموناً تربوية وأخلاقية وموروثات مقتبسة من الثقافة العربية والاسلامية . وفي اسلوبها نرى العفوية والبيان الجميل والسبك المحكم في صياغة العبارة والاحساس الدقيق ، كما نلاحظ في شعرها تمازجاً وتلاحمـاً للمفاهيم الاسطورية ولكن في صياغة جديدة ولحناً خفياً تستمدـه من التراث الاسلامي .

* ودعت برودين اعتصامي الحياة في ١٦ فروردین ١٣٢٠ هـ بشـ المـاـفـقـ نـيـسـانـ ١٩٤١ـ ، وـدـفـنـتـ فـيـ مـقـبـرـةـ عـائـلـتـهـاـ -ـ إـلـىـ جـبـ وـالـدـهـاـ -ـ بـمـدـيـنـةـ قـمـ الـقـدـسـةـ .ـ كـانـتـ رـفـاتـهـاـ فـاجـعـةـ كـبـيرـةـ وـخـسـارـةـ لـإـرـانـ أـقـيمـتـ لـهـاـ مـجـالـسـ العـزـاءـ فـيـ كـلـ الـمـحـافـظـاتـ الـإـيـرـانـيـةـ،ـ لـكـنـ أـهـمـ الـمـجـالـسـ مـاـ اـقـامـتـ جـمـعـيـةـ الـعـلـمـاءـ -ـ بـطـهـرـانـ -ـ فـيـ أـرـديـهـتـ مـاـيـسـ -ـ حـزـيرـانـ وـرـثـاـهـ الشـعـرـاءـ وـالـكـتـابـ وـقـدـ جـمـعـ شـقـيقـهـاـ أـبـوـ الـفـتـحـ اـعـتـصـامـيـ الـقصـائـدـ وـالـمـحـاضـرـاتـ الـتـيـ قـيلـتـ فـيـهـاـ وـنـشـرـهـاـ بـعـدـ ذـلـكـ .ـ

وقد أوصت بروين اعتصامي أن ينقش على قبرها القصيدة التالية وهي من قصائدها التي لم تنشر إلا بعد وفاتها وتقرأ على قبرها هذه القصيدة :

هـذـاـ التـرـابـ الـذـيـ تـنـامـيـنـ عـلـيـهـ
هـوـ نـجـمـ بـرـوـينـ وـخـطـهـاـ

* * *

اـنـ لـمـ تـرـ فـشـيـئـاـ مـنـ الـمـارـاـةـ !!
فـيـ حـيـاتـهـاـ ،ـ لـكـنـ تـلـ مـاـ تـظـلـهـ
مـنـ اـدـبـهـاـ فـهـوـ عـذـبـ وـجـمـيلـ

* * *

ولـادـةـ عـسـرـ ،ـ وـقـتـلـ ،ـ وـاخـتفـاءـ .ـ
حـيـاتـنـاـ قـدـرـ ،ـ وـالـلـوـحـ قـدـيمـ

* * *

صـاحـبـهـ هـذـاـ الشـعـرـ وـالـلـحنـ الـعـزـينـ
تـرـجـوـ الـيـوـمـ قـرـاءـةـ سـوـرـةـ الـفـاتـحةـ وـرـسـيـنـ

* * *

المحبون هم الذين يذكر ونها
والقلب الذي لا يُمشق لا يحب
قلب حزين

هذا التواب الذي يذرو العين
هذا القبر الذي يحبس الانفاس
يُضفط الميت ، ثقيل ، ثقيل

* * *

بروين كالفراشة ، كل من يرى
هذا ! يرى عين الحقيقة

* * *

كل ما كنت ، ومن تكون ؟
فآخر الايام ، هنا تكون

* * *

ومهما أُتيت إليها المفرور من طفيان
فحشما وصلت هذا المكان
فأنت بائس ، وخسران

* * *

فرح الإنسان في المحنـة هذه
سبب في تسكين نفسه

* * *

وحينما وصلت هذا المكان
فأنت تسلم بالقضاء
فانتظر وكن مطينا .

□ صوت المرأة النافذة □

واخيراً فان الشاعرة بروين اعتصامي تعد نموذجاً خيراً للمرأة الشرقية المحافظة على حياتها البسيطة ، وتفكيرها النير وثقافتها العالية، كانت امراة محافظة ومتزنة ، طيبة الارومة ، نقية القلب ، عميقة الايمان صافية السريرة ، تركت في قلوب محبيها واصدقائها اثراً كبيراً يتجدد كل عام .

* * *

جريدة المصادر

١ - اسحاق - محمد :

جهار شاعرة ايراني - كلكتا - الهند - د.ت

٢ - دهخدا : على اكبر :

لفت نامة دهخدا - مادة اعتصامي - طهران

٣ - يعقوب آزنده :

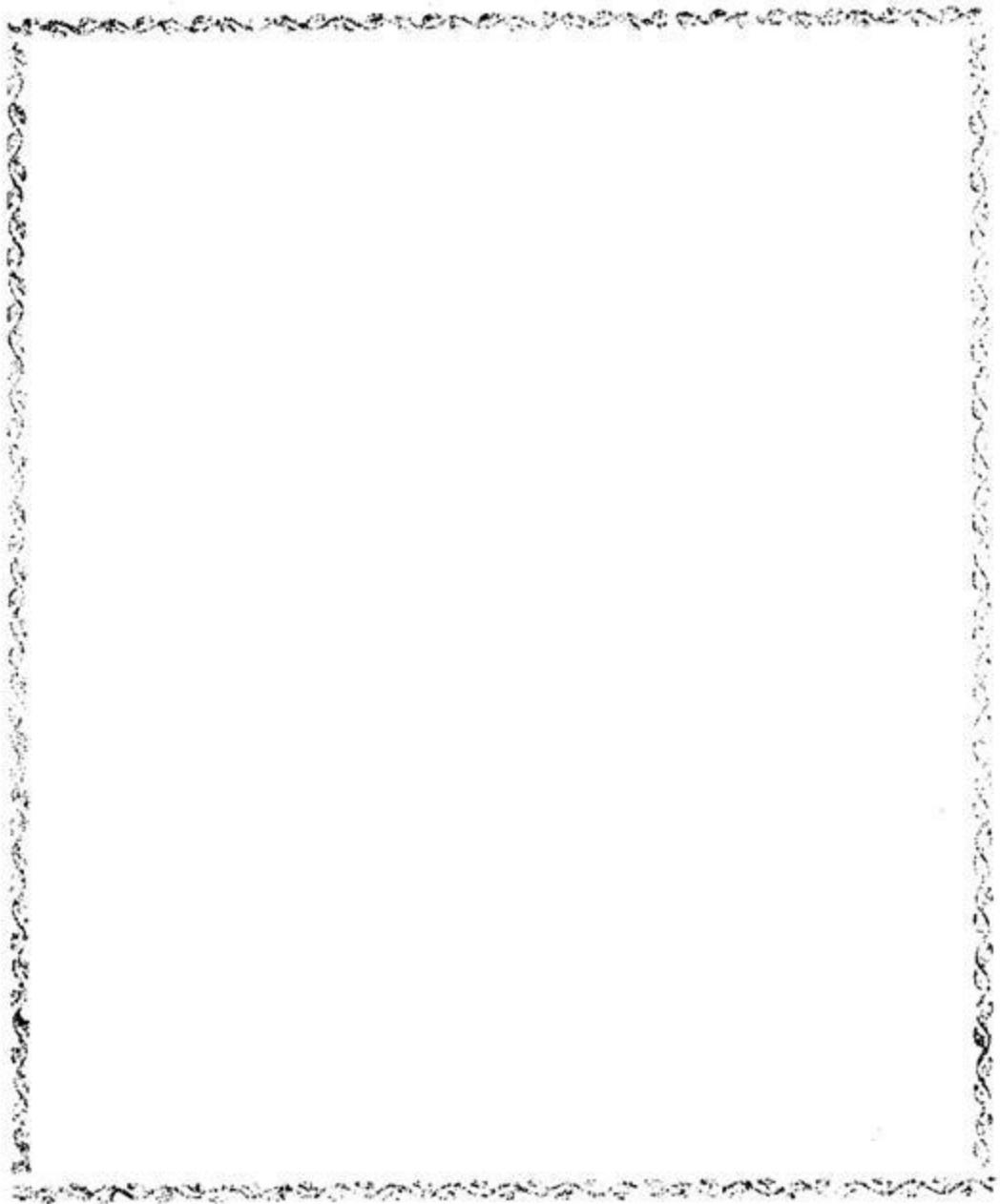
ادبيات نوين ايران ، آزنده انقلاب مشروطين

ث انقلاب اسلامي . طهران ١٩٨٣

الى الزملاء الكرام :

تود مجلة الآداب الأجنبية أن تذكر الأخوة
والأخوات المترجمين والمترجمات الكرام أن
المجلة تعذر عن نشر أي نص مترجم غير مرافق
بالنص الأصلي . ويرجى كتابة اسم وعنوان
المترجم كاملا مع الشكر .

هيئة التحرير



الكتاب

- تقديم : الدكتورة بشينة شعيبان
- ١ - القصة الفارسية القصيرة - دراسة فاحصة بقلم الدكتور حشمت مؤيد . ت. نحاة أبو سمرة
- ٢ - غلام حسين ساعدي ت. الدكتور محمد اللوزي ، الرباط - المغرب
- ٣ - أعظم رهنورد زرياب ت. الدكتور محمد اللوزي ، الرباط - المغرب
- ٤ - جمال مير صادقي ت. الدكتور محمد اللوزي ، الرباط - المغرب
- ٥ - جلال آل أحمد ، ١٩٢٣ - ١٩٦٩ ت. عمار أحمد حامد
- ٦ - مهشید امیر شاهی ت. علي مصطفی حسين
- ٧ - «اصطدام» بقلم سيمين دانشور . ت. رویا حقيقی
- ٨ - صادق هدایت : قصة انتحارین - ت. عطارد عزیز حیدر
- ٩ - لحنة تاريخية عن الشعر الحر في ایران ، بقلم محمد حقوقی . ت. عبد الكريم حداد
- ١٠ - الشاعرة فروغ فرج زاد ، الدكتور محمد اللوزي ، الرباط - المغرب

- ١١ - الشاعرة يردين اعتصامي ١٩٤١ - ١٩٠٦ ، الدكتور محمد
أنتونجي - جامعة حلب ١٤٩
- ١٢ - عن المسرح في ايران - بقلم خالد محي الدين البرادعي ١٥٦
- ١٣ - مقابلة مع الشاعر الايراني علي موسوي كرمرودي ١٩٤٨ ١٧١
- ١٤ - نانوراما الصحافة الادبية في ايران . بقلم سمير ارشدي
أستاذ الادب الفارسي بجامعة دمشق ١٧٧
- ١٥ - جلال الدين الرومي بقلم الدكتور علي حسون ١٨٦
- ١٦ - سعدي الشيرازي - بقلم الياس سعد غالى ٢٠١
- ١٧ - الاخلاق الاسلامية في ملحمة الفردوسي الشعرية(الشاهنامة)
بقلم الدكتور حميد فرزام ٢٢٢
- ١٨ - العارف الفيلسوف الشيخ احمد الفزالي بقلم هادي
عادل بور ٢٥٧
- ١٩ - بروين اعتصامي صوت المرأة المناضلة - بقلم الدكتور
خدنان محمد آل طعمة ٢٦٨

* * *

12. About tha Theatre in Iran, by Mr. Khalid Muhyi-al Din al-Baradi .	156
13. An Interview with the Iranian Poet Ali Mousoui Kirm-arwardi .	171
14. A Panoramic View of the Literary Press in Iran, by Samir Arshadi	177
15. Jalal Din Al-Roumi, by Dr. Ali Hassoun	186
16. Sadi al-Shirazi by Elias Saad Ghali	201
17. The Islamic Ethics in the Epic of al-Firdoousi « Shahn-ama », by Dr. Hamid Farzam.	222
18. The Philosopher Sheikh Ahmisd al-Gorali by Hadi Adel Bour.	257
19. « Prouin Itisami , the Voice of a Woman Fighter » by Dr. Adnan Muhamad al-Toma.	268



C O N T E N T S

Editorial, Dr. Bouthaina Shaaban

1. The Persian Short Story. a Critical Study by Dr. Moshmat Mouayed Tr. by Najat Abo Samra
2. « The Cabin », by Gulam Hussein Saedi, Tr. by Dr. Muhammad al-Louzi, Ribbat University, Morocco.
3. « The Hawk and the Fetters » by Azam Rehnord Zeriyab, Tr. by Dr. Muhammad al-Louzi, university of Ribbat, Morocco .
4. « Snow, Dogs and Birds » by Jamal Mir Sadeqi, tr. by Dr. Muhammad al-Louzi university of Ribbat, Morocco.
5. Jalal Al-Ahmad 1923 - 1969 tr by Ammar Ahmad Hamed
6. « Brother's Future Family » by Mahshid Amri - Shani tr. by Ali Mustafa Hussein
7. « Accident » by Yasmin Danshour, tr. by Ro'ya Haqiqi.
8. « Abj. Khanom », by Sadiq Hidayat, tr. by Atarid Aziz Haydar.
9. « A Historical Perspective of Free Verse in Iran », by Muhammad Hoqoqi, tr. by Abdol Karim Hadad.
10. « A Present » by the Poet Forough Farkh Zad, tr. by Dr. Muhammad. al-Louzi.
11. The Poet Prouin Itisami (1906-1941), by Dr. Muhammad al-Tonji. Aleppo University

AL-ADAB AL-AJNABIYYA

(Foreign Literature Quarterly)

No. 77 - 78 , Year 20 Winter - Spring 1994

Responsible Director

Dr. ALI OKLA ORSAN

Editor

ANTON MAKDESY

Executive Editor

Dr. BOUTHAINA SHAABAN

Editorial Board

Dr. NADIA KHOST

HANNA ABOOD

MICHEL KILO

RAFAT ATFI

AL-ADAB AL-AJNABIYYA

(Foreign Literature Quarterly)

Nos. 77, 78, year 20, winter and spring 1994



مطبعة اتحاد الكتاب العرب

السعر ٣٥ ليرة سورية

وفي البلاد العربية ٣٥ ل.س او ما يعادلها